خلاصة

تاريخ الكنيسة الملكية

بقلم

الأب يوسف الشماس المخلصي

الجزء الثاني

من الفتح العربي الى انفصال الكاثوليك والارثوذكس في البطريركية الانطاكية

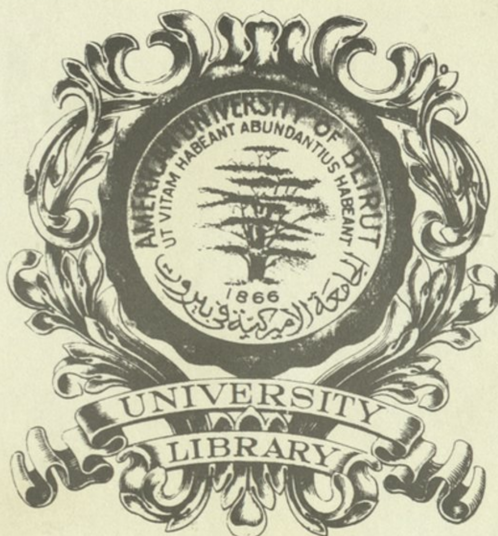
(٦٣٤ — ١٧٢٤)



المطبعة المخلصية

دير المخلص - قرب صيدا (لبنان)

١٩٤٩


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الأميركية في بيروت
UNIVERSITY
LIBRARY

خلاصة

تاريخ الكنيسة الملكية

بقلم

الأب يوسف الشماس المخلصي

الجزء الثاني

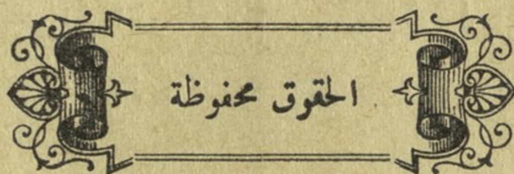
من الفتح العربي الى انفصال الكاثوليك والارثوذكس في البطريركية الانطاكية (٦٣٤ — ١٧٢٤)



المطبعة المخلصية
دير المخلص - قرب صيدا (لبنان)

١٩٤٩

باذن الرؤساء



فهرس المجلد الثاني

مراجع الكتاب

تنبيه : طالع اولاً مراجع المجلد الاول

بابا ذوبولس (خريسوستوموس) } Ἱστορία Τῆς Ἐκκλησίας Ἀλεξανδρείας
Ἱστορία τῆς Ἐκκ. Ἱεροσολύμων

باشا (الاب قسطنطين – المخلصي) نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي (المطبعة البولسية – حريصا) سنة ١٩١٢

باشا (الاب قسطنطين – المخلصي) تاريخ دوما (المطبعة المخلصية قرب صيدا) سنة ١٩٣٨

البولسيون (المرسلون) الاجتهاد في سبيل الاتحاد (المطبعة البولسية – حريصا) سنة ١٩٣٩

توتل (الاب فرديناند – اليسوعي) تاريخ سوريا ولبنان المصور (المطبعة الكاثوليكية بيروت) سنة ١٩٣٤

سابا (عيسى مخايل –) مختصر تاريخ سوريا ولبنان (المطبعة السريانية – بيروت) سنة ١٩٢٧

شماس (الاب يوسف – المخلصي) موجز تاريخ الروم الملكيين (المطبعة المخلصية – قرب صيدا) لبنان سنة ١٩٣٨

شيخو (الاب لويس – اليسوعي) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (المطبعة الكاثوليكية – بيروت) سنة ١٩٢٤

عساف (الارشمندريت ميشل –) السنكسار عدة مجلدات (المطبعة البولسية – حريصا) لبنان

BOULANGER (Hist. de l'Eglise) Emmanuel vitte, Lyon (France) 1939

D. T. C. (Vacant — Mangenot).

LAMMENS S. J. (Henri —) La Syrie, précis historique I, II, (Imprimerie catholique — Beyrout) 1921, 1938

MUSSET (Henri —) des Pères Blancs, Hist. du christianisme, spécialement en Orient, 3 vol. (Hsrissa - Jérusalem — Harissa) 1948, 1949.

الفاتحة

يتضمن هذا الجزء خلاصة تاريخ الثلاث الكنائس الملكية من تقلّص ظل دولة الروم عن البلاد الشامية والمصرية في القرن السابع للميلاد الى سنة ١٧٢٤ وهي سنة انفصال طائفتي الكاثوليك والارثوذكس في البطريركية الانطاكية .

ونحن نسلك في هذا الجزء مسلكنا في الجزء الاول : فندوّن في كل فصل اولًا تاريخ كنيسة اورشليم ونتبعه بتاريخ كنيسة انطاكية ثم نختم بتاريخ كنيسة الاسكندرية، متحاشين عن كل غرض الّا الحق، متجنبين التملق والتنديد على السواء، سائلين الله ان يعيننا على الاتمام ويقينا الزلل بمنه تعالى وجزيل احسانه .

الفصل الاول

من الفتح العربي الى قيام الدولة العباسية (٦٣٤ ـ ٧٥٠)

اً ـ كنيسة اورشليم[1]

توطئة ـ الفتح العربي ـ بطاركة اورشليم والمزارات المقدسة ـ بدعة محاربي الايقونات ـ اليهود والعرب ـ المشاهير الكنسيون .

توطئة :

١٤١ ـ قبل البحث عن استيلاء العرب على هذه البلاد يحسن بنا ان نذكر الاسباب التي ساعدتهم على ذلك وسهلت لهم سبيل الفتح . ان المؤرخين لخَّصوا تلك الاسباب بما يلي :

١) شيخوخة ملك الروم هرقل وضعف خلفائه[2] ـ ٢) غفلة قواده وعدم احتياطهم للطوارىء وعدم حمايتهم لاطراف البلاد ـ ٣) الفوضى في الجيش وانحطاط الروح العسكرية وترك المدن بلا حامية تُذكر ـ ٤) استبداد الحكام البيزنطيين بغير المسيحيين كالوثنيين والسامريين واليهود[3] حتى ربيت في قلوبَ هؤلاء البغضة القتّالة وتمكّنت في نفوسهم عوامل العداوة ، فجعلتهم على اتم استعداد للانضمام الى اية دولة تقوم على الحكومة البيزنطية وتنازعها السيادة على البلاد ـ ٥) وخصوصاً انقسام المسيحيين وكره اهل البدع المسيحية للروم وموالاتهم لعرب الاسلام[4] ومناصرتهم لهم ظنًّا منهم

---

(١) خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٣٦ ـ ٥٣

(2) LAMMENS : *La Syrie, Précis historique, I,* 58 59

(3) PARGOIRE, *o. c.* 12 — 16, 147 — 149

(٤) تاريخ دوما (للمرحوم الاب قسطنطين الباشا ب م) ، ص ٦٠ و ٦١

ان النير الجديد سوف يكون اخفَّ وطأة من نير ملوك الروم[1] . وبذلك تقربوا الى العرب المسلمين الذين اتخذوا منهم الكتّاب وعمّال الخراج من اول الفتح، وتركهم اية الاسلام على ما يدينون عملًا بالقاعدة المشهورة في الفقه، وهي قولهم « يجب ترك اهل الذمة وما يدينون » .

والذي سبَّب ذلك الكره لدولة الروم هو كثرة مداخلة الملوك والحكام في الشؤون الدينية ولاسيا القانون ٢٨ من قوانين المجمع الخلكيدوني الذي قدَّم كرسي القسطنطينية (لانها عاصمة الملك) على بقية الكراسي التي هي اقدم منه وخصوصاً على الكرسيَّين الرسوليين الاسكندري والانطاكي . وقد مرَّ ذكر هذا في العدد ١٠٥ .

٦) مبالغة هرقل في قتال الفرس الى درجة ان نهكهم ونهك قواه ، وذلك قُبَيل الفتح العربي بقليل . ولذا لم يستطع هو ولا الفرس مقاومة الفاتحين مع شجاعتهم وحماستهم الدينية .

٧) واخيراً كون عامة الناس من سكان القرى والدساكر الداخلية ولاسيا في حوران وفلسطين على حالة تقرب من البداوة اذ لم يكونوا على شيء عظيم راهن من تمدن الروم السائد في المدن الكبيرة . فلذلك كانوا يكرهون الروم وحكامهم ويشكون من ظلمهم كثيراً . وهم على الغالب في الجنوب عرب واخوان بالجنس للعرب الفاتحين . فانضموا اليهم وسهّلوا لهم سبل الفتح .

(١) الكنائس الشرقية البيزنطية ، ص ٢٠١

الفتح العربي :

١٤٢ - زحف العرب على فلسطين سنة ٦٣٤ م [١] ، في عهد ابي بكر الصديق اول الخلفاء الراشدين تحت قيادة خالد بن الوليد . وكان دخول جيش الغزو العربي (الذي تحوَّل الى جيش فتح) عن طريق البلقاء وحوران. وسقطت بصرى سنة ٦٣٤ نفسها . ولما درى الملك هرقل بذلك اسرع في المجيء وبادر للدفاع . وجعل اقامته بحمص . فاخذت الاخبار المشؤومة ترد عليه متتابعة بانكسار جيوشه وسقوط مدنه الواحدة بعد الاخرى . وكانت دمشق من تلك المدن ، وكان سقوطها في آب بعد حصار استمر ستة اشهر . وجرى تسليمها عن يد اسقف المدينة الملكي ويد الوجيه الشريف منصور بن سرجون (جد القديس يوحنا الدمشقي) [٢] . حينئذٍ استحوذ اليأس على الملك هرقل، فبادر الى اورشليم واخذ منها عود الصليب الكريم وولَّى هارباً الى عاصمته برًّا متجنباً ما امكن رؤية الناس خجلاً [٣] ويظهر انه اصابه عارض جنون !

ومات ابو بكر الصديق فخلفه عمر بن الخطَّاب [٤] وعزل خالد بن الوليد

(1) PARGOIRE, *o. c.* 144 – 147
(2) LAMMENS, *o. c.* 22, 55, 56, 69, 70, 110

(٣) تاريخ الدبس ٤ : ٥٥٣ وما يليها و ٥ : ٤ وما يليها

(٤) اليك اسماء خلفاء هذه الحقبة :

ابو بكر الصديق	٦٣٢ - ٦٣٤	يزيد الاول	٦٨٠ - ٦٨٣
عمر بن الخطَّاب	٦٣٤ - ٦٤٤	معاوية الثاني	٦٨٣ - ٦٨٤
عثمان بن عفَّان	٦٤٤ - ٦٥٦	مروان الاول	٦٨٤ - ٦٨٥
علي بن ابي طالب	٦٥٦ - ٦٦٠	عبد الملك	٦٨٥ - ٧٠٥
معاوية بن ابي سفيان	٦٦٠ - ٦٨٠	وليد الاول	٧٠٥ - ٧١٥

عن القيادة وولّاها لعامر بن الجرّاح المكنّى بابي عُبَيدة . ومضى ابو عبيدة وخالد قُدُماً والنصر حليفهما . وسنة ٦٣٦ كانت واقعة اليرموك التي فيها انكسر واهان (Vahan) قائد الروم وجَبَلة ابن الأَيهَم ملك الغسّانيين شرّ كسرة . فتوغل الجيش العربي في البلاد . وفي السنة التالية (اي سنة ٦٣٧) فتحت اورشليم ابوابها وكان البطريرك القديس صفرونيوس قد حماها الى ان اتى الخليفة بنفسه عمر بن الخطاب فتسلّم مفاتيحها . وسنة ٦٣٨ سقطت انطاكية وطرابلس وصور وغيرها من المدن المحصّنة بحيث لم يبقَ موطئ قدم لدولة الروم في فلسطين وسوريا سنة ٦٣٩ . على ان الجبال جبال لبنان لم يحتلها الفاتحون .

اما مصر فأتى دورها بعد سوريا . وسنتكلم عن فتحها في موضعه ان شاء الله تعالى . ولما استولى العرب على جميع هذه البلاد ارادوا ان يحاصروا ما بقي من مملكة الروم من كل الجهات . فقام معاوية بن ابي سفيان اذ كان حاكم الشام (٦٣٩ – ٦٦٠) وأنشأ اسطولاً غزا بهِ جنوده جزيرة قبرس سنة ٦٤٨ ، ودمّر جزيرة أرواد سنة ٦٤٩ ، وخرّبوا في جزيرتَي كوس ورودس سنة ٦٥٤ ، وانتصروا انتصاراً بحريًّا باهراً على شواطئ ليكيا سنة ٦٥٥ .

على ان مقتل الخليفة عثمان بن عفان (٦٥٦) كان مدعاة لحرب اهليَّة استحرّت نارها بين المرشّحين للخلافة ، وكان معاوية منهم . فاضطرّ ان يصالح

سليمان بن عبد الملك	٧١٥ – ٧١٧	وليد الثاني	٧٤٣ – ٧٤٤
عمر الثاني	٧١٧ – ٧٢٠	يزيد الثالث	٧٤٤ – ٧٤٥
يزيد الثاني	٧٢٠ – ٧٢٤	ابرهيم بن وليد الاول	٧٤٥ – ٧٤٦
هشام	٧٢٤ – ٧٤٣	مروان الثاني	٧٤٦ – ٧٥٠

مملكة الروم وان يدفع لها الجزية مدةً يسيرة (٦٥٦ – ٦٦٠). فلما قُتِل علي ابن ابي طالب وخلا الجوّ لمعاوية وبويع بالخلافة ، اسَّس الدولة الاموية التي استمرت في الحكم نحو تسعين سنة (٦٦٠ – ٧٥٠) . ومنذ سنة ٦٦٣ عادت جنوده الى غزو اسيا الصغرى والى الامعان والاتلاف فيها . بل اجترأوا سنة ٦٦٨ الى دخول البسفور . ومن سنة ٦٧٣ الى سنة ٦٧٧ حاصرت المراكب الحربية العربية مدينة القسطنطينية . ولم يَثنِها عنها الَّا الحراريق الهائلة Feu Grégeois التي اخترعها كالينيكوس السوري وأحرق بها اغلب سفن الاسطول العربي . فهذه النكبة والذعر الذي احدثه الجنود الذين كان يقال لهم « المردة » في جهات لبنان اضطرا ذلك الخليفة الى ان يصالح مملكة الروم من جديد ويدفع لها الجزية .

على ان الحروب بين مملكتي العرب والروم لم تنقطع تماماً طول هذه المدة ولاسيما بعد ان انتقلت الخلافة الى العباسيين كما سنذكره في الفصل التالي ان شاء الله تعالى .

بطاركة اورشليم والمزارات المقدسة :

١٤٣ – في مدة بطريركية القديس صفرونيوس الذي ذُكر سابقاً (عد ١١٦ و ١١٨ و ١١٩) حفَّت الاهوال لا بسكان فلسطين فحسب بل بسكان سوريا كلها [1] : فقد انهزم جيش الروم واستحوذ الجيش العربي على البلاد باسرها كما مر . ولما حاصروا اورشليم سنة ٦٣٧ ورأى صفرونيوس ان لا مناص من فتحها اراد ان يستسلم على يد الخليفة عمر بن الخطاب لما

(١) تاريخ الدبس ٥ : ٥٩ وما يليها

كان يعرفه من عدل هذا الخليفة وحلمه . فأتى عمر الى اورشليم وامَّن اهلها ودخلها متواضعاً رحيماً ولم يمَسّ اهلها بضرّ . وبذلك وقى من الخراب ما كان باقياً من الكنائس والاديار والآثار المقدسة وسلّم السكان من القتل ومن سائر غوائل الحرب .

وبعد القديس صفرونيوس († ٦٣٨) صُدِمت كنيسة اورشليم صدمة فظيعة كادت تحطّمها فسادت فيها الفوضى وعمَّها الخراب والتشويش وبقيت نحواً من سبعين سنة (٦٣٨ — ٧٠٦) بلا بطريرك . وفي هذه المدة كلها كان يدبر امورها اناس لا صلاحية لهم يقال لهم نواب بطريركيون . واول هؤلاء النواب كان سرجيوس اسقف يافا المونوتيلي [١] الذي اغتصب النيابة اغتصاباً . ولكن الحبر الاعظم القديس ثاودورس ما ابث ان خلعه واقام مكانه استفانس اسقف دورا [٢] وهو الذي كان القديس صفرونيوس قد ارسله الى البابا اونوريوس ومعه اعمال مجمعه الاورشليمي ورسالته المجمعية في نبذ بدعة المشيئة الواحدة [٣] .

وسار القديس مرتينوس الاول خلف البابا القديس ثاودورس على الطريقة نفسها وعهد بنيابة بطريركية اورشليم الى يوحنا اسقف فيلادلفيا (اي عمان) [٤] وجعل معه اربعة مستشارين ، ومدَّ سلطته الى بطريركية انطاكية ايضاً لان مكدونيوس ومن خلفه من بطاركة انطاكية (وكانوا من اليونان ويقيمون بالقسطنطينية) كانوا ملطَّخين ببدعة المشيئة الواحدة .

---

(١) المونوتيلي المعتقد ببدعة المشيئة الواحدة في المسيح (٢) دورا هي البلدة المعروفة الآن بالطنطورة (٣) الكنز الثمين (لمكسيمس مظلوم) ١١ آذار

(٤) سنكسار سواعية رومة (١١ آذار)

وبعد النائبَين البطريركيَّين السابقي الذكر (اي استفانس اسقف دورا ويوحنا اسقف فيلادلفيا) قام نوّاب آخرون لم يدخل في تعيينهم الحبر الروماني. ولا نعرف منهم سوى اثنين هما ثاودورس وانسطاس : اما ثاودورس فجاءَ ذكره في اعمال المجمع المسكوني السادس الذي انعقد في القسطنطينية سنة ٦٨٠ فانه ارسل الكاهن جاورجيوس نائباً عنه . واما انسطاس فقد ورد ذكره في اعمال مجمع القصر (In Trullo) المشهور وهو الذي عُقِد في قصر الملك يستينيانوس الاشرم سنة ٦٩٢. ووقَّع هناك هكذا « انسطاس بطريرك اورشليم » ولكن هذا التوقيع لا يصحّ الّا بمعنى انه بطريرك غير مقيم بابرشيته عُين في القسطنطينية لتتميم المعاملة فقط اي لكي يوقع اعمال المجمع المذكور .

اما اول بطريرك اصيل رُقي الى الكرسي الاورشليمي بعد الفتح العربي فكان يوحنا الخامس الذي انتُخِب نحو سنة ٧٠٦ (1) واستمرَّت بطريركيته نحو اربعين سنة ، وقاوم بدعة محاربي الايقونات التي نشأت حينئذٍ . وبعد موته انتُخِب خليفة له ثاودوسيوس الاول نحو سنة ٧٤٥ ودامت بطريركيته نحو اثنتين وعشرين سنة (٧٤٥ — ٧٦٧ ؟)

وفي هذه الحقبة كلها اي في القرن السابع ونصف القرن الثامن لم ينقطع الحج الى الاراضي المقدسة وإن خفَّ عما كان عليه قبل سنة ٦١٤ . ومما يلفت النظر ان العادة في فرض هذا الحج (كقانون اعتراف) قد كانت جارية في اواخر القرن السابع للميلاد (2) .

(1) PARGOIRE, *o. c.* 153 — 156
(2) *D. T. C.* (*Jérusalem*) *c.* 1000

بدعة محاربي الايقونات :

١٤٤ – مما ورد في تاريخ الكنيسة من الامور الشائنة كثرة مداخلة بعض الملوك البيزنطيين في المسائل اللاهوتية والكنسية التي ليست من خصائصهم . اذ بلغ بهم الهوس الى ان يسمُّوا انفسهم احباراً وان يحكموا في الامور الدينية والكنسية احكاماً مبرمة كانهم أعطوا العصمة من الزلل ثم استعملوا سيفهم وسلطانهم لتنفيذ تلك الاحكام . ومنهم من اراد ان يبتدع في الدين ويصلح العقائد المسيحية ، كما فعل الملك لاون الايصوري (٧١٧ – ٧٤٠) وابنه قسطنطين الزبلي الاسم (٧٤٠ – ٧٧٥) ومن جرى على آثارهما فانهم اثاروا حرباً عواناً على الايقونات والصور وعلى من يكرمها . وهكذا زادوا في عدد الشهداء والمعترفين وأقلقوا الكنيسة ما يقرب من ١٢٥ سنة .

ولكن كنيسة اورشليم وسائر الكنائس الملكية ، بخروجها من مملكة الروم ودخولها في حوزة مملكة الخلفاء ، قد تحررت من نفوذ القسطنطينية ولم تعد مضطرة ان تجاريها كما سبق في كل ما تريد . يبين ذلك خصوصاً من مسئلة بدعة محاربي الايقونات المذكورة . فانه فيما كانت مملكة الروم قائمة قاعدة في حكم اولئك القياصرة [1] كانت الكنائس الملكية في راحة من هذا القبيل ، وكانت كنيسة اورشليم خصوصاً – بعد الصدمة التي اصابتها في القرن السابع – قد عادت اليها الحياة الطبيعية وتحسنت احوالها قليلاً في ظل الدولة الاموية المتسامحة . فقام القديس يوحنا الدمشقي وقاوم تلك البدعة [2] وهو سليل اسرة منصور المشهورة في دمشق ،

(1) D. T. C. (*Jérusalem*) c. 1000

(٢) الموجز ص ١٩

وملفان الكنيسة ، وخاتمة الآباء القديسين الشرقيين، وزينة المدرسة اللاهوتية الاورشليمية التي كانت مزدهرة يومئذٍ في دير القديس سابا وسيأتي ذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى .

اليهود والعرب (١) :

١٤٥ - ان اليهود رحّبوا بالعرب الفاتحين لكرههم لملوك الروم في آخر عهدهم لانهم ساموهم اعناتاً واضطهاداً ولذلك صاروا للفاتحين من اكبر الاعوان ولقيت الجيوش العربية منهم كل مساعدة من تجسُّس ودفع ثمن الغنائم وثمن الاسرى وغير ذلك .

وكان للاسرائيليين جاليات ومحلات تجارية في كل مدن ساحل البحر المتوسط وفي كل الثغور الشرقية ثغور الجزيرة اي بلاد ما بين النهرين . وكان عددهم كبيراً في مدينة الرها (اورفا) حتى انهم استطاعوا ان يستولوا على هذه المدينة ويقفوا مدة في وجه جيوش الروم بعد انصراف جيوش الفرس عنها سنة ٦٢٨ .

اما الاسكندرية فكانت تعدُّ نحو اربعين الف يهودي ، ولذا حسبت حسابهم معاهدة سنة ٦٤٢ التي بتَّها البطريرك كيروس مع عمر بن العاص ، وخوّلتهم الحق في ان يبقوا بالاسكندرية ولا يبرحوها .

هذا وبما ان اسرائيلياً تجسّس للفاتحين وسهّل لهم سبل الانتصار على الروم اجتمع اليهود سنة ٦٤٣ في اورشليم حول القائد العربي واغروه بكسر الصليب المقام فوق جبل الزيتون وكل الصلبان القائمة في فلسطين .

ثم ان انضمام اليهود الى العرب الفاتحين جعل الروم يخافونهم حتى في

(1) PARGOIRE, *o. c.* 172 – 174

بلادهم (اي بلاد الروم) حيثما وُجدوا ويداورونهم طول القرن الاول للهجرة اي الى زمان الملك لاون الايصوري . ولكن هذا الملك اذ كسر شوكة الجيش العربي واضطر اسطوله الى الانسحاب من الدردنيل لم يعد يخاف شيئاً . فقام على اليهود في مملكته واكرههم على قبول المعمودية . فقبلوها باجمعهم ، ولكنهم دنسوا الاسرار وبقوا يهوداً ولو معمّدين . وهم هم الذين دفعوا ذلك الملك الى انشاء بدعة محاربة الايقونات التي ذُكرت في العدد السابق .

المشاهير الكنسيون :

١٤٦ — انّا لا نذكر منهم الّا من يلي :

١) القديس يوحنا السلمي (S.J.Climaque)[1] . كان مولد هذا القديس الشهير في فلسطين في النصف الثاني من القرن السادس . واذ بلغ السادسة عشرة من عمره صعد الى جبل سيناء وترهّب هناك . واصبح تلميذاً للراهب القديس انسطاسيوس الذي صار فيما بعد بطريرك انطاكية باسم انسطاسيوس الثاني . وبعد تسع عشرة سنة من ترهبه نزل يوحنا الى خلوات النسك التي في اسفل الجبل المذكور . ولما بلغ السنة الاربعين من ترهبه ونسكه أُقيم رئيساً لدير سيناء المقدس . ولكنه ما لبث ان هرب من الرئاسة ، وكان اثناء رئاسته قد وضع سفراً نفيساً مشهوراً في ثلاثين مقالة كل واحدة منها تتكلم عن فضيلة منتقلاً بها من العمل الى الثاوريا اي العلم النظري وهي ترقي الانسان الى العلو السماوي كأنها بسُلّم . ولذا دُعي كتابه هذا « سلّم الفضائل » ودُعي القديس يوحنا السلّمي . وكانت وفاته في سيناء نحو

(١) طالع سنكسار ٣٠ اذار ومعجم اللاهوت الكاثوليكي *D. T. C. c.* 690

سنة ٦٤٩ . ويقام له عيدان كل سنة في الكنيسة الشرقية (في ٣٠ اذار وفي الاحد الرابع من الصوم) [١] .

٢) انسطاس الراهب الذي عاش في شبه جزيرة جبل سيناء ، وكتب اربعين ترجمة مختلفة من تراجم آباء سيناء . وكانت وفاته بعد سنة [٢] ٦٦٠

٣) القديس انسطاسيوس السينائي (+ المتوفى بعد سنة ٧٠٠) الذي كان في حياته الماسيًّا لا يملّ من القاء المحاضرات ، بليغًا في منطقه ، ساميًا في لاهوته وخصمًا شديدًا للمونوفيزيت اصحاب الطبيعة الواحدة [٣] .

٤) القديس اندراوس اسقف كريت الاورشليمي (٦٦٠ — ٧٤٠).

وُلد هذا القديس في دمشق وبرع في العلوم الالهية واليونانية . ثم مضى الى اورشليم واصبح من اكليرسها مدة . ولذا دُعي « الاورشليمي ». ثم أُرسل الى القسطنطينية لامر ما . واذ قضاه لم يرجع الى فلسطين بل اقام بتلك العاصمة وهناك سيم شماساً ثم كاهناً واشتهر بتقواه وفصاحته وشِعره. ولما فرغ كرسي « غورتيني» عاصمة جزيرة كريت رُقي اليه فرعى رعيته بتقوى وخوف الله . وقد جنح الى البدعة المونوتيلية سنة ٧١٢ ثم اقلع عنها وندم على خطيئته جدًّا . وحامى عن تكريم الايقونات المقدسة بشجاعة. وتوفي بسلام سنة ٧٤٠ في ٤ تموز وهو اليوم الذي يقام تذكاره فيه في الطقس البيزنطي. وله خطب ممتازة ومنظومات كثيرة في حمد الله ومديح مريم العذراء.

---

(١) وقد الف القديس السلمي كتابًا آخر اسمه « الرسالة الى الراعي » . فهذا الراعي كان الطوباوي يوحنا رئيس دير « رايثو » (على ساحل البحر الاحمر) وهو الذي كان السبب في تأليف الكتابين .

PEYRONNET, *Œuvres de S J. Climaque, Lyon*, 1859 (*Discours prélim., XVII et suiv.*)

(2) *Cf. Anastase, moine* (PARGOIRE)

(3) *Cf. Anastase le Sinaïte* (PARGOIRE)

والقديسين . واهم تلك المنظومات واشهرها في بيعة الله « القانون الكبير » الذي تتلوه الكنيسة الشرقية مرتين في الصيام الكبير [1] .

٥) القديس يوحنا الدمشقي الملقب «بمجرى الذهب»[2] الذي وُلد بدمشق ايضاً نحو سنة ٦٧٥ ودعي بالعربية منصور . وكان ابوه يسمى سرجون بن منصور وكان عين اعيان المسيحيين هناك وكان عزيزاً عند الخلفاء بني أمية وذا منصب رفيع عندهم وهو منصب وزير المالية . ولذا ربي يوحنا تربية عالية ونبغ في العلوم البشرية والالهية . ولما كبر خلف اباه في منصبه مدة .

ثم هجر العالم وجاهه وغناه ولذاته لاجل الانجيل ومضى الى دير القديس سابا الشهير في فلسطين وترهب هناك . وكان معه قرينه في التلمذة قزما المنشىء الذي كان سرجون قد تبناه وهو يتيم ، وهو القديس الذي سنذكره بُعَيد هذا .

وفي الرهبانية كانت سيرة يوحنا بهيَّة ، ساطعة الاشراق بالفضائل . ولذا سيم كاهناً وجرَّد قلمه السيال لنظم القوانين والتسابيح الكنسية التي بها توَّج هام السيد المسيح والأم البتول والقديسين بتاج مدائحه وتقاريظه الجميلة التي بلغ بها حد الاعجاز : يشهد بذلك قانون الفصح المجيد الذي لم تنطق شفاه بشرية بأبدع منه . ولهذا يعد هذا القديس مع القديس قزما اخيه المذكور من اول ناظمي التسابيح وأعلاهم طبقة في النظم والانشاء .

ولم يكتف يوحنا بكتابة التسابيح البيعية بل اكبَّ على دراسة آباء الكنيسة الذين تقدموه واستخلص من كتاباتهم اول كتاب لاهوت مدرسي معروف .

---

(١) طالع (*André de Crète*) في المعاجم : *D. H. G. E. D. T. C.*

(2) MARION, I, 675 *sq.* : CHRYSORROAS

فاصبح ابا اللاهوتيين قبل القديس توما شمس المدارس . وهبَّ لمقاومة بدعة محاربي الايقونات التي نشأت حينئذٍ . واقرَّ له كل من عرفه انه زينة عصره بسيرته البهية ومثاله العالي وعظاته الجميلة وتآليفه المفيدة التي تشغل ٣ مجلدات في « مين » (الآباء اليونان : ٩٤ - ٩٦) وتوفي بسلام نحو سنة ٧٤٩ في شيخوخة صالحة كاملة ويقام عيده المجيد في ٤ ك١ مع القديسة الشهيدة بربارة . وهو يكرَّم كأحد معلمي الكنيسة المجيدين وكخاتمة الآباء الشرقيين وآخر مفاخر الشرف [1] .

٦) واخيراً القديس قزما المنشىء الاورشليمي (S. Cosme le Poète) († ٧٦٠ ؟) . قد كان هذا القديس اورشليمي الاصل . واذ كان يتيماً مهملًا اخذه سرجون بن منصور (ابو القديس يوحنا الدمشقي) وتبناه وربَّاه تربية عالية مع يوحنا المذكور فنبغ في العلوم الالهية والبشرية . وانطلق مع يوحنا الى دير القديس سابا وترهب هناك . ونعرف من القوانين والمدائح التي بها قرظ السيد المسيح والام البتول والقديسين في اعيادهم، كم كانت وزناته العلمية واللاهوتية والشعرية عظيمة وجميلة . واذ امتاز بتقواه وأخلاقه الرضية انتُخِب اسقفاً لمدينة مايوما قرب غزَّة نحو سنة ٧٤٣ . فرعى رعيته بحزم ودراية الى ان توفي الى رحمة ربه نحو سنة ٧٦٠ . ويقام عيده السنوي في ١٤ ت١ في الكنيسة اليونانية [1] .

---

(١) طالع *S. J. Damascène et S. Cosme le Poète* في المعاجم : *D. T. C.* , *D. H. G. E.*

٢ً _ كنيسة انطاكية

الحكم العربي - بطاركة انطاكية - كنيسة اليعاقبة - خسارة اقليم ايصوريا وجثلقة الكرج - المشاهير الكنسيون .

الحكم العربي (١) :

١٤٧ - كان من اول نتائج الفتح العربي للبلاد الشامية ان جمهوراً لا يحصى من الروم رحل عن سوريا . ولذلك اضطُرَّت الدولة العربية ان تحلّ محله جاليةً فارسية في مدن الساحل خصوصاً وذلك لحماية الثغور وضبط سُكان جبل لبنان .

وبعد الفتح جُعِلت سوريا اقليماً من اقاليم مملكة الخلفاء . وجعلت دمشق عاصمة المملكة وجُعل تسليم مدينة دمشق مثالاً يُحتذى لتسليم سائر المدن . وكانت شروط الصلح الجوهرية ثلاثة : دفع غرامة ، وقسمة الاراضي بين الفاتحين وسكان البلاد ، وإطلاق الحرية الدينية للجميع مع تقديم المسلمين على النصارى واليهود .

اما الغرامة فكانت تُقسم الى جزية على رؤوس الناس والى خراج على ارضهم . واما الجزية فجُعِلت على الاغنياء اربعة دنانير من ذهب ، وعلى المتوسطين دينارين ، وعلى الفقراء والمساكين ديناراً واحداً . واما الخراج فجُعِل اساسه على نسبة مساحة الاراضي ومقدار خصبها .

ان الفتح العربي ادخل دين الاسلام الى سوريا : ١) بانضمام بعض

(1) LAMMENS, *o. c I*, 55, 60 – 63 + *D. H. G. E.* (*Antioche*) c. 292 – 596

القبائل العربية المونوفيزية اليه : كبعض الغسانيين (فيما ان الاكثرية الساحقة من هؤلاء مضت الى بلاد الكرج المسيحية واستوطنت هناك)

٢) بمجيء جمهور كبير من الأعراب المسلمين الى سوريا طمعاً بغناها

٣) بانتحال بعض المسيحيين السوريين الدين الاسلامي . ولا نعلم بالضبط كم كان عدد هؤلاء .

اما الفاتحون فما خلا دفع الجزية لم يتعرَّضوا لشيء بل تركوا كل شيء على حاله [1] (Statu quo) . واما الامر الجديد الخطير الذي طرب له ذوو البدع فهو اعطاء كل طائفة مسيحية استقلالها مع كثير من الامتيازات الزمنية والقضائية لرؤسائها الروحيين . وهذه الامتيازات التي منحتها الدولة العربية وحافظت عليها الدولة العثمانية التركية لا تزال محفوظة الى يومنا هذا . ومن الطبيعي ان يكون اليعاقبة مقرَّبين الى دولة الخلفاء اكثر من الملكيين ، لبعد اليعاقبة عن كل ما يذكِّر بدولة الروم القسطنطينية ، وذلك كما كان النساطرة فيما سلف مقرَّبين الى دولة الفرس الساسانية وذوي حظوة لديها .

واستمرَّ عهد التسامح هذا الى اواخر القرن السابع للميلاد ولو منع عمرو بن العاص اخراج الصليب في الشوارع بمدينتي دمشق وحمص : لان ذلك المنع صدر باغراء اليهود على ما يظهر : اذ إن عمراً المذكور سأل يوحنا الثاني بطريرك اليعاقبة ان ينقل له الانجيل من السريانية الى العربية ، وعلى عهد الخليفة معاوية الاول كان المسيحيون [2] يشغلون اهم المناصب في الدولة وكان منصور بن سرجون رئيس الديوان اي وزارة المالية في سوريا . وخلفه ابنه في ذلك المنصب الرفيع . وإذ هدمت الصاعقة اكبر كنائس الرها (اورفا)

(1) D. H. G. E. (*Antioche*), c. 594, 595.
(2) Lammens, *o. c.* 70, 71, 86, 87.

جدّد الخليفة (معاوية الاول) بناءها على نفقته عن طلب المسيحيين ، وكان طبيبه الخاص ابن أثال المسيحي .

على ان حالة النصرانيـة اخذت تتغيّر من زمن الخليفة عبد الملك (٦٨٥ — ٧٠٥) فانه اصدر سنة ٦٩٢ امراً كان مبدأ كل ما حلّ بالمسيحيين فيما بعد من المصائب . ولعلّ عذره في ذلك اشتداد الحرب بينه وبين مملكة الروم البيزنطية على عهد الملك يستينيانوس الاشرم (٦٨٥ — ٦٩٥ + ٧٠٤ — ٧١١) .

اما ابن الخليفة المذكور وليد الاول (٧٠٥ — ٧١٥) فقد زاد على تضييق ابيه اذ انه امر بقتل كل الاسرى المسيحيين الذين اخذوا في حرب الروم واضطرّ الى الاسلام كل قبيلة تغلب المونوفيزية ، وأمر بقتل زعيمها شميل ، واستولى على كنيسة الملكيين الكبرى في دمشق وحولها الى جامع وهو الجامع الاموي

واما الخليفة عمر الثاني (٧١٧ — ٧٢٠) فقد تضاربت آراء المؤرخين في الحكم بشأنه : فمنهم من نسب اليه التعصب والاضطهاد للمسيحيين [١] ومنهم من قال انه نحّى النصارى عن المناصب الادارية العالية في الدولة ولكنه لا يظهر انه اضطهدهم اضطهاداً رسمياً [٢] ، ومنهم من اكتفى باثبات تقواه وورعه وانه عند المسلمين وليٌّ من الاولياء . [٣] والله اعلم .

على كل يمكننا ان نقول ان الدولة الاموية بوجه الاجمال كانت متسامحة متساهلة ولو صدر بعض العنف من بعض افرادها (Lammens, o. c.p. 121)

(1) Charon (*D. H. G. E. ibid.*)
(2) Lammens, *o. c. p.* 91

(٣) عيسى مخايل سابا (مختصر تاريخ سوريا ولبنان) ص ٧٣

بطاركة انطاكية :

١٤٨ - ان صدمة الكرسي الانطاكي في القرن السابع ومبادىء القرن الثامن لم تكن اقلّ فظاعة من صدمة الكرسي الاورشليمي التي مرّ ذكرها (عدد ١٤٣) : فقد بقي ذلك الكرسي العظيم فارغاً من سنة ٦٠٩ الى سنة ٧٤٢ اي ما ينيف على مئة وثلاثين سنة وسادت فيه الفوضى وعمّه التشويش والدمار . وان قال قائل انه قد قام في هذه الحقبة عدّة بطاركة انطاكيين اجبت : اجل ان امبراطور القسطنطينية قد سمّى بعض البطاركة هناك ، ولكنهم لم يعرفوا ابرشيتهم الانطاكية ولا وطئوا ارضها خوفاً من الدولة العربية بل عاشوا وماتوا في الغربة[1]

واول من عُيّن هناك من اولئك البطاركة الاسميين كان مكدونيوس (٦٤٠ - ٦٤٩؟) . وإذ كان من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة حكم عليه البابا القديس مرتينوس الاول في المجمع اللاتراني الذي انعقد سنة ٦٤٩ ونبذ تلك البدعة . وقد مرّ ان البابا المذكور اقام يوحنا اسقف فيلدلفيا (اي عمّان) نائباً عن بطريرك اورشليم وعهد اليه بالنيابة عن بطريرك انطاكية ايضاً (عد ١٤٣) .

وخلف مكدونيوسَ المذكور جاورجيوسُ الاول من اصحاب المشيئة الواحدة ايضاً ولا نعرف سوى اسمه . وقد ورد ذكره في اعمال المجمع المسكوني السادس سنة ٦٨٠ ، كما ورد اسم مكاريوس الاول الذي خلفه . فان هذا الاخير قد عُزل عن البطريركية في ٧ اذار سنة ٦٨١ في الجلسة الثامنة من جلسات المجمع المسكوني المذكور ، ثم أُرسل الى رومة لعناده وتشبثه بمذهب المشيئة الواحدة . ومات هناك مصرًّا على غيّه .

(1) Pargoire, *o. c.* 154.

وبعد عزل مكاريوس قام الاساقفة الانطاكيون الذين حضروا المجمع وانتخبوا (بايعاز الامبراطور والمجمع المذكور) ثاوفانس بطريركاً انطاكياً في ٥ نيسان سنة ٦٨١ وكان ثاوفانس هذا قد حضر الجلسة الرابعة عشرة من جلسات المجمع السابق الذكر . ولم تستمرّ بطريركيته اكثر من اربع او خمس سنوات (٦٨١ — ٦٨٥) فيما يظهر[١] . فعقبه توما (وبعض المؤرخين يقول الكسندرس) وتوفي سنة انتخابه نفسها .

وقام بعده جاورجيوس الثاني الذي امتدت بطريركيته الى سنة ٧٠٢ وشهد مجمع القصر (In Trullo) الذي انعقد سنة ٦٩٢ ووقّع على اعمال هذا المجمع .

وبعد وفاة البطريرك المذكور فرغ الكرسي الانطاكي حتى من البطاركة الاسميين واستمرّ هذا الفراغ نحو اربعين سنة (٧٠٢ — ٧٤٢) .

وحينئذٍ[٢] انتُخِب اول بطريرك وطني من بعد الفتح العربي ودُعِي اسمه استفانوس الثالث وكان راهباً يعزّه هِشام الخليفة الاموي ويجلّه .

وسبب عدم تساهل الدولة الاموية مع الملكيين واضطهادها لهم هو على ما يظهر الحروب التي كانت قائمة في تلك الحقبة ما بين العرب من جهة والروم البيزنطيين اخوان الروم الملكيين من جهة اخرى . فلما نشأت بدعة

---

(١) بعد المجمع المسكوني السادس الذي حرم بدعة المشيئة الواحدة سنة ٦٨١ لم ينطفيء لهيب هذه البدعة في الشرق بل بقي مشتعلاً بين فريق من مؤمني الكرسي الانطاكي ، فتشبثوا بالمذهب المذكور وانفصلوا عن بطريركهم الشرعي الملكي الكاثوليكي واتخذوا لهم اساقفة مونوتيليين نظيرهم الى ان تمكنوا من اقامة بطريرك عليهم ودعوه ايضاً بالبطريرك الانطاكي على حد ما فعل قبلهم اليعاقبة المونوفيزيت (الكنائس الشرقية البيزنطية ص ٢١٧) (٢) في هذه الفترة بل في سنة ٦٨٥ اي بعد وفاة البطريرك ثاوفانس يجعل المؤرخون الموارنة بدء سلسلة بطاركتهم .

محاربة الايقونات في اواخر هذه الحقبة ولم يقبلها الروم الملكيون بل قاوموا ملوك الروم البيزنطيين الذين انشأوها ارتاحت الى ذلك الدولة العربية واطلقت الملكيين ان ينتخبوا بطاركتهم على شرط ان يكون هؤلاء وطنيين لا علاقة لهم بالملوك المذكورين (Lammens,o. c. p.95)

وفي مدة فراغ الكرسي البطريركي كان متروبوليت صور فيما يظهر يدير البطريركية الانطاكية ويرسم حتى اساقفة البطريركية الاسكندرية التي كانت بلا بطريرك ايضاً كما سيجيء بيانه .

اما البطريرك استفانس الثالث الانطاكي السابق الذكر فلم يُرضِ الخليفة وليد الثاني فقُطِع لسانه ، ولم يستمرّ في مركزه الا نحو سنتين (٧٤٢ - ٧٤٤). وفي السنة الثالثة (اي سنة ٧٤٥) اوعز الخليفة مروان الثاني (آخر الخلفاء الامويين) الى الملكيين ان ينتخبوا كاهناً من مدينة الرها اصله من حاران كان يمارس مهنة صائغ واسمه ثاوفيلكطوس بن قنبرة فانتخبوه بطريركاً واعترف الخليفة ببطريركيته واعطاه براءة التثبيت .

فقام ثاوفيلكطوس هذا واضطهد الموارنة في بيت مارون (اي دير مار مارون) وفي منبج ايضاً واضطرّ الرهبان ان يقولوا بقوله . غير ان هؤلاء الرهبان قاوموه واستمروا على ما هم عليه . ثم هاجروا من الدير المذكور (الذي كان قرب مدينة حماة في سوريا الثانية) ولحقهم اتباعهم شيئاً فشيئاً الى لبنان الذي كان شبه مستقلّ . وانشأوا هكذا كنيسة جديدة كانت صغيرة في الابتداء ولكنها نمت مع الزمان بطريقة التوالد المألوفة حتى اصبحت على ما هي عليه اليوم تعدّ نحو ثلاثمئة الف نفس ولها بطريرك (يُدعى دائماً بطرس) وفيها ما يزيد على عشرة اساقفة والف كاهن

(Marion, I, 638) [1]

ان بطريركية ثاوفيلكطوس بن قنبرة استمرت نحو ٢٣ سنة (٧٤٥ – ٧٦٨؟) وفي مبادئها ارسل هذا البطريرك الى البابا القديس بولس الاول رسالة الشركة الاعتيادية . وهكذا اخذت احوال الكنيسة الانطاكية تنتظم وعادت حياتها الطبيعية الى مجراها الاعتيادي (D. H. G. E. ibid. c. 597)

كنيسة اليعاقبة [٢] :

١٤٩ – عند الفتح العربي كان بطريرك انطاكية الشبيه بالرسمي هو اثناسيوس الجمال بطريرك اليعاقبة المونوفيزيت اصحاب الطبيعة الواحدة (طالع عد ١٢١) . فاستغلّ اليعاقبة هذه الحالة الممتازة لكي ينالوا الحظوة لدى العرب الفاتحين . وكان العرب مستعدين احسن الاستعداد ليقرّبوا اليهم اولئك المسيحيين الذين كانوا يؤلفون الاكثرية في هذه البلاد وكانوا يكرهون دولة الروم اشدّ الكره وكانوا على استعداد لأداء كل خدمة للفاتحين اذ إنهم رحّبوا بهؤلاء كل الترحيب وعدّوهم كمنتقمين لهم من دولة الروم عدوّة الفريقين .

ومن جهة اخرى كان موقف اليعاقبة طبيعياً لان كثيرين منهم كانوا من العرب فكانوا اخواناً بالدم واللغة للعرب الفاتحين : نزيد بهم اولئك الاقوام المعروفين بالغسانيين الضاربين في بادية الشام اي في الجنوب الشرقي من سوريا الذين كانوا على مذهب الطبيعة الواحدة ولم يكن شيء تقريباً

(١) ان الكلام على اصل الموارنة فيه ابهام وإشكال وخلاف ، فهو يحتاج الى بحث واسع لا محل له هنا . ومن اراد تحقيق ذلك فعليه بمراجعة كتاب المطران يوسف داود المشهور بهذا الشأن وكتاب المطران يوسف دريان في الرد عليه (الموجز ص١٨ و ١٩ – الملكيين ص ٣٦)

(2) Pargoire, o. c. 149-151

يفصلهم عن الاعراب الهاجمين .

اجل انهم كانوا مسيحيين ومعمَّدين ولكن نصرانيتهم كانت رقيقة شفَّافة ، ولذا قام بعضهم كأعراب جبل سيناء . وانضموا الى الاسلام بلا طعن ولا ضرب وهجروا المملكة الرومانية والديانة المسيحية على السواء . وغيرهم قاوم الفاتحين بعض المقاومة ولكنه لم يلبث ان لان وانحاز الى الدولة الجديدة والمذهب الجديد .

فميل اليعاقبة الى الدولة العربية ، واستعداد الأعراب المسيحيين للانضمام اليها جعل هذه الدولة تميل اليهم وتُغدِق عليهم في الابتداء الانعامات والامتيازات . وفعلاً كانت الكنيسة اليعقوبية على عهد الخلفاء الاولين في حالة ممتازة ، ولا سيما بالنسبة الى الكنيسة الملكية التي كانت تُعتبر كعدوَّة .

ومع ذلك ظلَّ بطاركة اليعاقبة يعيشون بعيداً عن انطاكية تارة في ديار بكر من مدن سوريا الشمالية وتارة في مَلَطية من مدن ارمينيا الصغرى ، وظل اليعاقبة منقسمين احزاباً في داخلهم . ولولا هذا الانقسام لحصلوا على امتيازات اكبر كالامتيازات التي حصل عليها الاقباط في مصر كما سيجيء بيانه .

خسارة اقليم ايصوريا وجثلقة الكرج :

١٥٠ — منذ سنة ٦٠٩ التي فيها قُتِل البطريرك الانطاكي القديس انسطاسيوس الثاني في ثورة اليهود على دولة الروم لم تنفكَّ المصائب تتوالى على الكنيسة الانطاكية : فالحروب والاحتلال الفارسي اولاً ثم الفتح العربي ثم حالة الحرب الدائمة التي كانت ما بين الدولة العربية ودولة الروم البيزنطيين اخوان الروم الملكيين ففراغ الكرسي الانطاكي مدة تنيف على مئة وثلاثين

سنة فانفصال الكنيسة المارونية (على ما روى المطران يوسف دريان[1] الماروني) كل ذلك كان وبالاً على كنيسة الشرق ، ولكن لم يكن خاتمة احزانها : فان لاون الثالث الايصوري ملك الروم ومنشئ بدعة محاربي الايقونات التي سبق ذكرها (عد ١٤٤) قام نحو سنة ٧٣٢ وسلخ ظلماً عن الكرسي الانطاكي اقليم ايصوريا (Isaurie) وطنه في آسيا الصغرى وكان هذا الاقليم يشتمل على خمس وعشرين اسقفية ، وكان يتعلق بالبطريركية الانطاكية كنسياً ويدخل في مملكة الروم سياسياً . فضمّه الامبراطور الى البطريركية القسطنطينية في الظاهر لطول فراغ الكرسي الانطاكي وفي الباطن انتقاماً من الكنيسة الانطاكية لانها لم توافقه على ضلاله في منع اكرام الصور[2] .

وعلى الحقيقة ولا واحدة من الكنائس الشرقية قبلت بدعة تكسير الايقونات . وبما انها لم تكن في حوزة مملكة الروم امكنها ان تقاوم الامبراطور وتحامي بكل حرية عن معتقدها ، ووكلت الى القديس يوحنا الدمشقي والى جاورجيوس القبرسي ان يدافعا عن الحقيقة[3] في الشرق ، كما كان البابوات يسمعون اصواتهم واحتجاجاتهم في الغرب .

ولكن الامبراطور العنيد – لكي يوطّد هرطقته وينتقم لنفسه – سلخ من بطريركية انطاكية اقليم ايصوريا الذي مرّ ذكره ، ومن بطريركية رومة او الغرب اقاليم برمتها منها الليريكون اي البلقان وجزيرة صقلية واقليم كلابريا في جنوب ايطاليا[4] . وضم كل هذه الاقاليم الى بطريركية

(١) طالع كتابه لباب البراهين الجلية ص ٣٣٨

(2) D. H. G. E. (*ibid.*) c. 597

(3) Pargoire, *o. c. p.* 255

(4) Marion, *I*, *p.* 684

القسطنطينية الخاضعة له .

١٥١ - اما كنيسة انطاكية فلم تمض ثلاث عشرة او اربع عشرة سنة على سلخ ايصوريا عنها حتى فوجئت بسلخ جثلقة بلاد الكرج على عهد البطريرك ثاوفيلكطس بن قنبرة . ولكن هذا السلخ كان صوابياً وبحسب القوانين [1] واليك بيان ذلك :

ان البطريرك بطرس القصّار كان نحو ٤٧٠ قد اباح للكرجيين ان ينتخبوا جثليقهم . ولكنه اشترط عليهم ان تكون رسامته من يد بطريرك انطاكية (طالع عد ١٠٨)[2]. والحال انه منذ استشهاد القديس انسطاسيوس الثاني البطريرك الانطاكي سنة ٦٠٩ الى سنة ٧٤٠ لم يقم بطريرك بانطاكية لسبب الظروف المؤلمة التي مرّ وصفها في العدد السابق . فانقطعت لذلك العلاقات ما بين كنيستي الكرج وانطاكية ، وبالفعل نفسه فرغ كرسي الجثالقة . فقام الكرجيون وارسلوا وفداً الى انطاكية نحو ٧٤٥ ليعرض الحالة على البطريرك بن قنبرة . فاصاخ البطريرك سمعاً لهم وعقد لذلك مجمعاً انطاكياً اطلق بعده للكرجيين ان ينتخبوا جثليقهم وان ينصبوه هم ، على شرط ان يذكروا البطريرك الانطاكي دوماً في الليتورجيا ويؤدّوا له جُعلاً سنوياً .

وفعلاً قد ادّوا الجُعل المذكور الى نحو سنة ١٠٠٠ للميلاد . وحينئذٍ حوّل البطريرك الانطاكي يوحنا الثالث ذلك الجعل الى زميله بطريرك اورشليم لان علاقات الكرجيين بالمدينة المقدسة كانت اكثر واسهل لكثرة ترددهم اليها .

(1) D. H. G. E. (*loc. cit.*)

(٢) في المجلد الاول

المشاهير المسيحيون :

١٥٢ – قد مرَّ ذكر القديسين السوريين الفلسطينيين صفرونيوس الاوشليمي (+ ٦٣٨) واندراوس الكريتي (+ ٧٤٠) ويوحنا الدمشقي (+ ٧٤٩؟) . وهم كلهم دمشقيو الاصل . بقي ان نذكر من يلي :

١ مكاريوس المونوتيلي البطريرك الانطاكي الذي سُمّي وعاش في الغربة وعُزل في ٧ آذار سنة ٦٨١ ، وتوفي في رومة مصرًّا على غيّه . ان هذا البطريرك ترك لنا : ١) اعترافاً بالايمان ٢) مجلدين من نصوص الآباء تثبت على زعمه وجود مشيئة واحدة في المسيح ٣) مجلداً آخر يتبع ما سبق من النصوص ٤) خطاباً موجهاً الى الامبراطور ٥) واخيراً مقالة جَدَليَّة وجَّهها الى راهب من افريقيا اسمه لوقا[1] .

٢ استفانس اسقف بصرى[2] (Etienne de Bostra) الذي صنّف ضد اليهود كتاباً في عدة اسفار تثبت شهادات كثيرة منه صوابية اكرام الصور والايقونات المقدسة (مين : الآباء اليونان ٩٤) .

٣ واخيراً الشاعر الكبير المشهور غياث بن غوث المعروف بالاخطل ابي مالك الذي كان مسيحياً من طائفة اليعاقبة وكان شاعر الخلفاء الامويين وله قصائد كثيرة في مدحهم ، وكان يحب الخمرة كثيراً وقد اجاد وصفها ، وحبسه القسيس يوماً في الكنيسة لانه كان يهجو الناس . وكان متمسكاً بدينه فانه دُعي كثيراً الى الاسلام فلم يرضَ ، وكان محبوباً ومقرباً الى الخليفة عبد الملك الاموي (٦٨٥ – ٧٠٥) وكانت وفاته نحو سنة ٧١٠ في

(١) طالع *Macaire d'Antioche* في فهرست Pargoire

(2) Pargoire, *o. c. pp.* 249, 250

خلافة وليد الاولى (طالع ديوانه الشعري وكتاب ادباء العرب : المجلد الاول « بطرس البستاني » ص ٣١٧ وما يليها)

٣ - كنيسة الاسكندرية

الفتح العربي والكنيستان القبطية والملكية - المشاهير الكنسيون .

ملحق عمومي موضوعه : ١) الرهبان الملكيون ٢) الكنيسة الملكية والبدع القديمة ٣) كنيسة قبرس ٤) البطريركية القسطنطينية والكنيستان الملكية والقبرسية .

الفتح العربي والكنيستان القبطية والملكية (١) :

١٥٣ - كان بدء الفتح العربي لمصر سنة ٦٣٩ على يد عمرو بن العاص، وقد رحّب الاقباط بالجيش العربي كمنقذ لهم ، فاستقبلوا عمراً المذكور فرحين وابدوا له سرورهم بان يسلموا اليه كل وادي النيل ما خلا الاسكندرية حيث اجتمع العنصر اليوناني الملكي مع جيش امبراطور الروم وجمعوا قواهم واستعدوا للمقاومة . ولكن سُرعانَ ما دارت عليهم الدوائر امام جيش الغزاة الفاتحين وامام الجيش القبطي المساعد!

وبعد الفتح كان لما بدا من سلوك الاقباط ومساعدتهم للعرب ولسلوك الملكيين ومقاومتهم لهم نتائج مختلفة بعيدة الاثر :

ففيما كانت الدولة العربية تميل الى الاقباط وتغدق عليهم الانعامات

(١) المصادر :

D. T. C. (*Alexandrie*) *col.* 794, 795
D. H. G. E. (*Alexandrie*) *col.* 353, 354
Pargoire, *o. c.* 147, 151 *et suiv.*

تاريخ الدبس ٥ : ١٠ وما يليها .

والامتيازات جعلت تعامل الملكيين انصار واخوان الروم البيزنطيين معاملة اخرى وبينما كان بنيامين البطريرك القبطي يدخل الاسكندرية مع الجيش الفاتح المنتصر ويحصل عند الدولة الجديدة على سلطة ومنزلة رفيعتين يخلفهما لمن يأتي بعده من بطاركة الاقباط كان البطريرك الملكي يتوارى ويترك كنيسته تضمحل (او تكاد) في وادي النيل !

وفعلاً لما توفي كيرس سنة ٦٤٣ وهو البطريرك الملكي الذي كان معايناً للفتح لم يقم بعده الأ بطريرك واحد اسمه بطرس (٦٤٣ – ٦٥٣ ؟) . وكانا كلاهما من اصحاب المشيئة الواحدة . ثم فرغ الكرسي الاسكندري بعدهما مدة طويلة تكاد تبلغ خمساً وسبعين سنة (٦٥٣ – ٧٢٧) . وفي اثناء ذلك هرب كثير من الملكيين فقلّ عددهم جداً في القطر المصري ولم يكن لهم هناك من رعاة سوى نوّاب بطريركيين كلهم كهنة . ولم يَبْقَ من الاساقفة سوى واحد او اثنين لرعاية بعض الكُتَل المبعثرة هنا وهناك . ولذا كان يلزم كل اسقف جديد يُنتخَب في مصر ان ينطلق الى مدينة صور في فينيقية لينال السيامة الاسقفية اذ لا وجود لثلاثة اساقفة ملكيين في القطر المصري ، وهو العدد المطلوب قانونيًا للسيامة الاسقفية .

اما الكنائس الملكية فاخذ الاقباط بعضها وجُعل بعضها جوامع .

ولم تهدأ الحال الاَ على عهد الخليفة هِشَام (٧٢٤ – ٧٤٣) فان هذا الخليفة اطلق الملكيين ان ينظّموا احوالهم ورضي برسامة قزما بطريركاً عليهم نحو سنة ٧٢٧ ، وكان قزما هذا صانعاً امّيًا يجهل القراءة والكتابة ، ولكنه كان حاذقاً ماهراً بتدبير الامور . فانطلق قزما الى دمشق ، وتقرّب الى بعض امناء سرّ البلاط الاموي واستردّ بواسطتهم الكنائس الملكية

التي كان الاقباط قد استولوا عليها ثم نبذ بدعة محاربي الايقونات واستمرت بطريركيته نحو اربعين سنة (٧٢٧ – ٧٤٧ ؟) .

المشاهير الكنسيون :

١٤٥ كانوا قليلين جداً في هذه الحقبة ولا نعرف منهم الا من يلي :

١) سرجيوس اسقف مدينة ارسينوي المصرية [1] (Sergius d'Arsinoé) . وكان هذا احد زعماء المونوفيزية والمونوتيلية ايضاً . وكانت وفاته نحو سنة ٦٤٠ .

٢) الكاهن ثاودورس [2] (Théodore d'Alexandrie) احد النواب البطريركيين الذين اقيموا على الكرسي الاسكندري في هذه المدة . وكل ما نعلم عنه انه ذهب سنة ٦٦٢ الى مدينة القسطنطينية لامر نجهله .

٣) الكاهن بطرس [3] (Pierre d'alexandrie) نائب بطريركي آخر حضر المجمع المسكوني السادس الذي انعقد سنة ٦٨٠ – ٦٨١ ، وربما حضر مجمع القصر (In Trullo) سنة ٦٩٢ .

ملحق عمومي

١) الرهبان الملكيون :

١٥٥ – ان هؤلاء الرهبان اخذ اكثرهم في القرن السابع ينصرف الى ارض الروم اي الى بطريركية القسطنطينية التي كانوا يسمونها بطريركية الشمال فقلوا في الجنوب لان الفتح العربي قد اقلقهم في البطريركيات الملكية وجعل امورهم فيها غير ميسَّرة . ثم كان من نتائج هذا الفتح انَّه قلَّل عدد النسَّاك والمتوحدين وكثَّر عدد الرهبان ذوي العيشة المشتركة . وما عدا هذا الامر اي ازدياد الميل الى العيشة المشتركة بقيت الرهبانيات في القرن السابع

(١، ٢، ٣) طالع هذه الاسماء في فهرست Pargoire

على ما كانت عليه في القرن الذي قبله . غير ان بعض العادات التي كانت جارية عند رهبان بطريركيات الجنوب قد زالت معهم ، منها ان اولئك الرهبان كانوا في ايام الحصاد يذهبون الى ارباب الاملاك ويحصدون عندهم بالاجرة : هكذا مثلاً رهبان دير سريدوس (Séridos) قرب غزة كانوا نحو سنة ٥٣٠ يركبون سفينة من وقت الى آخر وينطلقون الى القطر المصري لكي يشتغلوا في الحقول . ورهبان مصر قاموا نحو سنة ٦١٠ وانتشروا بكثرة في كل الجهات لتعاطي اعمال الحصاد .

فمثل تلك العادات كان مكروهاً عند رهبان الشمال التابعين لبطريركية القسطنطينية . فان هؤلاء كانوا اذا ارادوا ان يتعاطوا الاعمال الخارجية انما يشتغلون في الحقول المختصة باديارهم . على كلٍ لم يكن بهم حاجة ان يشتغلوا خارجاً عنها لان اديارهم كانت بغنى عن ذلك .

٢) الكنيسة الملكية والبدع القديمة :

١٥٦ – بعد الفتح العربي التزمت الكنيسة الملكية ان تحارب (حرباً اشدّ مما قبل) بدعة نسطوريوس التي نبذها المجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ وبدعة اوطيخا التي حكم عليها المجمع الخلكيدوني المسكوني الرابع سنة ٤٥١ والضلالات الاخرى « الملطَّفة » التي نجمت عن البدعتين المذكورتين.

قلنا « الملطَّفة » لان التمييز بين ذوي البدع وذوي الرأي القويم لم يكن قطّ واضحاً جلياً ، بل كان ما بين الفريقَين المذكورَين فريق ثالث متوسط : فهكذا كان في سوريا اناس يقاومون المجمع الافسسي المستقيم الايمان ويقاومون الشيعة النسطورية التي كان بطريركها في الشرق . وكان في مصر وفلسطين وسوريا قوم ليسوا من الكاثوليك ولا يحبون الانضمام الى اليعاقبة ولا الى الاقباط .

فضدَّ هذه العناصر الحائرة المترددة كان يلتزم الارثوذكسيون ان يجاهدوا كل يوم . وكانت حربهم دقيقة لانها كانت حرباً ما بين الاخوة . وقد خصَّص لها القديس انسطاسيوس السينائي (+ ق . السابع) اجمل سني عمره . فكان في مجادلاته اللاهوتية يكلم خصوصاً المونوفيزيت اصحاب الطبيعة الواحدة ، ولكنه كان يجد امامه نساطرة ايضاً . وهو نفسه يقول انا ان هؤلاء مع كونهم نساطرة كانوا يحبون ان يظهروا بمظهر الارثوذكسيين ذوي الرأي القويم .

٣) كنيسة قبرس :

١٥٧ – ان الفتح العربي قد صدم كنيسة قبرس ايضاً صدمة غريبة الشكل فان هذه الجزيرة قد غزاها الاسطول العربي منذ سنة ٦٤٧ خمس دفعات او ستًّا على التوالي واجتاحها اجتياحاً . وبعد ذلك في معاهدة سنة ٦٨٦ جُعِلت ملكاً مشاعاً ما بين عبد الملك ويوستينيانوس الاخرمَ وقُسِم خراجها مناصفةً ما بين الخليفة والامبراطور المذكورين . واستمرت تلك المعاهدة سنتين لا غير ، ثم استعرت نار الحرب من جديد بينهما . فقام الامبراطور حينئذٍ واخرج من الجزيرة كل من استطاع اخراجه ونقل القبرسيين الى شواطئ اسيا الصغرى ولاسيا شواطئ الدردنيل وانشأ لهم هناك كنيسة مستقلة وجعل عاصمتها مدينة يقال لها « يوستينيانة الجديدة » . واعترفت بطريركية القسطنطينية بكل ما فعله الامبراطور وثبَّتته . وصدر سنة ٦٩١ قانون نقل الى مدينة يوستينيانوس الجديدة كل امتيازات قسطنسيا عاصمة قبرس القديمة وجعل يوحنا متروبوليت قبرس رئيساً على كل اساقفة الدردنيل وعلى متروبوليت كيزيكو نفسه .

ولكن كنيسة يوستينيانوس الاخرم هذه لم تعمّر طويلًا ولا نعرف من

اساقفتها سوى اسم يوحنا المذكور الذي كان اسقفها الاول وربما الاخير ايضاً. ولم يلبث القبرسيون ان رجعوا الى جزيرتهم ولم يبقَ من اثر لعمل الامبراطور المذكور الَّا لقب من القاب متروبوليت قبرس وهو قولهم في تقريظه (فيمي) انه رئيس اساقفة «يوستينيانة الجديدة».

البطريركية القسطنطينية والكنيستان الملكية والقبرسية [1] :

١٥٨ — في القرن السابع الميلاد تألَّب على الكنائس الملكية الثلاث الاسكندرية والانطاكية والاورشليمية جميع اعدائها فسحقوها واوشكوا ان يفنوها : فبعد الفتح العربي وخروج ذوي البدع عليها أصبحت كلا شيء. ولم يبقَ لها من رعاة يقيمون معها : أَجل قد كان لها نوَّاب بطريركيون، او بطاركة إسميّون، ولكن اولئك النواب كانوا يعيشون بمراكزهم في ضنك شديد، وكانت المصاعب تكتنفهم من كل جهة، وهؤلاء البطاركة الاسميّون كانوا يعيشون في القسطنطينية عيشة شقاء وفراغ. فاصبحت البطريركيات الملكية اشبه برسالات مسيحية مبعثرة في بلاد عدوَّة وعرضة للخطر والزوال. فوالحالة تلك كان يصعب عليها ان تحافظ على امتيازاتها القديمة ولزمها بطبيعة الحال ان تكون تابعة لبطريركية القسطنطينية.

اما هذه البطريركية فعظمت حينئذٍ بمقدار ما ضعفت البطريركيات الملكية. وإذ بقيت وحدها تملك بلداناً لا سلطة فيها لغير المؤمنين ولا يستطيع ذوو البدع ان يقتطعوا منها ابرشيات لهم استوعبت في ذاتها الحياة الدينية التي كانت للكنيسة اليونانية، واختصرت في نفسها كل الكنيسة الشرقية المستقيمة الايمان، وانقلبت الكنيسة اليونانية مجسَّمة بالكنيسة البيزنطية.

(1) Pargoire' *o. c.* 185, 186

اجل ان الشرق اليوناني كان قد بقي له يومئذٍ متروبوليتية قبرس المستقلة ، ولكن هذه المتروبوليتية التي كانت محصورةً ضمن جزيرة لم يكن لها سوى اهمية بسيطة ، هذا فضلاً عن ان كنيسة قبرس لم تسلَمْ الّا بعض الشيء من اسباب الخراب التي ادّت بالكنائس الملكية الثلاث الى السقوط والانحطاط .

ثم انه اذا كان بطاركة الكنائس الملكية ضيوفاً على القسطنطينية يسميهم الامبراطور ويحسن اليهم البطريرك القسطنطيني فان مطارنة او رعاة كنيسة قبرس لم يكونوا في حالة احسن : اذ كان عليهم ان يحسبوا حساب غزو جيوش الخليفة واستبداد امبراطور الروم . وقد رأينا في العدد السابق ما جرى ليوحنا احد اولئك المطارنة وكيف التزم ان ينقل الكنيسة القبرسية برمتها من الجزيرة الى غربي برّ الاناضول قرب عاصمة الروم وكيف تصدقت عليه تلك العاصمة باقليم الدردنيل ليعيش فيه هو واساقفته وشعبه . يضاف الى ذلك كله انه بعد رجوع القبرسيين الى جزيرتهم كما مرَّ لم يقم المتروبوليت بقسطنسيا العاصمة القديمة لانه وجدها مخرَّبة بل جعل اقامته في مركز جديد قليل الاهمية وهو مدينة اماقوسطا (Ammakhoste) . فوالحالة هذه لم يكن في وسع متروبوليت قبرس ان يقوم نداً لبطريرك القسطنطينية بل التزم هو ايضاً ان يكون تابعاً له .

الفصل الثاني

من قيام الخلافة العباسية الى استرداد الروم لانطاكية (٧٥٠-٩٦٩)

١ً – كنيسة اورشليم

الحالة السياسية – بطاركة اورشليم – كرلوس الكبير (شرلمان) وكنيسة اورشليم – الانبثاق « من الآب والابن » – المشاهير المسيحيون .

الحالة السياسية (١)

١٥٩ – ان الحقبة التي نتكلم عنها في هذا الفصل قد امتدت نحو ٢٢٠ سنة ، واول ما حدث فيها قيام الخلفاء العباسيين الذين حكموا من سنة ٧٥٠ الى سنة ٨٧٠ ونقلوا عاصمة الخلافة من دمشق الى بغداد . ولما ضعف امرهم بعد ذلك اتخذوا لخدمتهم ومساعدتهم الطولونيين وهم سبط تركي دُعِي بهذا الاسم من احمد بن طولون زعيمهم . وكان احمد هذا قد ارسله الخليفة الى مصر واقامه حاكماً عليها فاستقلّ بالسلطان هناك ثم هجم على سوريا واستولى على دمشق متظاهراً بانه يريد ان يحامي عن الخلافة ، ثم اخذ انطاكية فجأةً ، وهكذا اسس دولة اقليمية ذات امارة تعاقب نسله فيها الى سنة ٩٠٥ .

وحينئذٍ نشأت شيعة جديدة يقال لها شيعة القرامطة (La Secte des Karmates) (٢) وانتزعت السلطة من الطولونيين ، فهبَّ الخلفاء العبَّاسيون

---

(1) Lammens, *o. c. I*, 129–142 + D. H. G. E. (*Antioche*), c. 593, 594

(٢) كان القرامطة على مذهب الاسماعيليين .

لمناوأتها واهلكوها وعادوا الى تولّي الاحكام بيدهم . ولم يطل الامر حتى قام الفاطميون سنة ٩٣٥ وهم من بلاد المغرب (Le Maroc) ، واخذوا يزعمون انهم من نسل فاطمة بنت النبي . ومدوا سلطانهم على شمال افريقية وكادوا يستولون على مصر . فقام الخليفة العبّاسي وولّى عليها امير دمشق محمداً بن طوغ الذى سمّى نفسه « الإخشيد »[1] . فقاوم هذا الفاطميين ولكنه اعلن استقلاله واستولى على الحجاز وعلى سوريا ايضاً . غير ان دولة الحمدانيين نازعته السيادة في حلب وشمال سوريا . وقد اشتهر من امرائها سيف الدولة (٩٤٤-٩٦٧) الذي جعل اقامته بحلب وتحصّن في قلعتها المشهورة ومنعها من نيقفور (Nicéphore) ملك الروم . وكان محبّاً للعلماء ورجال الادب فقرّبهم اليه . ولشاعره المتنبي قصائد مشهورة في مدحه (طالع ديوان المتنبي) .

وكان من نتائج هذه الحروب والانقسامات الداخلية في الخلافة العبّاسية ان روم القسطنطينية اغتنموا الفرصة ومدّوا سيطرتهم على هذه البلاد حتى قيصرية فلسطين . وهكذا استردّوا انطاكية وسوريا سنة ٩٦٩ واحتفظوا بها ما ينيف على مئة وعشر سنين .

واليك اسماء الخلفاء العبّاسيين مع تعيين سنة جلوسهم :

	سنة الجلوس		سنة الجلوس
ابو العباس السفاح	٧٥٠	موسى الهادي	٧٨٥
ابو جعفر المنصور	٧٥٤	هرون الرشيد	٧٨٦
محمد المهدي[2]	٧٧٥	محمد الامين	٨٠٩

(١) الاخشيد معناها ملك الملوك بحسب تفسير عيسى مخايل سابا (مختصر تاريخ سوريا ولبنان) ص٨٩ . (٢) عيسى مخايل سابا ص٧٧-٨٧- Lammens, *o. c.* *I*, *p.* 160

عبدالله المأمون	٨١٣	المطيع لله	٩٤٦
محمد المعتصم بالله	٨٣٣	الطائع لله	٩٧٤
هرون الواثق	٨٤٢	القادر بالله	٩٩١
جعفر المتوكل على الله	٨٤٧	القائم بامر الله	١٠٣١
محمد المنتصر	٨٦١	المقتدي بالله	١٠٧٥
احمد المستعين بالله	٨٦٢	المستظهر بالله	١٠٩٤
المعتز بالله	٨٦٦	المسترشد بالله	١١١٨
المهتدي بالله	٧٦٩	الراشد	١١٣٥
احمد المعتمد على الله	٨٧٠	المقتفي لامر الله	١١٣٦
احمد المعتضد بالله	٨٩٢	المستنجد بالله	١١٦٠
المكتفي بالله	٩٠٢	المستضيء بالله	١١٧٠
المقتدر بالله	٩٠٨	الناصر لدين الله	١١٨٠
القاهر بالله	٩٣٢	الظاهر بالله	١٢٢٥
الراضي بالله	٩٣٤	المستنصر بالله	١٢٢٦
المتقي (او المقتفي) بالله	٩٤٠	المستعصم بالله	١٢٤٢ - ١٢٥٨
المستكفي بالله	٩٤٤		

بطاركة اورشليم[1] :

في هذه الحقبة جلس على الكرسي الاورشليمي ستة عشر بطريركاً هذه اسماؤهم :

	سنة الترقي		سنة الترقي
ايليا الثاني	٧٦٧ ؟	باسيليوس	٨٢٠ ؟
جاورجيوس	٧٩٧ ؟	يوحنا السادس	٨٣٨ ؟
توما الاول	٨٠٧ ؟	سرجيوس الاول	٨٤٤ ؟

(١) تاريخ الدبس ٥ : ٢٥٦ - ٢٥٩ + ٢٤٠ - ٣٤٤ + ٤٣٥ - ٤٣٩ . شحادة ونقولا خوري ٥٣ - ٦٣ . ثم جدول البطاركة .

سليمان	٨٥٥؟	اثناسيوس	٩٢٩؟
ثاوذوسيوس الثاني	٨٦٢؟	خرستوذولس الاول	٩٣٧؟
ايليا الثالث	٨٧٨؟	اغاثون	٩٥٠؟
سرجيوس الثاني	٩٠٨؟	يوحنا السابع	٩٦٤؟
لاونديوس الاول	٩١٢؟	خرستوذولس الثاني	٩٦٦–٩٦٩؟

بعد البطريرك ثاوذوسيوس الاول الذي ذكرناه في الفصل السابق انتُخِب ايليا الثاني (٧٦٧ – ٧٩٧ ؟) . وقد مثَّله في المجمع المسكوني السابع (٧٨٧) الكاهنان توما ويوحنا . ولم يستطع حضور هذا المجمع بذاته اذ كان قد وُشي به للحكومة فنفته الى بلاد الفرس نحو سنة ٧٨٥ [١] واستمرَّ هناك زماناً طويلاً . ويُرَجح ان سنة وفاته كانت سنة ٧٩٧ (الكويان) .

وخلفه جاورجيوس سنة (٧٩٧–٨٠٧) الذي كان كاتبه واختاره هو قبل وفاته على ما روى لاونديوس (Léonce) الدمشقي في ترجمة القديس استفانس الذي من دير مار سابا .

وفي ايامه جاء بعض الرهبان البندكتيين من الغرب واقاموا لهم ديراً على جبل الزيتون تجاه اورشليم . ويظهر ان هذا البطريرك هو الذي ارسل الى الملك كرلوس الكبير (شرلمان) مفاتيح كنيسة القبر المقدس ومحل الجلجلة وراية من اورشليم على سبيل التبرك ، وكان هذا الملك قد ارسل اليه صدقات لتوزَّع على المسيحيين . ولعل هذه الرواية اصحّ من رواية بعضهم ان الخليفة هرون الرشيد هو الذي ارسل المفاتيح الى الملك كرلوس

(1) Pargoire, *o. c. p.* 277

المذكور وكانت وفاة البطريرك جاورجيوس هذا نحو سنة ٨٠٧ (الكويان)

وقام بعده توما الاول (٨٠٧ - ٨٢٠ ؟) الذي انفذ الى البابا رسالتين احدهما باسمه والاخرى باسم رهبان دير جبل الزيتون بشان الخلاف الذي وقع ما بينهم وبين رهبان دير القديس سابا في امر زيادة لفظة « والابن » [١] على قانون الايمان النيقاوي ، كما سنذكره في هذا الفصل .

واما بقية البطاركة فلا نعرف عنهم سوى ما يلي :

١) انّ باسيليوس (٨٢٠ - ٨٣٨ ؟) قد حامى عن تكريم الايقونات المقدسة ضد الملك ثاوفيلس .

٢) ان ثاوذوسيوس الثاني (٨٦٢–٨٧٨ ؟) الذي كان معاصراً لفوتيوس كتب رسالة الى القديس اغناطيوس بطريرك القسطنطينية سنة ٨٦٧ يعتذر فيها عن ان يحضر المجمع [٢] بنفسه وعن ان يكاتب القديس اغناطيوس بتواتر خوفاً من مراقبة الحكومة له ، ويقول انه اناب عنه الكاهن السنجلوس ايليا كاتبه .

٣) ان ملك الروم لاون السادس الحكيم (٨٨٦ – ٩١٢) اذ اراد ان يتزوج زواجاً شرعياً لرابع مرة عارضه نقولاوس بطريرك القسطنطينية وبيّن له ان هذا يناقض التهذيب الكنسي الشرقي . فكتب الملك الى البابا والى بطاركة الشرق، فافتوه وافتاه ايليا الثالث بطريرك اورشليم (٨٧٨–٩٠٨ ؟) بجواز ذلك ولو كان التهذيب الكنسي الشرقي يكرهه.

(١) اي المنبثق من الآب « والابن » .

(٢) هو المجمع المسكوني الثامن الذي انعقد سنة ٨٦٩ ضد فوتيوس .

كرلوس الكبير (شرلمان) وكنيسة اورشليم [1] :

١٦١ — ان العلاقات بين الفرنجة والمدينة المقدسة اخذت تزداد وتتوثق لمّا استولى الملوك الكرولنجيون الاولون على غرب اوربا واعادوا السلام والنظام هناك ونشروا العمران والتمدن في تلك البلاد (انظر الخارطة). وقام حينئذٍ كرلوس الكبير المعروف بشرلمان وارسل وفداً خاصاً سنة ٧٨٧ الى هرون الرشيد الخليفة العباسي المشهور [٢]. وارسل الكاهن زكريا الى بطريرك اورشليم، وكانت الغاية المقصودة بذلك افهام الخليفة مراد الملك المسيحي ان يبسط حمايته على نصارى الشرق. وتلك اول مرة نرى فيها ملوك الافرنج يتصلون بمسيحيي الشرق ليساعدوهم ويدافعوا عنهم. وفعل شرلمان هذا قد جعل له على الاماكن المقدسة نوعاً من الولاية العليا يمارسها بواسطة بطريرك اورشليم الرئيس الطبيعي الديني والمدني لجميع المسيحيين. ثم كان لمسعى شرلمان وفعله ذاك اثر آخر قريب ألاَ وهو تأسيس دير لاتين على جبل الزيتون، دير يجدّد (بعد انقطاع كذا طويل) العهد المسيحي القديم عهد القديسة ميلاني والمعلم روفينوس الاكويلي ومَن أتى بعدهما، ثم تأسيس مستشفى للحجاج والزوار في اورشليم [٣].

(1) D. T. C. : *Jérusalem*

(٢) كان الرشيد قد رغب في موالاة شرلمان فارسل اليه وفوداً وهدايا نفيسة فيها ساعة (كانت في اعين اهل المغرب وقتئذٍ من المدهشات) وفيها فيل كبير وغير ذلك. وكان يجمع الخليفة والملك المقاومة السياسية لخليفة الاندلس في الغرب ولملك الروم في الشرق.

(3) Boulanger (*Hist. de l'Egl.*) p. 178

الانبثاق من الآب والابن[1] :

١٦٢ — ان لفظة « والابن » (Filioque) التي أُضيفت الى قانون الايمان اولاً في كنيسة اسبانيا لم تدخل في كنيسة فرنسا الّا في القرن الثامن للميلاد . وحينئذٍ استُعمِلت هذه الزيادة في كنيسة قصر كرلوس الكبير .

ان الزيادة المذكورة كانت تُعدّ تجديداً ذا خطر في الشرق . لان الشرق اعتاد ان يتلو قانون الايمان النيقاوي كما هو اي بلا زيادة ولا نقصان . ولذلك لما تجاسر رهبان جبل الزيتون الغربيون واضافوا تلك الكلمة قامت عليهم قيامة دير القديس سابا ونعتوهم بالمبتدعين ، وهيّجوا عليهم كل مؤمني فلسطين .

ولتهدئة الحال بادر توما البطريرك الاورشليمي والرهبان اللاتين ورفعوا الامر سنة ٨٠٩ الى البابا لاون الثالث[2] . فاجابهم البابا مدافعاً عن حقيقة انبثاق الروح القدس من الآب والابن ، ولكنه رفض ان تضاف لفظة « والابن » الى قانون الايمان ، ونصح الرهبان الافرنج بحذف تلك الزيادة وامر بنقش قانون الايمان النيقاوي على لوحين من الفضة باللفظ اليوناني والحرف اللاتيني بدون زيادة ولا نقصان وبتعليق اللوحين في كنيسة القديس بطرس برومة .

غير انه فيما بعد قد جرت ما بين الشرق والغرب حوادث جديدة ، فدخلت تلك الزيادة حتى في الكنيسة الرومانية ، وذلك على عهد البابا بندكتس الثامن في الربع الاول من القرن الحادي عشر .

(1) Hemmer, *o. c. I*, 394-395
(2) Pargoire, *o. c. p.* 289

المشاهير المسيحيون :

١٦٣– اننا نكتفي بذكر مَن يلي منهم ، واغلبهم كانوا من دير القديس سابا قرب المدينة المقدسة . لان هذا الدير بعد ان اوى اليه في الحقبة السابقة القديسان يوحنا الدمشقي وقزما المنشي اسقف مايوما لبث كينبوع غزير يفيض [1] بالعلماء والقديسين والشهداء والمعترفين في القرنين الثامن والتاسع كما سترى .

١) ان اول من نذكره من اولئك المشاهير هم الآباء الابرار المقتولون في دير القديس سابا [2] . وهم : ١) خرستوفورس احد رهبان هذا الدير المرتد عن الاسلام والذي تم استشهاده في ١٤ نيسان سنة ٧٨٥ – ٢) عشرون راهباً قُتِلوا في ٢٠ آذار سنة ٧٩٦ – ٣) شهداء آخرون ذُبِحوا سنة ٨٠٩ . وتقيم الكنيسة اليونانية تذكار الجميع في ٢٠ آذار [3]

٢) البار استفانوس المنشي (Etienne le Mélode) [*] الذي من دير القديس سابا . كان استفانس هذا ابن اخت القديس يوحنا الدمشقي على ما يقال . وقد اكثر من صنع العجائب في حياته فسُمّي الصانع العجائب . وانشأ عدة قوانين وتسابيح تتلى في الفرض الكنسي فلُقِّب بالمنشي . وكتب اعمال استشهاد الآباء الابرار الذين قُتِلوا في ٢٠ اذار سنة ٧٩٦ السابق ذكرهم وكانت وفاته نحو سنة ٧٩٧ . ويُعَيَّد له مرتين في الكنيسة اليونانية كل سنة في ٢٨ ت١ و١٣ تموز [4] .

(1) Pargoire, o. c., 367, 368.
(2) Pargoire, o. c. 278, 279, 378.

(٣) سنكسار سواعية رومة (٢٠ آذار) (٤) ان بعض المؤلفين (ومنهم Pargoire, 368) يقولون بوجود قديسين اثنين باسم استفانس . ولكن سنكسار سواعية رومة (١٣ تموز) لا يقول الا بقديس واحد كما ذكرنا في المتن .

٣) البار يونان (Jonas) (*) ابو القديسين ثاوذورس وثاوفانس الموسومي الجبهة الآتي ذكرهما . دخل هذا البار دير القديس سابا وصار كاهناً . وكانت وفاته نحو سنة ٨١٣ .

٤ و ٥) القديسان الموسوما الجبهة (Grapti) (*) ثاوذورس وثاوفانس [1]

ان هذين المجاهدين قد ذهبا اوأُرسِلا من فلسطين الى القسطنطينية سنة ٨١٣ ليدافعا عن تكريم الايقونات المقدسة . وقد كابدا هناك انواع العذاب بسبب تلك المدافعة ولاسيما في ايام الامبراطور ثاوفيلس آخِر الملوك المحاربي الايقونات الذي امر ان ينقشوا على جبهتيهما بالحديد المحمى بالنار اثني عشر بيتاً من الشعر . وكانت وفاة اولهما (ثاوذورس) سنة ٨٤٤ وتقيم الكنيسة اليونانية تذكاره في ٢٧ ك ١ . اما ثاوفانس فتوفي في السنة التالية اي سنة ٨٤٥ وكان قد اقيم متروبوليتاً على مدينة نيقية المشهورة . وقد ترك لنا هذا القديس قوانين وتسابيح كثيرة في الفرض الكنسي ولذلك أُقِب بالمنشي . وتقيم الكنيسة الشرقية تذكاره في ١١ ت ١ (طالع سنكسار سواعية رومة)

٦) واخيراً القديس ميخائيل السنجلوس (Michel le Syncelle) (*) ان هذا القديس كان من رهبان دير القديس سابا ثم شُرطِن كاهناً واقيم رئيساً على الدير المذكور ومعلماً للقديسين الموسومي الجبهة السابقي الذكر . وجُعل رئيس الوفد الذي ارسله توما البطريرك الاورشليمي الى رومة بسبب زيادة لفظة «والابن» على قانون الايمان فقام بمهمته خير قيام ، فرقّاه البطريرك الاورشليمي الى رتبة « سنجلوس » . ثم توجه القديس الى القسطنطينية لاجل المدافعة عن قضية الايقونات واشتهر بفصاحته هناك كما في فلسطين وكانت وفاته سنة ٨٤٦ ، ولا ذكر له في سواعية الكنيسة الملكية على علمنا .

(1) Lagier, *o. c. pp.* 406, 407.

(*) طالع هذه الاسماء في فهرست (Pargoire) .

٢ً ـ كنيسة انطاكية

الدول العربية والروم البيزنطيون - تسامح وتشديد - بطاركة انطاكية - الرهبان الملكيون - المشاهير المسيحيون .

الدول العربية والروم البيزنطيون [1] :

١٦٤ - ان انحطاط الدولة الاموية ومشاحناتها الداخلية في آخر عهدها سهّلت عمل الروم البيزنطيين الذين لم ينفكّوا يطالبون بحقهم في تملك سوريا وكل اقاليم المملكة الرومانية التي انتُزِعت منهم . غير ان قيام الدولة العبّاسية الشديدة المراس حال دون مرادهم وانذرهم بشر مستطير . وعلى الحقيقة بقيت جيوش الخليفة العباسي ظافرة منتصرة نحو مئة سنة وكانت تجشِم مملكة وكنيسة الروم احياناً كثيرة اضراراً فادحة ماديّة وادبية .

وقد تضرّر من ذلك الروم الملكيون خصوصاً : فان هؤلاء المسيحيين ، مع تحفظهم الشديد ومع قطعهم كل علاقة لهم تقريباً مع خارج الخلافة العربية ، لم يسلموا من شرّ تلك الحروب . بل ظل الفاتحون ينظرون اليهم بعين الريبة ويتهمونهم بمالأة الروم البيزنطيين اخوانهم وابناء مذهبهم ويضيّقون عليهم لادنى سبب .

تسامح وتشديد [1] :

١٦٥ - على كلٍّ كان الامويون في آخر عهدهم والعباسيون الاولون يمزجون التسامح بالتشديد . فكان من نتائج تسامحهم انهم اطلقوا للملكيين ان ينتخبوا بطاركتهم ثم خلفاء هؤلاء بعد موتهم الى ما شاء الله . اجل ان اولئك الاحبار كانوا في حاجة ماسّة الى الفطنة والصبر على حدّ قول الانجيل

---

(1) D. H. G. E. (*Antioche*), c. 598,599+ Pargoire, *o. c.*, *pp.* 274–279
(1) Lammens, *o. c. I*, 136–138

«كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام» ثم كان يلزمهم لتستقيم احوالهم ان يتذرَّعوا بمعارفهم الطبّية واللغوية وان يتخذوا لهم اعواناً ومحامين من اهل دار السلطان ومن اطبّاء البلاط المسيحيين، ومع ذلك وقعوا احياناً في حبائل اعدائهم كثاودورس البطريرك الانطاكي الذي نُفِي الى بلاد مؤاب لدعواهم عليه انه يراسل قسطنطين الزبليّ الاسم ملك الروم. لكن البطريركيات الملكية الثلاث استمرّت من ذلك الوقت فصاعداً حاصلة على بطاركتها، ونال هؤلاء البطاركة الرخصة ان يجتمعوا معاً سنة ٧٦٤ ليأتمروا فيما يعود الى تكريم الايقونات المقدسة، وأُبيح لهم ان يعقدوا بعض المجامع الصغيرة لتنظيم احوالهم. واذا كان لم يُؤذَن لهم ان يشتركوا شخصياً في المجمع المسكوني السابع سنة ٧٨٧ المنعقد للدفاع عن تكريم الايقونات فقد امكنهم ان يرسلوا اليه نوّاباً عنهم. ورُخِص لهم بعض الاحيان ان يبعثوا وفوداً حتى الى الغرب.

ان الترخيص باعادة حياة الكنائس الملكية الى مجراها الطبيعي وايجاد السبب لازالة حزنها وطويل ارمالها، واعطاء الحرية لبطاركتها ان يمارسوا واجباتهم كل ذلك يدل على تسامح كريم. ولكن هذا التسامح لم يخلُ لسوء الحظ من بعض اوامر استبدادية كنا نتمنى لو لم تصدر. من ذلك ما فعله المنصور ثاني الخلفاء العباسيين، فانه سنة ٧٥٦ حظر على المسيحيين ان يبنوا كنائس جديدة وان يظهروا الصليب في الخارج ثم ان يباحثوا المسلمين فيما هو من خصائص الدين. وسنة ٧٥٧ فرض جزية حتى على الرهبان والمتوحدين، وفوَّض الى قوم يهود ان يجبوا الخراج حتى من خزائن الكنائس. وسنة ٧٥٩ نحّى المسيحيين عن مسك دفاتر ديوان الخراج. وسنة ٧٦٦ امر برفع الصلبان عن الكنائس ومنع كل احتفال كنسي يكون في الليل وحظر

تعلّم غير اللغة العربية من اللغات . وسنة ٧٧٢ فرض على المسيحيين واليهود ان يجعلوا لهم علامة فارقة تميّزهم عن المسلمين .

اجل ان الخليفة المنصور قد مات سنة ٧٧٥ ولكن تلك الاوامر الجائرة لم تمت معه . على انه التزم هو نفسه ان يلغي في حياته بعض تلك الاوامر من مثل ارجاع ادارة مالية الدولة وتسليمها الى ايدي المسيحيين . وقد مشى خلفاؤه على آثاره وآثار اسلافه من قبله في تسليم تلك المالية الى احبار النصارى لانهم رأوا فيهم الامانة والاخلاص والغيرة على مصلحة الدولة [1] . وكذلك لم ينفكّ اهل دار الخليفة يتخذون كتمة اسرارهم واطباءهم الخصوصيين من بين المسيحيين . وما سوى ذلك من الاوامر الجائرة لبث مرعيَّ الاجراء . وقد سال الدم المسيحي قبل المنصور ؛ امّا بعده فازداد عدد الشهداء كثيراً . واشتهر اضطهاد سنة ٧٨٠ خصوصاً وشمل كل اقاليم سوريا وكل الاشخاص حتى النساء . ولا حاجة ان نبين ان كل اهتداء من الاسلام الى النصرانية كان جزاؤه الموت قتلاً .

ان الغيرة على الدين الاسلامي كثيراً ما كانت سبباً لسفك تلك الدماء . ولكن هناك سبباً آخر لا يمتّ الى الدين بصلة : ألاَ وهو الطمع في اموال المقتولين وثرواتهم ، فانَّ أُسراً برمتها مُحِيَت لكي يستولي القاتلون على تركاتها . وكان يحصل ذلك خصوصاً في اثناء الحروب الاهلية . وقد جرى شيء من ذلك في فلسطين حتى على عهد هرون الرشيد سنة ٧٩٦ . [2]

---

(١) فهكذا كان رئيس شمامسة اورشليم يدير ديوان الجباية نحو سنة ٧٧٥ ، كما كان يديره من قبل اسقف مايوما (قرب غزة) سنة ٧٦٣ .

(٢) قد اجتهد شرلمان ان يخفف من الضغط على نصارى الشرق ولذلك كان يسعى لبثّ معاهدة صداقة مع هرون الرشيد (D. H. G. E. 599)

وقام اعراب البادية واخذوا يحذون حذو اهل السلطان . وكان ذلك وبالاً على الاديار خصوصاً : ففي السنة المذكورة سنة ٧٩٦ ذبح اولئك الاعراب عشرين من رهبان دير القديس سابا لانهم لم يجدوا عندهم شيئاً من المال .

وقد ازدادت تلك الاضطهادات في السنوات التالية حتى ان عدداً كبيراً من الفلسطينيين ومن اهل سوريا ايضاً التزموا ان ينزحوا الى قبرس او الى ارض الروم البيزنطيين .

على ان ضعف الخلفاء العباسيين في القرن التاسع وقيام دولة الطولونيين الاقليمة خففا من حدة تلك الاضطهادات فحصل المسيحيون على بعض الحرية وعلى الفرج بعد الضيق .

بطاركة انطاكية[1] :

١٦٦ – كانوا عشرة في هذه الحقبة ، وهذه اسماؤهم مع سنوات الفراغ الذي حصل بعد وفاة البعض منهم :

	سنوات البطريركية
– (فراغ نحو ١٩ سنة)	
١) ثاودوريطس (او ثاودورس)	٧٨٧ – ٨١٣؟
٢) ايوب	٨١٣ – ٨٤٥؟
– فراغ نحو سنتين	
٣) نقولاوس الاول	٨٤٧ – ٨٦٦؟
– فراغ اربع سنوات	

(1) D. H. G. E., *c.* 597–602 + D. T. C. (*Antioche*) c. 1407
الملكيون ٣٧ – ٤٥ . الحقائق الوضية ٣٦ – ٣٩ . تاريخ الدبس ٥ : ٢٥٢ – ٢٥٦ + ٢٣٨ – ٣٤٠ + ٤٣٢ – ٤٣٤

٤) استفانس الرابع	٨٧٠ (اقام يوماً واحداً)
٥) ثاودوسيوس الاول	٨٧٠ - ٨٩٠؟
– فراغ نحو سنتين	
٦) سمعان الاول ابن زرناق	٨٩٢ - ٩٠٧؟
٧) ايليا الاول	٩٠٧ - ٩٣٤؟
– فراغ سنتين	
٨) ثاودوسيوس الثاني	٩٣٦ - ٩٤٣؟
٩) ثاوخارسطس (شكرالله)	٩٤٤ - ٩٤٨؟
– فراغ ١٢ سنة	
١٠) خرستوفورس	٩٦٠ - ٩٦٩؟

بعد ثاوفيلكطس بن قنبرة الذي ذكرناه في الفصل السابق حصل فراغ نحو ١٩ سنة قبل ان اختير ثاودوريطس (او ثاودورس) اول بطاركة هذه الحقبة . وكان ثاودوريطس هذا ابن عامل ارمينيا الصغرى في ارض الروم، وبسبب اصله هذا البيزنطي اتهم بان له مع ملوك الروم علاقات خطرة على الدولة العربية . فنُفِي مرة الى ارض موآب في ديار العرب، وأُخرى (فيما يظهر) الى بغداد . ولما عاد الى كرسيه التزم ان يحرم قزما مطران حماة لانه مال الى محاربي الايقونات. واذ عُقِد المجمع المسكوني السابع النيقاوي الثاني سنة ٧٨٧ وكان البطريرك محبوساً [١] في بغداد ناب عنه الكاهن يوحنا ووقَّع على اعمال المجمع المذكور الذي اثبت وجوب تكريم الايقونات المقدسة، عملًا بقول القديس باسيليوس ان اكرام الصورة عائد الى عنصرها الاول .

وبعد ثاودوريطس قام البطريرك ايوب الذي استمرت بطريركيته نحو

(١) الحجج الراهنة ٣٧٣

اثنتين وثلاثين سنة (٨١٣ – ٨٤٥؟) . وقد اضطره الخليفة المأمون بن هرون الرشيد ان يمسح سنة ٨٢١ مغتصباً يقال له لاون ملكاً على الروم . وعبأ هذا المغتصب جيشاً في البلاد الخاضعة للخليفة . فقام اساقفة الروم وحرموا البطريرك ولم يتوفق المغتصب بل وقع بعد سنتين في يد ملك الروم ميخائيل الالثغ (٨٢٠ – ٨٢٩) .

ثم قام الخليفة المعتصم بالله سنة ٨٣٨ واراد ان يحاصر مدينة عمورية في اسيا الصغرى فاخذ معه البطريرك ايوب وامره ان يحرّض اهل هذه المدينة على الاستسلام للخليفة . ولكن هؤلاء استقبلوا البطريرك بالحجارة . ومع ذلك لم يمت حينئذٍ بل نحو سنة ٨٤٥ .

وفرغ الكرسي سنتَين ثم انتُخِب سنة ٨٤٧ نقولاوس الاول بطريركاً وقام خصم يزاحمه اسمه افسطاثيوس الصوري كان له في انطاكية وفي كل الجهات انصار كثيرون . واشتد الخلاف جدًّا وطال نحو عشر سنوات . فدخل امير سوريا (ابو سعيد) في الامر وقبض مالاً من الفريقين وقسم الكنائس بينهما . واخيراً توفي المغتصب افسطاثيوس قبل سنة ٨٦١ وكان يعضده فوتيوس بطريرك القسطنطينية ثم لحقه الى دار البقاء خصمه البطريرك نقولاوس نحو سنة ٨٦٦ .

وفرغ الكرسي نحو اربع سنوات . وفي هذه الاثناء عُقِد المجمع المسكوني الثامن (واستمر من ٥ ت ١ سنة ٨٦٩ حتى ٢٨ شباط سنة ٨٧٠) وكان توما متروبوليت صور يمثّل فيه البطريرك الانطاكي . ومعلوم ان هذا المجمع حكم على فوتيوس ، وصرَّح في قانونه السادس ان البطريركيات الملكية الثلاث لم تشترك في شقاق فوتيوس هذا الذي استمر ست سنوات (٨٦٣ – ٨٦٩) . وصرح مسجّل المجمع بان توما اسقف صور اذ لم يكن يحسن

التعبير عن افكاره باليونانية فوَّض الى الكاهن السنجلوس ايليا ممثل ثاوذوسيوس الثاني بطريرك اورشليم ان يقرأ عنه تصريحه .

اما ذهاب توما الى القسطنطينية فكان باجازة من احمد بن طولون الذي كان يريد ان يستقلّ عن الخلافة العبَّاسيَّة في سوريا وكان يعتمد على معاضدة دولة الروم له ولذلك اذن لتوما المذكور بالذهاب الى القسطنطينية وادّعى بانه ارسله ليسعى في خلاص الاسرى المسلمين الذين في بلاد الروم. ولما كان الاسقف المذكور يخشى ان تقع عليه الريبة اذا اطال اقامته هناك اخذ منذ اول جلسة من جلسات المجمع يشكو امره الى الآباء ويستحثهم على الاسراع . فلما فرغوا من المجمع بادر للرجوع الى سوريا . وحينئذٍ جرت المفاوضات لانتخاب بطريرك لانطاكية . فوقع الانتخاب في اواخر سنة ٨٧٠ على استفانس الرابع . ولكن هذا اقام يوماً واحداً فقدِّس ومات .

فانتخبوا بعده ثاوذوسيوس الاول (٨٧٠-٨٩٠ ؟) الذي اسماه ابن بطريق[1] المؤرخ « تدوس » وقال انه اقام احدى وعشرين سنة ومات . وفي عهده عقد فوتيوس مجمعاً ألغى فيه بعض ما جاء في المجمع المسكوني الثامن ورضي البابا يوحنا الثامن بذلك . وكان باسيليوس اسقف ميافرقين يمثل البطريرك ثاوذوسيوس وقد اعترف مع البابا وكل اساقفة المسكونة ببطريركية فوتيوس الثانية على القسطنطينية[2]

وعلى اثر وفاة البطريرك ثاوذوسيوس الاول فرغ الكرسي الانطاكي سنتين . وفي سنة ٨٩٢ اختير سمعان بن زرناق بطريركاً ثم استدعاه الملك لاون السادس الحكيم سنة ٩٠٧ الى القسطنطينية لكي يبتّ مع قصَّاد البابا

(١) سعيد بن بطريق ٢ : ٦٩

(٢) الاجتهاد في سبيل الاتحاد ص ٥ وما يليها .

سرجيوس الثالث (٩٠٤—٩١١) ومع سائر البطاركة هل يسوغ للملك ان يتزوج زواجاً شرعياً للمرة الرابعة خلافاً لرأي بطريرك القسطنطينية نقولاوس الاول . فرفض سمعان ان يذهب بنفسه الى هناك واكتفى بارسال معتمد من قبله . وافتى الجميع بجواز ذلك الاقتران ولو كان التهذيب الكنسي الشرقي يكرهه . (ولذا لا ترى له رتبة في الافخولوجي)[1]

وبعد هذا الحادث بقليل توفي البطريرك سمعان فخلفه ايليا الاول (٩٠٧—٩٣٤ ؟) ودامت بطريركيته نحو ٢٧ سنة . ومما وقع له انه اراد ان يجدّد جثلقة الفرس اذ ازداد عدد الملكيين كثيراً ببغداد في ذلك العهد ، وارسل الى هناك اسقفاً اسمه يوحنا ينوب عنه . فعارضه ابرهيم جثليق النساطرة ونال من الخليفة فرماناً يحظر على ذلك الاسقف ان يجعل اقامته ببغداد ؛ ويجيز له ان يذهب الى هناك ليتفقد شؤون ابناء طائفته ويقوم بحاجاتهم ثم يعود راجعاً الى وطنه[2] .

واذ اشتعلت نار الحرب في تلك الاثناء بين العرب والروم البيزنطيين تجدّد الاضطهاد على المسيحيين : ففي ت ١ سنة ٩٢٤ ثار المسلمون بدمشق وهدموا كنيسة القديسة مريم الكاثوليكية (اي الكاتدرائية) وكانت كنيسة كبيرة حسنة أُنفِق عليها مئتا الف دينار[3] ونهبوا ما كان فيها من آنية وحلل وستور ، ونهبوا ديارات كثيرة منها دير الراهبات الذي كان بجانب الكنيسة . وهدموا كنيسة النساطرة ايضاً

وبعد وفاة ايليا انتخب استفانس الكاتب بطريركاً باسم ثاوذوسيوس

(١) طالع الافخولوجي الكبير ص ٧٣ وما يليها

(٢) الملكيون ص ٤٣ (عن ابن العبري)

(٣) ابن بطريق ٢ : ٨٢ و٨٣ .

الثاني (٩٣٥ – ٩٤٣ ؟) واستمرت بطريركيته نحو ثماني سنوات وكتب ثاوفيلكطس بطريرك القسطنطينية اليه والى بطريرك الاسكندرية ان يذكرا اسمه في الذبتيخا ، فاجاباه الى ذلك وكان اسم اولئك البطاركة قد انقطع من كنائس الملكيين منذ عهد بني اميّة ، وكذلك اسماء الباباوات بل اكثر من ذلك : فان المؤرخ يحيى بن سعيد الذي كان ملكيًا من انطاكية [1] في القرن الحادي عشر († ١٠٥٠ ؟) يبين في بدء تاريخه انه من سنة ٦٨٥ الى سنة ١٠٠٠ كان يُذكر على الدوام (في بطريركية الاسكندرية) اسم البابا القديس بندكتس الثاني الذي جلس على السدة البطرسية سنة ٦٨٤ و٦٨٥ [2] . وذلك لانهم لم يعرفوا اسم احد من خلفائه الى زمان يوحنا الثامن عشر الذي دبَّر الكنيسة من سنة ١٠٠٣ الى سنة ١٠٠٩ [3] .

وفي ايام ثاوذوسيوس الثاني نُقِل (نحو سنة ٩٤٢) منديل السيد المسيح من مدينة الرها الى القسطنطينية ذلك المنديل الذي رُسِمت فيه صورة ربنا يسوع المسيح الغير المصنوعة بيد . وتقيم الكنيسة اليونانية تذكار هذا النقل في السادس عشر من شهر آب .

وتوفي ثاوذوسيوس الثاني نحو سنة ٩٤٣ فخلفه ثاوخارسطوس (شكر الله) (٩٤٤ – ٩٤٨ ؟) وتولى البطريركية نحو اربع سنوات . وفرغ الكرسي بعده زهاء اثنتي عشرة سنة لداعي الحروب بين الروم والعرب .

ثم اختير خرستوفورس بطريركاً نحو سنة ٩٦٠ ودامت بطريركيته نحو تسع سنوات. وكانت الحرب في عهده بين الروم والمسلمين سجالاً وكان هو صديقاً اميناً لسيف الدولة بن حمدان صاحب انطاكية . فلما ثارت فتنة على

(1) Statistica, *p.* 138

(٢) الموجز ، ص ٣٨ (٣) يحيى بن سعيد الانطاكي ، ٩٢ و ٩٨

هذا الامير الحمداني سنة ٩٦٥ خرج البطريرك من انطاكية لئلا تقع عليه تهمة وسار الى دير القديس سمعان العمودي وبقي فيه الى ان عاد سيف الدولة . فقصده البطريرك الى حلب فاحسن سيف الدولة ملتقاهُ وشكر له ما فعله [١] وعفا عن كثيرين من اعدائه اكراماً له . ولكن بعض زعماء انطاكية حسدوا البطريرك وحقدوا عليه اذ كانوا يفكرون ان يثوروا على الامير من جديد . فلما دخل جيش الروم الى انطاكية في ٢٩ ت ١ سنة ٩٦٩ وافتتحها خرج منها احد اولئك الزعماء فلقي في طريقه البطريرك فطعنه بالرمح وقتله . اما انطاكية فبقيت في يد الروم نحو ١٢٠ سنة .

هذا ما رواه معجم التاريخ والجغرافية الكنسية في لفظة انطاكية (Antioche, c. 206) . ولعل ما رواه المؤرخ يحيى بن سعيد الانطاكي (ص ١٢٧ و١٣٥) اقرب الى الصواب . وهذه خلاصته : بعد وفاة سيف الدولة اتفق ثلاثة من زعماء انطاكية المسلمين على الايقاع بالبطريرك منهم واحد يقال له « ابن مالك » . فقصده البطريرك ليعاتبه او ليسترضيه (وكان قد نال له العفو من سيف الدولة) . فلما وصل اليه في الليل وحادثه نهض الزعيم عليه واستنفر اصحابه فوثبوا على البطريرك بالخناجر ولما سقط على الارض قطعوا رأسه وطرحوه في اتون حمّام بجوار دار ابن مالك . وحملوا جثته وطرحوها في النهر في ٢٢ ايار سنة ٩٦٧ . وانفذ ابن مالك قبل الصبح قوماً الى كنيسة القسيان (وهي الكاتدرائية) وقبضوا على ما وجدوه في منزل البطريرك وفي خزانة الكنيسة . . . واخذوا كرسي مار بطرس وهو كرسي من خشب النخل مصفّح بفضة وحفظوه في دار شيخ من شيوخهم يُعرَف بابن عمر . ولم يزل في داره الى ان ملك الرومُ المدينةَ . . .

ولبث كرسي انطاكية بعد قتل البطريرك خرستوفورس بلا بطريرك سنتين وتسعة اشهر . ولما علم الامير ابو المعالي بن سيف الدولة بفتح انطاكية رحل عن حلب سنة ٩٦٩ م وعاد الى انطاكية واحضر ابن مالك فحبسه اياماً ثم اخرجه الى جسر باب

(١) الملكيون ، ص ٦٤ و٦٥ . الحقائق الوضية ، ٣٦ – ٣٩

البحر حيث طُرحت جثة البطريرك خرستوفورس وقطعه بالسيف عضواً عضواً ورمى بكل ناحية قطعة .

الرهبان الملكيون (١)

١٦٧ – في الحقبة التي وصلنا اليها زالت الرهبانيات الملكية او كادت تزول من القطر المصري لان الاديار اصبحت كلها تقريباً للاقباط .

اما في سوريا ولاسيما في فلسطين فثبتت ولكن تحفّ بها المصاعب والمتاعب من كل جهة . ومما زاد في الطين بلة : ١) الزلزال الذي حدث في ١٨ ك٢ سنة ٧٤٦ وهزَّ مصبَّ نهر الاردن وبراري اليهودية (٢) وهدم اديارا وكنائس كثيرة ، ٢) الامر الذي اصدره الخليفة المنصور سنة ٧٥٧ وألغى فيه الانعامات والمنَعَة عن الاشخاص المكرسين لله وجعل الرهبان ملتزمين ان يؤدوا الجزية للحكومة كغيرهم من الناس . فصار الجُباة كل يوم يطالبونهم بمال جديد . واصبح ذلك القانون ضربة تكاد تكون قاضية . ولذا جعل بعض المؤرخين هذه السنة ٧٥٧ سنة اصدار القانون المذكور بدء الانحطاط الفظيع لرهبانيات الشرق .

وعلى الحقيقة نرى في دير القديس سابا (بفلسطين) نحو سنة ٧٨٠ فريقين من الرهبان احدهما سوري والآخر يوناني . ولكن هذا الدير وسائر الاديار لم تكن عائشة براحة في تلك الايام بل كان يساورها القلق على الدوام وينكد عيشها إزعاج الحكومة ونهب اعراب البادية ويتهدّدها الموت نفسه . وفعلًا قد خرج منها حينئذ عدة شهداء . فانه من سنة ٨٠٩ الى سنة ٨١٣ في الحرب الاهلية التي اشتعلت ما بين اولاد هرون الرشيد

(1) Pargoire, 307, 308

(٢) شحاده ونقولا خوري ، ٥٢ .

قلّ الامن وازداد الاضطهاد حتى ان اغلب الرهبان هجروا قلاليهم ونزحوا الى بلاد المسيحيين .

ثم ان الرهبانيات في القرنَين الثامن والتاسع كان لا يزال فيها سيَّاح متوحدون ورهبان ذوو عيشة مشتركة . وكان في فلسطين مناسك فضلًا عن الاديار وكان فيها كما في سوريا حُبَساء فُرِضَتْ عليهم الجزية سنة ٧٥٧ . ويظهر ان اعمدة الامبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢) قرب مدينة الرها كان لا يزال يعيش عليها عموديون كثيرون الى سنة ٧٥٠ . بل وُجد متبالهون لاجل المسيح بعد ذلك بخمسين سنة كسمعان الصالوص مثلًا . ومع ذلك اخذت العيشة المشتركة تتغلب على عيشة الانفراد ومال اليها كل الرهبان تقريباً لانها آمن .

المشاهير المسيحيون[1] :

١٦٨ – اننا لا نذكر منهم الّا مَنْ يلي :

١) ثاودورس ابو قرّة (ويروى ابو قارة) Théodore Abou-Kara :

هوَ ثاودورس الاسقف الملكي لحاران في بلاد ما بين النهرين . عاش في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع (٧٤٠-٨٢٠؟)[2] وتأثّر اعقاب القديس يوحنا الدمشقي في محاربة البدع كالنسطورية واليعقوبية والمونوتيلية وغيرها ولذلك دُعي تلميذه . وهو اول كاتب ملكي معروف صنَّف ميامره بالعربية رأساً . ويُعَدّ من اعظم الكتبة الكنسيين وابرعهم في المصنَّفات الجدلية .

(١) طالع اسماء هؤلاء المشاهير في فهرست Pargoire

(٢) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (بقلم المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي). بيروت ، طبعة سنة ١٩٢٤ ، ص ٢٣ و ٢٤

وقد نشر له المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي سنة ١٩٠٤ ميمره البديع « في تحقيق ناموس موسى والانجيل الطاهر وتحقيق الارثوذكسية وابطال كل ملّة تنتحل النصرانية سواها » . ثم طبعه على حدة واضاف اليه ترجمة افرنسية سنة ١٩٠٤ ايضاً ونشر له ميامره نقلاً عن نسخة خطية في مكتبة دير المخلص . وله تآليف اخرى مخطوطة توجد في مكاتب مختلفة [1]

٢) القديس ثاودورس اسقف الرها Théodore d'Edesse (+ ٨٥٠ ؟)

كان هذا القديس اولاً من رهبان دير القديس سابا في فلسطين ثم انتخب متروبوليتاً لمدينة الرها المشهورة ، وكان مقرّباً الى الخليفة المأمون لانه شفاه من مرض اعيا الاطباء . وله تأليف نسكي ذو مئة فصل ، وله ايضاً عدة مقالات في الايمان يحارب فيها ذوي البدع من نساطرة ويعاقبة وغيرهم . ولا ذكر له في كتب الطقس الملكية على علمنا . ان هذا القديس مع ثاودورس ابي قرة هما من الاساقفة الملكيين الذين ينتمون الى الكنيسة اليونانية البيزنطية بالايمان فقط (اذ قد كتبا بالعربية) اما الاساقفة الذين سبقوهما فينتمون اليها باللغة اليونانية فضلاً عن الايمان .

٣) اغابيوس المنبجي [2] ويدعى ايضاً محبوب بن قسطنطين اسقف منبج (اي جرابلس) الرومي الملكي . كان في القرن العاشر للميلاد . له تاريخ عربي من اول الخليقة الى زمانه . دعاه « كتاب العنوان الكامل بفضائل الحكمة » ارسله الى رجل اسمه عيسى بن الحسين . وقد طبعه المرحوم الاب

---

(١) طالع كتاب « ميامر ثاودورس ابي قرة اسقف حران اقدم تأليف عربي نصراني » المطبوع في مطبعة الفوائد ببيروت سنة ١٩٠٤ وهو الذي نشره المرحوم الاب قسطنطين الباشا ب م

(٢) المخطوطات العربية ، ص ٣٣

لويس شيخو اليسوعي في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٠ - ١٩١٢ في مجموعة الكتبة النصارى الشرقيين . ونشره ايضاً في باريس المستشرق الروسي ڤاسيلاف مع ترجمة فرنسوية في السنة ذاتها .

٤) قسطا بن لوقا [١] هو فيلسوف نصراني وُلد في بعلبك وتوفي في ارمينية نحو سنة ٩٢٣ وله عدة تصانيف وتعريبات من اليونانية الى العربية . وقد عدّد له صاحب المخطوطات العربية عدة مجاميع ورسائل وتعريبات مخطوطة موجودة في مكاتب مختلفة .

٥) نظيف بن يُمن [٢] وهو قسّ بغدادي رومي ملكي متطبب كان في القرن العاشر، اتخذه عضد الدولة طبيباً له وولاّه بيمارستانه في بغداد . شرح كتب اوقليدوس (المهندس اليوناني) المشهور ونقل عنه ابن عسال مقالة في الاتحاد .

٦) واخيراً يوحنا بن يوسف بن الحارث [٣] . كاهن رومي ملكي شرح اوقليدوس ايضاً وكان في القرن العاشر للميلاد .

٣ً كنيسة الاسكندرية

الحكم الزمني - البطاركة - بدعة محاربي الايقونات - شقاق فوتيوس - حالة صعبة واعتزال شديد عن العالم المسيحي .

الحكم الزمني [٤] :

١٦٩ - في مصر كما في فلسطين وسوريا قد تغيَّر الحكم او بالحري الدولة الحاكمة اربع مرات في هذه الحقبة :

(١) المخطوطات العربية ص ١٧٠ - الملكيون، ص ٣٤

(٢) المخطوطات العربية ، ص ٢٠٥ (٣) المخطوطات العربية ، ص ٢٢١

(4) D. T. E. (*Alexandrie*) c. 795

فمن سنة ٧٥٠ الى ٨٧٠ خضع الشرق للخلفاء العبّاسيين .

ومن سنة ٨٧٠ الى ٩٠٥ خضع للامراء الطولونيين وهم دولة اقليمية متحدّرة من اصل تركي .

ومن سنة ٩٠٥ الى ٩٣٥ عاد الخلفاء العبّاسيون فتسلّموا الحكم بيدهم كما كانوا قبل سنة ٨٧٠

ومن سنة ٩٣٥ الى سنة ٩٦٩ حكم الامراء الإخشيديون في مصر وجنوب سوريا ونازعهم السيادة الحمدانيون في الشمال السوري .

البطاركة [١] :

١٧٠ – كانوا اثني عشر في هذه الحقبة . واليك اسماءهم مع ذكر سني بطريركيتهم ، نقلاً عن معجم التاريخ والجغرافية الكنسي [١]

بوليتيانوس	٧٦٧ – ٨٠١	خرستوذولس (عبدالمسيح)	٩٠٦–٩٣٢
افسطائيوس	٨٠١ – ٨٠٥	افتيشيوس	٩٣٣ – ٩٤٠
خرستوفورس	٨٠٥ – ٨٣٦	صفرونيوس الثاني	؟
صفرونيوس الاول	٨٣٦ - ٨٥٩	اسحق	؟
ميخائيل الاول	٨٥٩ - ٨٧١	ايوب	؟
ميخائيل الثاني	٨٧١ – ٩٠٣	الياس الاول	نحو ٩٦٩

لا نعرف من هؤلاء البطاركة سوى بوليتيانوس [٢] وسوى ميخائيل الاول وميخائيل الثاني اللذين كانا معاصرين لفوتيوس بطريرك القسطنطينية المشهور ، وسوى افتيشيوس اي سعيد بن البطريق (او ابن بطريق) المؤرخ الشهير الذي ولد نحو سنة ٨٧٧ وتوفي سنة ٩٤٠ م . وكان طبيباً

(1) D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 366

(٢) بوليتيانوس او بلطيانوس (Politien) نقل من الرومي الى العربي كتاب

ماهراً قبل ان أقيم بطريركاً . وقد الف اربعة كتب (اولها) في الطب ، (والثاني) محاورة بين مسيحي ومبتدع ، (والثالث) في التاريخ من خلق العالم الى ايامه ، (والرابع) في تاريخ صقلية بعد ان اخذها المسلمون .

اما تاريخه العام المذكور فيُعرف بنظم الجوهر من عهد آدم الى زمانه وهو مشهور ومن اقدم التواريخ النصرانية وقد وَجدوا فيه نقائص كثيرة وسيأتي ذكره فيما بعد [١] .

بدعة محاربي الايقونات [٢]

١٧١ — ان مصر قلّما تدخلت في مسئلة حرب الايقونات التي كانت تقلق الشرق في بدء الحقبة التي وصلنا اليها . وبطاركة رومة والاسكندرية وانطاكية واورشليم لم يُدعَوا الى المجمع الذي عُقِد في القسطنطينية بامر الملك قسطنطين الزبلي الاسم سنة ٧٥٤ وحرَّم تكريم الايقونات . بل بعد هذا المجمع بعشر سنوات اجتمع البطاركة الملكيون الثلاثة قزما الاسكندري وثاودورس الانطاكي وثاودورس الاورشليمي ونبذوا تلك البدعة وحكموا عليها سنة ٧٦٤ .

ومعلوم ان الكنيسة اليونانية كلها تعيد في اواسط شهر ت ١ للمجمع المسكوني السابع الذي انعقد سنة ٧٨٧ في نيقية ضد البدعة المذكورة .

فلاحة الارض : لاناطوليوس البيروتي ، وكان حاذقاً في الطب ، فانفذ الى بغداد ليعالج احدى حظايا هرون الرشيد . فبرئت على يده فوهبه الخليفة مالاً كثيراً وكتب له منشوراً برد جميع الكنائس والاديار التي أخذت من الملكيين . فاسترد البطريرك كنائس واديارًا كثيرة (المسرة ٣٤ ، سنة ١٩٤٨ ، ص ٥٤٧ و٥٤٨)

(١) تاريخ الدبس ، ٥ : ٤٤٤ والمخطوطات العربية ، ص ٤

(2) D. H. G. (*Alex.*) c. 354, 355

بل اننا نرى حتى في ايامنا هذه السنة الكنسية القبطية تقيم تذكار هذا المجمع الذي فيه الراهب توما مثَّل الكنيسة الاسكندرية والبطريرك بوليتيانوس الملكي اول بطاركة هذه الحقبة .

شقاق فوتيوس

١٧٢ – اما في مسئلة شقاق فوتيوس فقد كان لمصر بعض المداخلة في القرن التاسع . ان فوتيوس المذكور توصَّل سنة ٨٥٧ الى ان يحل محل القديس اغناطيوس بطريرك القسطنطينية ، وقد اذهل الاسكندرية وانطاكية ارتقاؤه السريع من الحالة العلمانية الى المقام البطريركي ثم انه لم يلبث ان دخل في كفاح ضد البابا نقولاوس الاول وشكا الى بطاركة الشرق بعض العادات الجارية في الغرب منتقداً لها .

وسنة ٨٦٧ عقد مجمعاً ادخل فيه معتمدين كذبة لسائر البطاركة . وكان معتمد الاسكندرية الذي اختاره رجلًا اسمه لاونديوس يوناني الاصل كان قد أُخِذ اسيراً الى مصر ، فافتداه البطريرك ميخائيل الاول .

ولما التأم المجمع المسكوني الثامن سنة ٨٦٩ في مدينة القسطنطينية كتب البطريرك ميخائيل المذكور الى الملك باسيليوس يقول : اني لا استطيع على البعد ان اصدر حكماً . ولكني استأذنت حكومة مصر في ارسال معتمد عني . وها أنا مرسل اليكم (الكاهن) يوسف ليمثلني في المجمع . وفعلًا قام يوسف هذا وحكم على فوتيوس . ووافق البطريرك ميخائيل الاول على حكمه مع انه بعيد عن المجمع .

ولما قام بعد ذلك فوتيوس وعقد سنة ٨٧٩ مجمعاً بعد موت القديس اغناطيوس بطريرك القسطنطينية ليثبت نفسه في البطريركية وينقض رسوم

المجمع السابق ارسل البطريرك الاسكندري ميخائيل الثاني معتمداً جديداً اسمه قزما ووافق على اعمال المجمع الجديد وعلى القانون القاضي بالغاء المجمع المسكوني الثامن . « لان (البابا) يوحنا الثامن قد رضي بذلك ولو بشيء من الكره » على ما قال صاحب كتاب الاجتهاد في سبيل الاتحاد (ص ٥ وما يليها) .

حالة صعبة واعتزال شديد عن العالم المسيحي [1] :

١٧٣ – اذا عدنا الى القرن السابع للميلاد نرى ان مملكة الروم خسرت نهائياً القطر المصري . وتحت ولاية العرب المسلمين نرى هذا القطر يصبح شيئاً فشيئاً عربياً دينه الاسلام .

وفي الحقبة التي وصلنا اليها اي في القرن الثامن قام العباسيون ونكّلوا بالمسيحيين اجمعين على اختلاف مذاهبهم واثقلوا بالضرائب كواهل الجميع من اقباط وملكيين وساموهم جميعاً عيشة ذلّ وهوان . . .

فلما نمى خبر ذلك الى شرلمان ملك الفرنسيس رقّ لحال المسيحيين وارسل اليهم مساعدات ، وسعى ان يخفف النير الذي وُضع عليهم وان يليّن قلوب ساداتهم العرب بكلام عذب ورسائل لطيفة وهدايا .

ولكن تلك الحالة الصعبة المستمرّة غلبت شجاعة كثيرين من النصارى فأسلموا . واذا كان اقبال الاقباط على الاسلام شديداً حتى قلّ عديدهم فان الملكيين لم يكونوا افضل منهم بل صار عددهم يقلّ يوماً عن يوم . وازدادت عزلة الكنيسة القبطية فلم يبقَ لها من علاقة الّا مع انطاكية .

واما حالة الملكيين فاستمرّت في صعوبة وهبوط . بل ازدادت صعوبتها في القرن التاسع اذ حُظر عليهم ان يفتحوا مدارس تعلّم اللغة اليونانية .

(1) D' T. C, (*Alex.*) c. 795, 796 – D. H. G. E. (*Alex.*) c. 354

فالتزموا ان يتعلموا العربية . ولكن هذه اللغة لم تدخل يومئذٍ في الليتورجيا بل في الكلام فقط . فهكذا نرى البطريرك خرستوفورس الاول (٨٠٥–٨٣٦) يعظ باللغة اليونانية في القرن التاسع . اما افتيشيوس اي سعيد بن بطريق فنراه في القرن العاشر (٩٣٣–٩٤٠) يضع تاريخه بلغة الضاد رأساً .

وعلى ذكر هذا التاريخ نقول : انه يدل على انحطاط عظيم في العلم . واغلاطه الكثيرة توضح ان المؤلف لم يكن بين يديه معلومات كثيرة قديمة . واللوائح الاسقفية التي فيه تقف عند البابا القديس اغاثون (٦٧٠–٦٨١) فيما يخص مدينة رومة ، وعند البطريرك ثاوضوطس كاسيتيراس (Théodote Cassitéras) فيما يخص كنيسة القسطنطينية . وترينا تلك اللوائح ان العلاقات يومئذٍ لم تكن سهلة ولا متواترة .

وفعلًا لم يكن بين مصر ونصارى الغرب سوى علاقات تجارية فقط . فقامت مدينة البندقية (Venise) في القرن التاسع واغتنمت الفرصة وسرقت رفات القديس مرقس ونقلته اليها (٨٢٨) .

اما مع مدينة القسطنطينية او البطريركية المسكونية فكانت العلاقات افضل واوفر . وازدادت هذه العلاقات كثيراً لما ضعفت بيزنطية ولم تعد تخيف القاهرة . وسنرى ماذا كانت نتيجة هذه العلاقات بالنسبة الى الملكيين فيما بعد ان شاء الله تعالى .



الفصل الثالث

من استرداد الروم لانطاكية الى مجيء الصليبيين
(٩٦٩ ـ ١٠٩٨)

١ً ـ كنيسة اورشليم

الحالة السياسية – شقاق الروم – بطاركة اورشليم – ملاحظة خطيرة .

الحالة السياسية [١] :

١٧٤ – ان مملكة شرلمان لم تعمِّر طويلاً فانها منذ اواسط القرن التاسع اصبحت اسماً دون مسمى . ولذا فبطاركة اورشليم لم تعد تتَّجه ابصارهم الى الغرب لطلب النجدة والمساعدة بل الى القسطنطينية التي اخذت وقتئذٍ تجدّد قواها .

وفعلاً كانت جيوش الروم – في الحقبة التي وصلنا اليها – قد استردَّت سوريا والقسم الشمالي من فلسطين، ولم تتمكن من استرجاع فلسطين الجنوبية ولا المدينة المقدسة . بل بقيت هذه في ايدي الفاطميين سلاطين مصر الذين قدموا اليها من بلاد تونس . وكان اشهر هؤلاء السلاطين

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 603 – 605 D. T. C. (*Jérusalem*) c. 1001

الحاكم بامر الله (٩٩٥-١٠٢٠) الذي بالغ في التضييق على النصارى واليهود .

وبعد انقضاء ملكه المشؤوم كانت كنيسة اورشليم في حالة يرثى لها لما حلَّ بها من الاضطهاد ومن ارتداد ابنائها المسيحيين عنها ومن النهب الذي افقرها والدمار الذي اصاب اشهر كنائسها وآثارها . . .

ولم يصلها بعض الاسعاف الا من القسطنطينية . فقد عقدت بين السلاطين الفاطميين وملكي الروم قسطنطين الثامن (١٠٢٥-١٠٢٨) وميخائيل الرابع (١٠٣٤ - ١٠٤١) معاهدة كان من جملة بنودها انه يحق لملوك الروم ان يعيدوا بناء كنيسة القيامة على نفقتهم [١] ويباح للمسيحين الذين اسلموا قهراً ان يعودوا الى النصرانية .

وفعلاً قد تجددت أهم آثار اورشليم على عهد ملك الروم قسطنطين التاسع الذي يقال له مونوماخس اي المبارز (١٠٤٢ - ١٠٥٤) . وبعد وفاة هذا الملك اراد الخليفة العباسي القائم بامر الله ان يتخلص من بني بويه الايرانيين الذين كانوا حاكمين باسمه [٢] فدعا السلجوقيين الاتراك لمعاونته عليهم فاسرع طغرول بك زعيمهم سنة ١٠٥٥ الى انقاذ الخليفة . ولكنه استولى على السلطة بدلاً من بني بويه وفرض وصايته على الخليفة . ثم حارب باسمه جيوش الروم في اسيا الصغرى . وقد خلفه ألب ارسلان سنة ١٠٦٣ وحارب الروم هو ايضاً وانتصر عليهم سنة ١٠٧١ . وكانت هذه

(١) شحادة ونقولا خوري، ٦٣-٦٨

(٢) الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ١٣ و١٤ و١٠٣

الغلبة الانذار الاول بقرب خراب المملكة البيزنطية : ففيها دخل الاتراك اراضي المملكة ولم يخرجوا منها بعد ذلك الى اليوم . وسنة ١٠٧٥ استولى (الملك شاه) ابن السلطان ألب ارسلان على فلسطين ثم على دمشق . وسنة ١٠٨٤ استولى امير ايقونية سليمان السلجوقي على انطاكية وطرد جيوش الروم منها . ولما باغت الصليبيون سوريا سنة ١٠٩٨ كان فيها سلطنتان سلجوقيتان ضعيفتان خاضعتان اسمياً للخليفة العباسي ، عاصمة احداهما حلب والاخرى دمشق [1] .

شقاق الروم [2] :

١٧٥ – رأينا في العدد السابق كيف بسطت دولة الروم حمايتها على المدينة المقدسة بما اسدته الى كنيستها من الفضل والاسعاف . ولكن تلك الحماية وذلك الفضل كان يخشى ان يكون ثمنه غالياً اي ان يكون له نتائج غير مرضية على مستقبل الكنيسة الاورشليمية : فانه منذ القرن السابع للميلاد اي منذ الفتح العربي اصبح بطاركة اورشليم خارجين عن نفوذ القسطنطينية لخروجهم عن دائرة سلطتها واصبحوا يتطلعون بالاحرى الى رومة ويمشون في سياستهم على منهاجها ويحفظون لها الاحترام التقليدي القديم . واذا رأيت موقفهم حائراً في مسئلة فوتيوس فما ذلك الّا تبعاً لحيرة وتردد الدواوين الرومانية نفسها . ولكن العلاقات الحسنة بين البطريركيات الملكية وبين رومة لم يطرأ عليها اقل تغيير .

اما الآن وقد عادت تلك البطريركيات فخضعت للنفوذ البيزنطي فصار يخشى عليها ان تعدل عن الطريق السويّ وتنحاز الى القسطنطينية ،

(1) *Mouterde*, o. c. p. 61.
(2) D. T. C. *Jèrusalem* ibid.

وتشاركها في مخاصمتها لرومة القديمة ، وبالنتيجة ان تقع في الشقاق عاجلاً أم آجلاً وهذا ما سنبينه في موضعه ان اراد الرب .

بطاركة اورشليم (١) :

١٧٦ – كانوا عشرة في هذه المدة. واليك اسماءهم مع تاريخ جلوسهم :

	سنة الترقي		سنة الترقي
توما الثاني	٩٦٩ ؟	نيكيفورس الاول	١٠٢٠ ؟
يوسف الثاني	٩٨٠ ؟	يوانيكيوس	؟
اغابيوس	٩٨٣ ؟	صفرونيوس الثاني	١٠٤٠ ؟
اورستوس	٩٨٤ ؟	افثيميوس الاول	؟
ثاوفيلس الاول	١٠١٢ ؟	سمعان الثاني	١٠٨٤ ؟

مات البطريرك خرستوذولس الثاني الذي ذُكِر في الفصل السابق فخلفه توما الثاني نحو سنة ٩٦٩ . وبعد ذلك احتلَّ فلسطين الخليفة الفاطمي « المُعِزّ لدين الله » ٩٧٣ . فدخلت كنيسة اورشليم منذئذٍ في دور جديد اي في عهد الدولة الفاطمية .

وسنة ٩٨٠ رقي الى الكرسي الاورشليمي البطريرك يوسف الثاني وكان طبيباً ماهراً ثم ذهب الى مصر لاجل مهمة كنسية ومات هناك .

فخلفه اغابيوس مطران سلفكية المكنّى بابي سهيل سنة ٩٨٣ وكان من قيصرية فيلبس (اي بانياس) ودامت بطريركيته سنة واحدة .

وفي السنة التالية (سنة ٩٨٤) ارتقى الكرسي الاورشليمي البطريرك اورستوس وكان لغوياً عالماً . وكان له اخت اسمها مريم تزوجها الخليفة العزيز (ابن المعز لدين الله) في مدينة الاسكندرية فكانت سبباً لترقية اخيها المذكور الى الكرسي الاورشليمي ثم لترقية اخ آخر لها اسمه (ارسانيوس) الى كرسي الاسكندرية .

(١) شحادة ونقولا خوري : ص ٦٢ – ٦٨ لوكيان (في تاريخ الدبس) ٥ : ٤٣٨ و ٥٠٦ وما يليها .

وبعد ذلك قام (الحاكم بامر الله) الخليفة الفاطمي ابن العزيز المذكور قُبَيله ثم شرع يضطهد المسيحيين واليهود ... ودام اضطهاده عشر سنوات وقُتِل فيه خلق كثير وتوفي اورستوس في القسطنطينية .

فانتُخب ثاوفيلس الاول بطريركاً لاورشليم نحو سنة ١٠١٢ في اثناء الاضطهاد . على انه في سنة ١٠١٧ رفع الحاكم بامر الله ذلك الاضطهاد عن المسيحيين فجأةً ومنحهم الحرية الدينية وسمح لهم ببناء كنائسهم التي هدمت وردّ املاك الاديار والكنائس اليها. فاحتفلت الكنيسة الاورشليمية لهذا التغيير العجيب وقرعت النواقيس ابتهاجاً ...

ومات البطريرك ثاوفيلس نحو سنة ١٠٢٠ فنُصِب مكانه نيكيفورس الاول وكان هذا قساً يونانياً أُخذ اسيراً الى مصر واقامه الحاكم بامر الله مهندساً لمشروعاته – لانه كان ماهراً في صناعة البناء والنحاتة – ثم اقامه بطريركاً على اورشليم . ولا نعلم كم سنة كانت مدة بطريركيته .

وخلفه يوانيكيوس ولا نعلم شيئاً عنه . وقام بعد يوانيكيوس صفرونيوس الثاني . وفي ايامه تقاطر الحجاج والزوار الى بيت المقدس . وجاء منهم جماعة سنة ١٠٦٤ وعددها ٧ آلاف نفس يرئسها اربعة اساقفة من جرمانيا . فكمنت لهم عصابة من اللصوص قرب الرملة وهجمت عليهم وتقاتل الفريقان فكان النصر حليف الزوار بمساعدة حكومة الرملة التي اوصلتهم الى القدس بكل راحة وامان فقبلهم البطريرك صفرونيوس بمزيد الحفاوة والترحاب .

ثم توفي هذا البطريرك فخلفه افثيميوس الاول ولا نعلم سنة انتخابه ولا شيئاً من اعماله . وقد مرَّ (عد ١٧٤) ان السجلوقيين غلبوا الفاطميين واستولوا على فلسطين سنة ١٠٧٥ .

وبعد تسع سنوات (اي سنة ١٠٨٤) او نحو ذلك رقي الى الكرسي الاورشليمي البطريرك سمعان الثاني آخر بطاركة هذه الحقبة . وسيأتي ذكره في الفصل التالي .

ملاحظة خطيرة :

١٧٧ – ان تواريخ الاعصر الوسطى مقتضبة قليلة لا تروي غليلاً وسقيمة غير مؤكَّدة فلا يصح الاعتماد عليها كثيراً . ولذلك ترانا نوجز ونتحفَّظ في تاريخها لعدم وجود المعلومات الاكيدة الكافية . وكل منصف يجد لنا عذراً في ذلك لان ظلمات بعضها فوق بعض تكتنف تلك العصور !

٢ً – كنيسة انطاكية

استرجاع دولة الروم لانطاكية – بطاركة هذه المدينة – الملكيون وشقاق الروم – البطريركية الانطاكية قُبيل مجيء الصليبيين – انتخاب البطاركة والمطارنة وتثبيتهم – حالة وعدد الكهنة والرهبان والمؤمنين يومئذٍ – مشاهير الرجال .

استرجاع دولة الروم لانطاكية (1) :

١٧٨ – ان الحِقبة التي وصلنا اليها كانت من امجد حِقب مملكة الروم البيزنطية ، وكانت انتصارات ملوكها المعروفين بالمكدونيين (٨٦٧-١٠٥٧) باهرة من جهة الغرب والشمال . وقد ردّ هؤلاء الملوك غزوات البربر واخضعوهم لسلطانهم ، ونشروا الثقافة البيزنطية والدين المسيحي بين شعوب اوربا الشرقية ، فتنصّر الروس على عهد اميرهم القديس ڤلاديمير الاول (٩٧٢ – ١٠٠٥) الذي قبِل سرّ العماد سنة ٩٨٩ .

وأما من الجهة الشرقية والجنوبية فقد أُعيدت حدود مملكة الروم الى داخل سوريا ، فان نواب الامبراطور نيكيفورس فوقا (٩٦٣ – ٩٦٩) قد اخترقوا اسوار انطاكية في ٢٩ ت١ سنة ٩٦٩ واخذوا المدينة عنوةً بالسيف . ثم استولوا على معظم القطر السوري . فكان هذا الفتح سبباً اتاح لمملكة

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 603, 604 + D. T. C. (*Antioche*) c. 1407

الاجتهاد في سبيل الاتحاد / ص ١١ ، ١٢ + لوكيان (في تاريخ الدبس) ٥ : ٣٩٣ وما بعدها .

الروم ان تتوسع وتنظم اقاليم جديدة ، وتحول (ولو الى حين) دون تقدم الجيوش العربية . ووصل الفتح الى فلسطين وأمل الروم ان يستولوا على اورشليم وعلى سائر الاماكن المقدسة وان يعيدوا المملكة الى رونقها القديم في المشرق [1] ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك .

وخلف نيكيفورس فوقا يوحنا زيميسيس القائد المظفَّر الذي يلقبه العرب بالشمشيق (٩٦٩ — ٩٧٦) وهو الذي بلغ بفتوحاته الى ابواب اورشليم . وقام بعده الامبراطور باسيليوس الثاني قاتل البلغار (٩٧٦ — ١٠٢٥) الذي على عهده بلغت المملكة اوج عزها .

على ان الملوك الذين اتوا بعده كانوا مهملين امور المملكة او امراء لا شأن لهم يُذكر ، او ملكات عاجزات عن ضبط الاحكام . فدنت بهم مملكة الروم الى الخراب لولا ان الله قيَّض لها دولة آل كومنينوس التي نهضت بها من جديد وردَّت لها شيئاً من سالف مجدها .

اما سوريا فلبثت بلاداً ذات صبغة عسكرية ، وكان يدير امورها حاكم عسكري يقال له الدوق (اي القائد) . ودام احتلالِ الروم لها الى سنة ١٠٨٤ اي مئة وخمس عشرة سنة [2] . وكان من نتائج هذا الاحتلال ان عاد النفوذ اليوناني اليها ولاسيما في الشمال السوري حيث انطاكية العاصمة . وكثر عدد القادمين اليها الذين كانت الحكومة تنقلهم المرة بعد المرة ليستوطنوا فيها ويتعزز بهم العنصر اليوناني والملكي .

---

(١) انظر خارطة : « نهضة دولة الروم في القرن العاشر » .

(٢) في سنة ١٠٨٤ اخذ الامير سليمان السلجوقي انطاكية من يد الروم فاضطر هؤلاء ان ينسحبوا من سوريا . (*Mouterde*, o. c., p. 80)

بطاركة انطاكية (١) :

١٧٩ – بلغ عدد هؤلاء البطاركة اثني عشر ونيفاً في هذه الحقبة واليك اسماءهم :

	سنة الترقي		سنة الترقي
افستراتيوس	٩٦٩	باسيليوس الثاني	١٠٤٢ ؟
ثاودورس الاول	٩٧٠	بطرس الثالث	١٠٥٢ ؟
اغابيوس الاول	٩٧٨	يوحنا الرابع	١٠٥٦ ؟
يوحنا الثالث	٩٩٧	ثاودوسيوس الثالث	١٠٥٧ ؟
نقولاوس الثاني	١٠٢٥	اميليانوس	١٠٧٤ ؟
ايليا الثاني	١٠٣١	نيكيفورس الاسود	١٠٨٩ ؟
ثاودورس الثاني	١٠٣٢	يوحنا الخامس	١٠٩٨ ؟

كان الكرسي الانطاكي قد فرغ بعد مقتل البطريرك خرستوفورس الذي مرَّ ذكره في الفصل السابق . فلما استولى الروم على انطاكية عيَّن الملك نيكيفورس فوقا افستراتيوس اسقف احدى مدن كيليكيا بطريركاً ، وهكذا ارجع اقليم كيليكيا الى البطريركية الانطاكية بعد ان كان قد سُلِخ عنها منذ اربع او خمس سنوات اي منذ احتلال الروم لكيليكيا (ما بين سنتي ٩٦٢ و ٩٦٥) (٢)

---

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 603 – 613 + D. T. C. (*Antioche*) c. 1408, 1409.

الحقائق الوضية ٣٩ – ٤٧ ؛ الملكيون ٤٥ – ٥٥ ؛ الاجتهاد ١٥ – ١٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ لوكيان (في تاريخ الدبس) ٥ : ٤٣٣ ، ٤٣٦ + ٥٠٣ – ٥٠٦ .

(2) H. Musset (Hist. du christianisme) I, 384 sq.

ولكن افستراتيوس لم يكد يُعيَّن حتى قُتل الامبراطور نيكيفورس فوقا الذي عيَّنه . فقام يوحنا الشمشيق والغى تعيينه (ولذا لا يذكره المؤرخون) واختار بدلاً منه ثاودورس الاول[1] (٩٧٠ — ٩٧٦) الذي كان راهباً مشهوراً باماتاته وتقشفاته (وربما كان قد تنبأ للشمشيق انه مزمع ان يصير ملكاً) . ورُقي الى المنصب البطريركي بواسطة بطريرك القسطنطينية يوم الاحد ٢٣ ك ٢ سنة ٩٧٠ . وأُعيدت الى البطريرك الانطاكي سلطته على ايصوريا وعلى جميع الكنائس والاديار التي انتُزِعت منه قبل فتح انطاكية وأُعطي في القسطنطينية دير سيدة المرشدين (Couvent de N. D. des Hodèges) لكي يسكن فيه مدة اقامته بتلك العاصمة ، وأُطلق له ان يقيم القداس ويباشر الحبريات ويمنح الرسامات في كل الوكالات الانطاكية الموجودة في البطريركية القسطنطينية[2] .

ومما يروى عن هذا البطريرك انه نال من الشمشيق ان ينقل الى بلاد تراقية الهراطقة البوليقانيين (Pauliciens) وهم ضرب من الهراطقة المانيين المقلقين الذين كانوا مقيمين في شمال سوريا . ولم تطل بطريركية ثاودورس هذا كثيراً لان الله توفاه اليه في مدينة طرسوس سنة ٩٧٦ وهو ذاهب الى القسطنطينية بدعوة من الملك باسيليوس الثاني قاتل البلغار[2]

فأُقيم اغابيوس الاول (اسقف حلب) بطريركاً مكانه سنة ٩٧٨ واستمرت بطريركيته ١٨ سنة (٩٧٨ — ٩٩٦) . وقد احتجَّ ايليا بطريرك الاسكندرية على انتقال اغابيوس من الاسقفية الى البطريركية

(1) Théodore de Colonée .
(2) Voir: Echos d'Orient (1934) pp. 129 — 147

ورفض اولاً الاعتراف ببطريركيته . ولكنه سلّم اخيراً بما قدمه له اغابيوس من البراهين المقبولة ومن امثلة الانتقال القديمة . فاعترف به بطريركاً ووضع اسمه في الذبتيخا . ويظهر ان اغابيوس هذا ابدى غيرة عظيمة في ضم اليعاقبة الى الكنيسة الكاثوليكية . ولكنه عرَّض نفسه ومنصبه للخطر باشتراكه في ثورة « برداس فوقاس » على الملك باسيليوس الثاني . فنفاه الملك اولاً ثم اضطره ان يستقيل سنة ٩٩٦ . وتوفي البطريرك بعد ذلك بسنتين في ٨ ايلول سنة ٩٩٨

فخلفه يوحنا الثالث الذي كان قبلًا خرطوفيلاكس (اي حافظ اوراق وسجلات) كنيسة اجيا صوفيا في القسطنطينية ثم أُقيم بطريركاً انطاكياً بامر الملك باسيليوس الثاني المذكور قبيله .

وكان هذا البطريرك معاصراً « للحاكم بامر الله » المضطهد المشهور ، وقد سَلِم معظم اقاليم البطريركية من اضطهاده لان تلك الاقاليم كانت خارجة عن ولاية هذا الحاكم . واستمرَّت بطريركية يوحنا الثالث نحو ٢٥ سنة ثم انتقل الى ربه .

وكان في حياته قد تنزل ١) عن امتيازات الكرسي الانطاكي للبطريرك القسطنطيني : لانه خاف على مركزه من ان يعود المطارنة الانطاكيون فينتخبوا سالفه للبطريركية مكانه (وكان هذا قد ندم على تقديم استقالته) . فاعطى الكرسي القسطنطيني حق انتخاب ورسامة البطريرك الانطاكي دون مطارنة وشعب الابرشية الانطاكية ! ٢) تنزل عن الجُعل اي المبلغ السنوي الذي كان يتقاضاه من جثلقة الكرج ، وحوَّل هذا المبلغ الى زميله بطريرك اورشليم سنة ١٠٠٠ ولكنه احتفظ بحقه في ان يذكر هو وحده في الذبتيخا ، وفي ان يرسل عند اللزوم معتمداً بطريركياً يتفقد احوال

الكرج الروحية ، ويجمع واردت املاك الكرسي الانطاكي التي في بلاد الكرج (طالع مجلة اصدقاء الشرق الفرنسية سنة ١٩٣٤ ص ١٣٦).

ثم فرغ الكرسي الانطاكي ثلاث سنوات وأُقيم بعدها نقولاوس الثاني رئيس دير الاسطوديون في القسطنطينية بطريركاً على انطاكية وذلك في ١٧ شباط سنة ١٠٢٥ ، واستمرت بطريركيته خمس سنوات فقط (١٠٢٥ – ١٠٣٠) وفي اثنائها بُذلت مساعٍ كثيرة لضم يعاقبة سوريا الى المذهب الارثوذكسي فلم تحصل نتيجة . وكانت وفاة البطريرك المذكور في ٧ ت٢ سنة ١٠٣٠ .

ثم تولّى البطريركية ايليا الثاني وكانت مدته قصيرة اي سنة وخمسة اشهر (من ١٠ نيسان سنة ١٠٣٠ الى ١٨ ايلول سنة ١٠٣٢).

فخلفه ثاودورس الثاني (١٠٣٣ – ١٠٤١؟) وكان قبلاً يدعى جاورجيوس واقام في البطريركية ثماني سنوات ارسل في اثنائها من قِبلهِ معتمداً بطريركياً يزور بلاد جاورجيا او الكرج ويصلح ما يراه فيها من الخلل او الشكوك .

وقام بعده باسيليوس الثاني ولا نعرف شيئاً عنه .

وبعد وفاته خلَفه البطريرك بطرس الثالث (١٠٥٢ – ١٠٥٦؟) الذي كان من اعاظم البطاركة الانطاكيين ومن اشهرهم . وهو آخر بطريرك ذُكر في التاريخ الكنسي العام . وقد كان من اشراف مدينة انطاكية ومن كبار رجال حكومتها قبل هجره العالم وترهّبه في احد الاديار وقبوله الدرجات الكهنوتية . ولما جلس على الكرسي الانطاكي ارسل رسالة الشركة Συστατικὴν γραφὴν (Lettre de communion) الى سائر

البطاركة والى الحبر الروماني . ولكن صعوبة المواصلات في ذلك الزمان بين الشرق والغرب جعلت رسالته الى البابا لاون التاسع تمكث سنتين ونيفاً في الطريق قبل وصولها اليه ، حتى ظنَّ بطرس الثالث انها فُقدت ، فارسل غيرها . ولكن قبل وصول الرسالة الثانية الى البابا تسلَّم البطريرك جواب لاون التاسع الذي يشكره فيه على شعوره نحو الكنيسة الرومانية ويعده بالمساعدة اذا احتاجت اليها الكنيسة الانطاكية .

وبعد ذلك بقليل كتب بطرس الثالث الى دومينيكوس بطريرك غرادو في ايطاليا، فاجابه هذا بجواب لطيف جدًّا مبدياً احترامه لكنيسة انطاكية، وشكا اليه متألماً من لاون اسقف أُخريدة [١] اليوناني الذي كتب الى يوحنا اسقف تراني في ايطاليا رسالة كلها مطاعن ضد الكرسي الرسولي وانتقد فيها مرَّ الانتقاد العوائد اللاتينية المخالفة لعوائد اليونان الطقسية [٢] . فاجابه بطرس الثالث مجتهداً ان يثبت جمال العوائد اليونانية . ولكنه ابدى نفوره واشمئزازه بل ذعره من شقّ ثوب كنيسة المسيح محرّضاً دومينيكوس ان يكون واسطة خير ومصالحة بين البابا والشرق .

ولما اعلن ميخائيل كيرولاريوس بطريرك القسطنطينية انفصاله عن رومة كتب اليه بطرس الثالث معاتباً على فعلته هذه : لان المسائل التي كانت موضوع الجدال بين الروم واللاتين ليست من الخطر والاهمية بحيث تستدعي

(١) أُخريدة مدينة هي اليوم في بلاد الصرب اي يوغوسلافيا، اما في ذلك الزمان فكان اسقفها متروبوليتاً على كل بلاد البلغار (الاجتهاد : ١٧)

(٢) كان موضوع الانتقاد الامور التالية : التقديس على الفطير بدلاً من الخمير، الصيام يوم السبت ، اكل اللحوم المخنوقة ، الامتناع عن ترتيل « الليلويا » في الصوم الكبير. Albers-Hedde, I, 377.

الانفصال ، ولانه لا يصحّ ان يُطلب من الافرنج ما يُطلب من اليونان المتمدنين . ومما جاء في رسالته الى كيرولاريوس قوله :

« انهم (اي اللاتين) اخوتنا ولو كان جهلهم وبساطتهم يجرّانهم كثيراً الى امور غير ملائمة عندما يركبون هواهم . ولا نستطيع ان نطلب من البرابرة الغيرة التي يحق للناس ان يطلبوها منا نحن المتمدنين . اني اسألك واستحلفك وابتهل اليك ؛ اني بالفكر انطرح لدى قدميك وأسأل غبطتك الالهية ان تلين وتراعي الظروف ؛ اني ارتعد هلعاً اذ اراك فيما انت تقصد ان ترأب هذا الصدع تصل الى ما هو اسوأ ، الى الشقاق الوخيم العاقبة » .

ومن مآثر بطرس الثالث ايضاً: ١) انه اعاد صوم (اي قطاعة) السيدة وكان هذا الصوم قد أُلغي في القرن العاشر في الكنيسة البيزنطية . ٢) انه حافظ على استقلال وكرامة الكنيسة الانطاكية : فانه اذ أرسل يوماً الى القسطنطينية احد شمامسته اجترأ البطريرك كيرولاريوس ومنح هذا الشماس رتبة كنسية . فلما عاد الشماس الى انطاكية طرده البطريرك ومزق صكّ رتبته ثم عاتب البطريرك القسطنطيني عتاباً مريراً وبيّن له ان انطاكية هي كرسي رسولي وانها ليست بادنى من القسطنطينية في شيء ، وانه لا يقبل ان يتخلى عن « الامتيازات الانطاكيّة » ولو فعل مثل ذلك يوحنا الثالث احد اسلافهِ . فاعتذر اليه كيرولاريوس ونسب الذنب في ذلك الى كاتم اسراره الذي سلّم الشماس الانطاكي صكّاً بدون امره . (اصداء الشرق).

ولم تطل المدة ببطرس الثالث حتى توفاه الله الى رحمته . فقام بعده يوحنا الرابع (١٠٥٦ — ١٠٥٧ ؟) وهو الذي على عهده انقضّت الصاعقة على كنيسة القديس بطرس الكاتدرائية في انطاكية فهدمتها . وخلفه ثاوذوسيوس الثالث المدعو خريصوفرجيس(؟) ثم اميليانوس(؟) ثم نيكيفورس

الاسود (؟) ثم يوحنا الخامس (١٠٨٨ ؟ – ١١٠٠) وهو الذي على زمانه وفد الصليبيون وافتتحوا انطاكية في شهر حزيران سنة ١٠٩٨ كما سنبينه في الفصل التالي .

الملكيون وشقاق الروم [1] :

١٨٠ – هنا لا بدَّ ان يبدر الى الذهن هذان السؤالان : ١) بماذا كانت تقوم رابطة الاتحاد مع الكرسي الروماني في ذلك الزمان ؟ ٢) في اي وقت دخل الشقاق الكنائس الملكية ؟

١) ان رابطة الاتحاد او الوحدة ما بين البطريركيات الشرقية والكرسي الرسولي الروماني المقدس كانت ، بمقتضى التهذيب الكنسي القديم ، تقوم بثلاثة اشياء : ١ً – بان يُنفِذ كل بطريرك جديد كتاباً (Συστατικὴν γραφήν, lettre de communion) الى زملائه البطاركة ولاسيما الى بابا رومة ليطلعهم على انتخابه فيجاوبوه هم عليه . وكان تبادل تلك الكتابة بمثابة طلب ونيل التثبيت في عصرنا هذا . مثال ذلك رسالة البطريرك بطرس الثالث الانطاكي التي مرَّ ذكرها في العدد السابق ، وجواب البابا القديس لاون التاسع عليها . ٢ً – بان يذكر البطريرك في الذبتيخا البطاركة الآخرين ولاسيما بطريرك رومة القديمة اي البابا . وهذه الذكرى كانت واجبة على البطريرك وحده دون سواه [2] وفيها تقوم الرابطة المنظورة للوحدة . اما المطارنة فكان عليهم ان يذكروا بطريركهم الخاص فقط . واما الاساقفة فمطرانهم اي متروبوليتهم الخاص . واما الكهنة فاسقفهم لا غير . ٣ً – كان (ولا يزال) للحبر الروماني الحق في ان يقبل كل

---

(١) طالع المراجع المذكورة في العدد السابق .

(2) Echos d'Orient, 1934, p. 143 sq.

دعوى تُرفع اليه وان يدخل في امور الشرق كلما رأى ذلك مناسباً . ولكنه بالفعل لم يكن يدخل الّا في الامور الخطيرة. وعلى كل حال كانت مداخلته اقلّ بكثير ممّا هي عليه اليوم .

٢) اما من حيث دخول شقاق الروم في البطريركية الانطاكية فقد زعم كرلفسكي (صاحب مقالة « انطاكية » في معجم التاريخ الكنسي) ان الشقاق دخل في البطريركية الانطاكية بعد بطرس الثالث حالًا على عهد البطريرك ثاوذوسيوس الثالث المدعو « خريصو ڤرجيس » نحو سنة ١٠٥٧ . ولكن غروميل (Grumel) نقض هذا الزعم بأدلة مقبولة في مقالة ادرجها في مجلة «اصداء الشرق» [1] والصحيح اننا لا نعلم متى كان ذلك . والظاهر انه حدث مع الزمان وبعوامل شتى . وكان حدوثه على وجه سلبي اي بعدم ارسال البطاركة رسالة الاتحاد الى الكرسي الرسولي وبعدم ذكرهم البابا في الذبتيخا . ومعلوم ان الاتحاد الكنسي كان منوطاً بالبطريرك وحده . فاذا قطع رابطة الوحدة اوقع البطريركية كلها في هوة الشقاق وابقاها فيه ما شاء من الزمان دون ان يقع عليها ذنب : بل يكون الذنب كله والاثم الصوري عليه وحده . وكان المطارنة والاساقفة وسائر الاكليرس والشعب يعرفون بابا رومة حينئذٍ كما يعرفه عامة الشعب اليوم ويكاد لا يكون لهم ادنى علاقة معه . [2]

وينبغي ان نعلم ان هذا الشقاق كان مـادياً وصورياً عند البطاركة الانطاكيين الذين كانوا من العنصر اليوناني ، ومادياً فقط، على ما يظهر ،

(1) Echos d'Orient, 1934, p. 143 sq.

(٢) الموجز ٣٠ .

عند البطاركة المنتخبين من العنصر الوطني وعند عامة الاكليرس والشعب الملكي . وقد استمرّ الشقاق بهذه الصفة المادية قروناً طويلة .

اما في البطريركيتين الاورشليمية والاسكندرية فليس عندنا علم اكيد بالزمن الذي وقع فيه الانفصال ، ولا سيما فيما يختص ببطريركية اورشليم . ولكن يسوغ لنا القول انه منذ ابتداء الحروب الصليبية اصبحت علاقات البطريركية الاسكندرية مع رومة غير ممكنة عملياً ولو أن شعور الاتحاد مع الكرسي الرسولي بقي قوياً الى القرن الخامس عشر .

امـا منذ القرن السادس عشر اي من بعد الفتح العثماني (١٥١٦ – ١٥١٧) لهذه البـلاد فاصبح الكرسيان الاسكندري والارشليمي من ممتلكات اكليرس اليونان ، وبالتالي دخل فيهما الشقاق وتغلب اخيراً على الاتحـاد .

البطريركية الانطاكية قبيل مجيء الصليبيين [1] :

١٨١ – قبل ان نأخذ في الكلام على الحروب الصليبية التي ستُحدِث تغييراً وتبديلاً في البطريركية الانطاكية يحسن بنا ان نلقي نظرة سريعة على حالتها الداخلية . فنقول :

قُبَيل الفتح العربي اي في القرن السادس للميلاد كان عدد الكراسي الاسقفية ١٥٣ بحسب لائحة القديس انسطاسيوس الاول البطريرك الانطاكي [2] وبعد ذلك استمرّ الناس ينسخون هذه اللائحة على علّاتها تقريباً ، دون ان يراعوا ما طرأ على تلك الكراسي من التغيير والنقصان على عهد الدول

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 611, 612 + D. T. C. (*Antioche*) c. 1409 – 12

(٢) طالع العدد ١٢٣ (في المجلد الاول) .

العربية المتتابعة . على ان هذا النقصان كان بطيئاً في الاول لان الدولة الاموية كانت متسامحة ، ولم يكثر الارتداد عن النصرانية الى الاسلام الّا على عهد العبّاسيين ومَن اتى بعدهم .

ثم ان لائحة القديس انسطاسيوس التي نسخت في القرن العاشر تحتوي على تحديدٍ للابرشيات البحرية من نهر الكرمل حيث تبتدىء بطريركية اورشليم الى نهر روسوس في كيليكيا الذي هو الحدّ الفاصل ما بين بطريركيتي انطاكية والقسطنطينية . ومن هذه اللائحة نعرف ان ثلث الكراسي الاسقفية كان قد زال . بل اذا اعتبرنا هذا الامر وهو أن الشعب المسيحي يكون على سواحل البحر اكثر منه في داخل البلاد يسوغ لنا ان ننقص عدد الكراسي الباقية ايضاً اي ان نقول ان خمسين او ستين كرسياً على الكثير بقيت خاضعة لانطاكية في ذلك العهد (اصداء الشرق سنة ١٩٠٧ ص ١٠١) .

اما فيما يخص الجثلقات المتعلقة بانطاكية فقد جُدِّدت جثلقة سلوقية المدائن (اي جثلقة الفرس) نحو سنة ٩١٣ على عهد البطريرك ايليا الاول (٩٠٧ – ٩٣٤ ؟) كما رأينا في العدد (١٦٦) ودُعيت جثلقة مدينة السلام او جثلقة بغداد . ولكن سلطة الجثليق قُصرت على تجار هذه العاصمة من يونان وملكيين ، وربما لم يكن للجثليق سوى اهمية اسقف ينوب عن البطريرك في ايامنا هذه .

والشيء نفسه ينبغي ان يقال عن جثليق « روجير Romagyris » اي ارض الروم في نيسابور عاصمة اقليم خُراسان في بلاد العجم .

اما جثليق الكرج فقد رأينا (عد ١٥١) ان البطريرك ثاوفيلكطس

ابن قنبرة اطلق للكرجيين ان ينتخبوه وان ينصِّبوه هم، على شرط ان يؤدوا كل سنة مبلغاً من المال ورأينا ان هذا المبلغ قد حوَّله نحو سنة ١٠٠٠ البطريرك يوحنا الثالث الى البطريرك الاورشليمي زميله . واحتفظ لنفسه بالحق في ان يُذكَر وحده في الذبتيخا وان يرسل معتمدين من قبله يتفقدون احوال تلك الجثلقة . على اننا نستفيد من اقوال بلسمون القانوني الشهير ان الجثلقة المذكورة نالت استقلالها التام على عهد البطريرك بطرس (بل ثاوذوسيوس) الثالث في النصف الثاني من القرن الحادي عشر .

انتخاب وتثبيت البطاركة والمطارنة [١] :

١٨٢ – اننا نقسم هذه المدة الطويلة (٦٣٤ – ١٠٩٨) الى حقبتين او عهدَين :

١) ففي العهد الاول (اي منذ الفتح العربي الى عودة حكم الروم الى بلاد المشرق ٦٣٤ – ٩٦٩) كان انتخاب بطاركة انطاكية منوطاً باكليرسها وشعبها فقط لا باساقفة ومطارنة البطريركية كما هي الحال اليوم . وعلى وجه الاجمال لم تكن القوانين الكنسية تجيز ان يرقّى اسقف الى المنصب البطريركي الّا نادراً . فكان البطريرك يُنتخَب رأساً من الرهبان او الكهنة . ولذلك انكر ايليا البطريرك الاسكندري على اغابيوس الاول البطريرك الانطاكي (٩٧٨ – ٩٩٦) نقلته من اسقفية حَلَب الى البطريركية كما اورد ذلك المؤرخ الملكي يحيي بن سعيد الانطاكي [١] .

وبعد الانتخاب كان البطريرك مضطراً الى الحصول (من خلفاء دمشق

---

(١) تاريخ يحيي بن سعيد / ص ١٥٠ – ١٥٦

D. H. G. E. (*Antoiche*) , c. 612, 613.

او بغداد) على فرمان يوليه نوعاً من السلطة المدنية على بني مذهبه ، ويجعله شخصاً رسمياً معروفاً عند الحكومة وغيرها . وكان يفعل ذلك اسوة ببطاركة السريان اليعاقبة وخلافاً لبطاركة الموارنة الذين كانوا على ما يظن في غنى عن مثل ذلك الفرمان لاستقلالهم في لبنان .

٢) اما بعد رجوع دولة الروم واستيلائها على انطاكية الى آخر الحروب الصليبية (٩٦٩ — ١٢٩١) فجعل بطاركة القسطنطينية بواسطة مجمعهم المقدس يعينون بطاركة انطاكية . وكان ذلك المجمع يراعي دوماً رغبة الامبراطور في التعيين . وخلافاً للعهد السابق لم يكن المرشح للبطريركية من الاكليرس الملكي الوطني الّا نادراً ، بل كان في الاغلب من اكليرس القسطنطينية او من رهبان احد اديار المملكة .

اما انتخاب الاساقفة فيظهر انه بقي حرّاً . فان المعلومات النادرة التي وصلت الينا لا تشير مطلقاً الى مداخلة الامبراطور ولا الى تثبيته .

حالة وعدد الكهنة والرهبان والمؤمنين يومئذٍ :(1)

١٨٣ — اننا لا نعرف شيئاً عن حالة الاكليرس العلماني في ذلك العهد.

اما الرهبان والنساك فبحسب شهادة نيكون المؤرخ الملكي الذي عاش في القرن الحادي عشر اي في العصر الذي وصلنا اليه بقيت اديارهم ومناسكهم بانواعها تحوي العدد الكبير جدًّا منهم سواء عند الملكيين او عند اليعاقبة.

امّا المؤمنون الملكيون من ابناء البطريركية الانطاكية فكانوا في ذلك العصر اقلّ من مؤمني البطريركية اليعقوبية التي كان فيها يومئذٍ نحو

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 613.

١٦٠ كرسياً اسقفياً ونحو مليونين من النفوس اي ما يقرب من ثلاثة اضعاف البطريركية الملكية .

واما الموارنة (الذين لم يكونوا في الابتداء الاّ جماعة قليلة هجرت سوريا واتت الى لبنان) فقد بلغ عددهم في القرن الثاني عشر اي سنة ١١٨٢ اربعين الفاً على الاقل ، بشهادة غليوم الصوري (١١٨٤+ ؟) مؤرخ الحروب الصليبية .

مشاهير الرجال :

١٨٤ – انهم كانوا قليلين في هذه الحقبة . واليك اسماء المهمّين بينهم :

١) الاب الفاضل العالم المجدلوس [1] مطران ديار بكر الملكي المتوفى سنة ٩٩٢ الذي وصل الينا منه « تفسير قانون الايمان النيقاوي » باللسان العربي الفصيح . وهذا التفسير النفيس عُني بنشره (سنة ١٩٤٠ في الرسالة المخلصية) المؤرخ البحّاثة الجليل المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي . واليك خلاصة ما جاء في توطئة الناشر (ص ٥) : كان المجدلوس حبراً جليلاً وعالماً كبيراً وكاتباً ماجداً عربي الاسم واللسان اصله من حلب من الروم الملكيين ، وكان في القرن العاشر غيوراً على نشر الايمان والمحاماة عنه .

٢) عبدالله بن الفضل [2] ، وهو الشماس ابو الفتح عبدالله بن عبدالله المطران الملكي المتوفى نحو سنة ١٠٥٢ مسيحية (اطلب ترجمته في المشرق سنة ٩ ،

(١) مجلة « الرسالة المخلصية » سنة ١٩٤٠ طالع في الفهرست (قانون الايمان) وايضاً المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ١٨٦

(٢) المخطوطات العربية ص ١٤٢-١٤٤ و٢٦٨

١٩٠٦ ، ص ٨٨٦ و ٩٤٤ وما يليها) . له تآليف كثيرة جداً لم يُطبَع منها الّا النزر اليسير . وقد عدَّدها الاب لويس شيخو اليسوعي في كتابه (المخطوطات العربية لكتبة النصرانية المطبوع في بيروت سنة ١٩٢٤) وختم تعدادها بقوله : « فمما سبق يظهر للقراء فضل هذا الرجل العظيم الذي اغنى لغتنا العربية بهذه التآليف » . ومما يجب التنبيه اليه هنا ان هذا الكاتب هو اول من عرَّب اسفار الكتاب المقدس ولاسيما الاناجيل والمزامير مع شروح عليها .

٣) يحيي بن سعيد الانطاكي [1] وهو المؤرخ الملكي الذي سبق ذكره مراراً في هذا الفصل ، وقد عاش وكتب في القرن الحادي عشر وكانت وفاته في اواسطه . ولنا منه تاريخ هو ذيل لتاريخ سعيد بن بطريق البطريرك الاسكندري الملكي (+٩٤٠) . ويمتد تاريخ يحيي بن سعيد هذا من سنة ٩٣٢ الى سنة ١٠٣٤ م . وقد نشره مع تاريخ ابن بطريق المذكور (في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٠٩) الاب لويس شيخو اليسوعي وعليه يعتمد المؤرخون في ايراد حوادث تلك الايام .

٤) واخيراً نيكون او نيقون Nicon . [2] وهو راهب توفي في الشطر الثاني من القرن الحادي عشر وكان قد اقام مدة طويلة بصفة رئيس في دير سمعان العمودي الصغير على الجبل العجيب قرب مدينة انطاكية . وصنَّف كتاب الحاوي الكبير (Pandecte) في علاج ادواء النفس . ثم اختصره بالحاوي الصغير . وله كتاب التيبيكون في جزئين يحتويان على عدة مباحث في مواضيع دينية وفي البدع . وكل ما كتبه كان باللغة

(١) المخطوطات العربية ص ٢١٣ + D. H. G. E. (*Antioche*) c. 602, 603

(٢) المخطوطات العربية ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ + D. H. G. E. (*Antioche*) c. 603, 613

الرومية اي اليونانية ، بخلاف معاصره يحيي بن سعيد الانطاكي الذي دون تاريخه باللسان العربي .

٣ – كنيسة الاسكندرية

حالتها السياسية – بطاركتها – شقاق الروم

حالتها السياسية (١)

١٨٥ – ان مصر خضعت من سنة ٩٦٩ الى سنة ١١٧١ للخلفاء الفاطميين وهم الذين كانوا يزعمون انهم من سلالة النبي العربي وانهم متسلسلون منه بواسطة ابنته فاطمة الزهراء . وكان موطنهم الاصلي بلاد تونس . ثم افتتحوا القطر المصري ومشوا على سوريا . ولكنهم مع جهادهم قرناً كاملاً لم يستطيعوا ان يثبّتوا اقدامهم في الاقطار الشامية .

ان اول هؤلاء الخلفاء الذي ملك على مصر من سنة ٩٦٩ الى سنة ٩٧٥ كان اسمه « المعز لدين الله » وهو الذي بنى القاهرة واسّس فيها مدرسة الجامع الازهر وكان متسامحاً مع المسيحيين . وكذا « العزيز » ابنه وَخلَفُهُ الذي تزوج احدى بنات الروم المسيحيات واسمها مريم . وكانت هذه سبباً لترقية اخوَيها الى البطريركية ، احدهما وهو اورستوس الى كرسي اورشليم (سنة ٩٨٤ ؟) والآخر واسمه ارسانيوس الى الكرسي الاسكندري (سنة ١٠٠٠) .

اما الخليفة الثالث اي الحاكم بامر الله (٩٩٦ – ١٠٢٠) فهو اشهر

(1) Mouterde, *o. c. p.* 59 + D T. C. (*Alexandrie*) *c.* 795

شحادة ونقولا خوري ص ٦٣-٦٩ + عيسى مخايل سابا ص ٩١ – ٩٣ .

اولئك الخلفاء الفاطميين [١] وقد كابد المسيحيون واليهود منه اضطهاداً شديداً . واليك وصفاً موجزاً لما حلَّ بهم من الاضرار على عهد هذا الحاكم : هُدمت مئات (وربما الوف) من الكنائس وقُتِل خلق كثير (منهم خاله بطريرك الاسكندرية نحو سنة ١٠١٠) وأُكرِه الناس اجمالاً على الارتداد عن دينهم وانتحال الدين الاسلامي . فاضطروا الى هجر اوطانهم والى الالتجاء الى البلاد المسيحية ، وأُحرِقت بيوت بل حارات برمتها من مدينة القاهرة .

على ان ذلك الحاكم عدل فجأة عن الاضطهاد [٢] نحو سنة ١٠١٧ وألغى كثيراً من الاوامر القاسية التي كان قد اصدرها قبلًا . وذلك الفضل عائد لأمه مريم ولاخته سيدة الملك ، وكان البلاط القيصري البيزنطي قد توسط في الامر ورثى لحال المسيحيين المضطهدين ، وقبلهم في بلاد الروم بكل ترحاب وقاوم مقاومة شديدة ذلك الاضطهاد (الذي استمرَّ نحو عشر سنوات) فنال من الحاكم ان يعيد بناء كنيسة القبر المقدس وغيرها على نفقة الامبراطور . طالع ما ذكرناه عن ذلك سابقاً (عدد ١٧٤) في الكلام على كنيسة اورشليم . اما الخلفاء الفاطميون الذين اتوا بعد الحاكم بامر الله فعدلوا عن اضطهاد المسيحيين وعطفوا عليهم فرجع كثير من الذين اسلموا قهراً الى دين آبائهم المسيحي .

بطاركة الاسكندرية [٣] :

١٨٦ – اليك اسماء هؤلاء البطاركة مع ذكر النزر اليسير الذي نعرفه عن

(١) رقي الحاكم بامر الله الى العرش وهو ابن عشر سنوات فقط .
Lammens, *o. c.* I, 149
(2) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 604, 605
(٣) طالع المراجع المذكورة في العدد السابق وزد عليها :
Musset, *o. c. I*, 380, 381, 475 + D. H. G. E. (*Alex.*) c. 366 .

البعض منهم وذكر تاريخ جلوسهم على التقريب :

	سنة الترقي		سنة الترقي
ايليا (او الياس) الاول	٩٦٩ ؟	يوحنا الرابع	١٠٨٤ ؟
ارسانيوس	١٠٠٠ ؟	سابا	؟
ثاوفيلس الثاني او جاورجيوس	١٠١٠ ؟	ثاوذوسيوس	؟
الكسندرس الثاني او لاونديوس	١٠٥٩ ؟	كيرلس الثاني	؟

ان البطريرك ايليا او الياس الاول (٩٦٩ ؟ — ١٠٠٠) ذكر في الفصل السابق ، وقد رأينا (في عدد ١٧٩) انه رفض اولاً الاعتراف باغابيوس الانطاكي : لان هذا نُقل من كرسي حلب الى الكرسي البطريركي على خلاف القوانين القديمة . ولكن اغابيوس عرف ان يبرئ ساحته وانتخابه فقبله البطريرك الاسكندري في شركته . ثم كتب معه سنة ٩٩٥ الى البابا يوحنا الخامس عشر رسالة يسألانه فيها : ١) هل يجوز ان يرقى الى الكهنوت من يرتدُّ عن المونوفيزية الى الكثلكة ؟

٢) هل يجوز تكريس اغطية الهيكل بدلاً من الكنيسة : لان هذه عرضة لان يدنسها غير المؤمنين ؟

اما ارسانيوس البطريرك الاسكندري الثاني لهذه الحقبة فقد رأينا انه خال الحاكم بامر الله وانه اقيم بطريركاً نحو سنة ١٠٠٠ م . واذ وقعت بين باسيليوس الثاني قيصر الروم وبين الحاكم بامر الله حرب انتصر فيها جيش الروم على جيش الدولة الفاطمية طلب الحاكم بامر الله الصلح وارسل سفارة الى القسطنطينية تحت رئاسة خاله اورستوس بطريرك اورشليم . فتوجه هذا الى القسطنطينية واتفق مع الروم على هدنة عشر سنوات . واقام اورستوس

خمس سنوات في عاصمة الروم وتوفي فيها .

وفي رحلته تلك جدد العلاقات مع يوحنا بطريرك انطاكية وتسلم الجعل او المبلغ الذي كان البطريرك الانطاكي يقبضه من كنيسة الكرج. ثم باقامته في القسطنطينية جدَّد ايضاً العلاقات مع بطاركة القسطنطينية، وكانت تلك العلاقات قد انقطعت من عهد سحيق . وفي غيابه كان اخوه ارسانيوس بطريرك الاسكندرية يدير شؤون كنيسته وكنيسة اورشليم.

ان ارسانيوس هذا كان المرشد الطبيعي للحاكم بامر الله ابن اخته الذي في الابتداء كان يسمع لنصائحه ونصائح امه مريم . غير انه تغير فجأة ولم يعد يسمع لاحد بل قتل خـاله البطريرك سنة ١٠١٠ لكي يتخلص من نصحه على ما يظهر .

فأقيم بعده البطريرك ثاوفيلس الثاني او جاورجيوس (١٠١٠ – ١٠٢٠) الذي سلم من الاضطهاد بانطلاقه الى القسطنطينية واقامته بها.

ولا نعلم شيئاً عن البطاركة الذين خلفوه على الكرسي الاسكندري. وانما نعلم انه على عهدهم وعهد من اتى بعدهم بلغت كنيسة الاسكندرية مبلغاً شديداً من الضعف : بسبب تغلب الاقباط عليها من جهة، واضطهاد الحكم الاسلامي لها من جهة اخرى [١] .

شقاق الروم :

١٨٧ – قد ذكرنا فيما سبق [٢] ان بطريرك القسطنطينية ميخـائيل كيرولاريوس اعلن سنة ١٠٥٤ انفصاله عن رومة، فحرمه البابا لاون التاسع وذكَّر بشدة معلناً رئاسة كرسي القديس بطرس الروماني على جميع الكنائس.

(١) الاجتهاد في سبيل الاتحاد، ص ١٠٢، ١٠٣ (٢) عد ٥٧٩

ثم دافع بشدَّة ايضاً عن حقوق وامتيازات الكرسيين الرسوليين القديمين الاسكندري والانطاكي المتقدمين على كل كراسي المسكونة بعد الكرسي الروماني (D. H. E. G.) (Alex.) c. 355, 356)

هذا وانَّا نرى في مجموعة الآباء الشرقيين للاب مين[1] رسالة من كيرولاريوس الى البطريرك الاسكندري واخرى الى البطريرك الاورشليمي يحاول فيهما ان يجرّ زميليه المذكورين الى اتباعه في الانفصال عن رومة ، ويستعلم هل اسم البابا مُدْرَج عندهما في الذبتيخا . ولكن لا يُعلَم ماذا كان جواب البطريرك الاسكندري عليها .

ولما كان الروم البيزنطيون قد اعادوا في تلك الحقبة حكمهم على سوريا كان من الطبيعي ان يتأثر روم الاسكندرية بنفوذهم ويسيروا في تيأرهم . وهكذا خضعت كنيسة الاسكندرية لنفوذ كنيسة القسطنطينية مدة طويلة قبل ان تنفصل عن الكرسي الروماني[1] .

(١) الاجتهاد (في الموضع المذكور) .
Bréhier, *Le schisme oriental au XI s.* (*passim*)

الفصل الرابع

الكنائس الملكيّة في عهد الصليبيين (١٠٩٨ ـ ١٢٩١)

١ً ـ كنيسة اورشليم

الحروب الصليبية ومملكة الافرنج الاورشليمية - ابدال البطريركية الملكية ببطريركية لاتينية - اعادة البطريركية الملكية - بطاركة اورشليم الملكيون - تعليقات مختلفة .

الحروب الصليبية ومملكة الافرنج الاورشليمية (١) :

١٨٨ - ليس من غرضنا هنا ان نسهب في ذكر الاسباب التي مهّدت للحروب الصليبية ، ولا في ايراد النوع الذي به تمت تلك الحروب ، ولا في الكلام على تنظيم الدول المسيحية التي حلت (حلولاً كلياً او جزئياً) محل الدول الاسلامية المختلفة وتعاقبت في الشرق مدة تقرب من المئتي سنة : فكل ذلك مذكور في التاريخ الكنسي العام ومشروح هناك بتفصيل يغني عن الاسهاب هنا .

وانما نكتفي بان نقول : ان الفتح العربي ، ولا سيما بعد استيلاء العبّاسيين على الحكم ، جعل الحجّ الى الاراضي المقدسة صعباً ممتنعاً ، وعرّض المسيحيين من اهل الشرف للتعديات والمضايق الكثيرة . فهذه

(1) Mouterde, *o. c.* 67–80 + D. T. E. (*Jérusalem*) *c.* 1001–1003

الحال المؤسفة اثرت في الغربيين تأثيراً سيئاً وولّدت فيهم مع الزمان الرغبة في تحرير اخوانهم الشرقيين واستنقاذ الامكنة المقدسة من ايدي المسلمين .

على انَّ معاهدة الصداقة التي عُقِدت سنة ٧٩٧ بين شرلمان وهارون الرشيد كان من شأنها ان تلطّف الحالة وتتلافى الشرور قبل استفحالها . ولكن الحاكم بامر الله (٩٩٦ – ١٠٢٠) الخليفة الفاطمي الذي سبق ذكره (عد ١٨٥) نقض تلك المعاهدة واذاق المسيحيين الامرّين واضطهدهم شرّ الاضطهاد .

ثم قام الاتراك السلجوقيون في الشطر الثاني من القرن الحادي عشر وغلبوا الفاطميين وحلّوا محلّهم فدخلت المدينة المقدسة في حوزتهم سنة ١٠٧٥ ، ولم يلبثوا ان جعلوا من جديد الحج الى الاراضي المقدسة صعباً بل غير ممكن تقريباً . فاصبحت المنشآت اللاتينية في الارض المقدسة بل قبر المسيح نفسه في خطر كما كان قد جرى على عهد الحاكم بامر الله . حينئذٍ لم يعد الغربيون يقدرون ان يضبطوا انفسهم . فشبّت فيهم الرغبة في انقاذ قبر المخلص بقوّة لا تُردّ ، وجهزوا حملاتهم كما هو معلوم . وكان من نتائج الحملة الصليبية الاولى ان توصلوا بعد معاناة شدائد لا توصف الى افتتاح اورشليم (١٥ تموز سنة ١٠٩٩) وتأسيس مملكة الافرنج في فلسطين .

ابدال البطريركية الملكية ببطريركية لاتينية :

١٨٩ – وهنا ندع الكلام لصاحب مقالة اورشليم (Jérusalem) في « قاموس اللاهوت الكاثوليكي » [1] ، قال :

---

(١) D. C. T. (*Jérusalem*) c. 1001, 1002 وايضاً الاجتهاد ، ١٠٥ و ١٠٦

« ان تأسيس المملكة اللاتينية في اورشليم كان من نتائجه تأسيس بطريركية جديدة ، وهي البطريركية اللاتينية ، وبذلك زالت ولو موقتاً البطريركية الملكية . اما البطريرك اليوناني (الملكي) سمعان الثاني فمات في جزيرة قبرس التي كان قد التجأ اليها . وبعد وفاته انتخبوا حالًا ارنول دي روهيز (Arnoul de Rohez) وهو الكاهن الذي كان في خدمة روبير كورت هوز (Chapelain de Robert Courte-Heuse) دوق نورمنديا (١٠٨٧ – ١١٠٥). فكان هذا المنتخب اول بطاركة اورشليم اللاتين.

« وبعد ذلك اقاموا مطارنة لاتينيين على الكراسي المتروبوليتية التالية : صور ، قيصرية فلسطين ، الناصرة ، بطرا (في شرق الاردن) . ونظموا الكراسي الاسقفية تنظيماً غير الذي كان على عهد الروم . وضموا الى بطريركية اورشليم كرسي صور الذي كان قبلًا تابعاً للبطريركية الانطاكية. وجعلوا « يليتنون » كل شيء بالتدريج من اكبر مدينة الى اصغر قرية . وشمل تنظيم البطريركية اللاتينية فلسطين وجزيرة قبرس . وتأسست جمعيات الكهنة القانونيين (Chapitres des chanoines) . وديورة الرهبان اللاتين والرهبانيات العسكرية (وجعل لها) اوقاف واسعة تدر ذهباً كثيراً (Richement doté).

« لم يبقوا على شيء من الطقوس والعوائد اليونانية بل اصبح كل شيء لاتينياً . حتى هندسة البناء غيّروها ، فقام ارباب الفن (الغربيون) المشربون حب أدق التقاليد الرومانية واعطوا مباني اورشليم الدينية الهيئة الغربية التي لا نزال نراها في كثير من تلك المباني الى يومنا هذا . وكانوا يرتبون كل شيء في الارض المقدسة كأنهم مقيمون بها الى الابد ، وكأن فلسطين اقطاعة مكملة للاقطاعات الغربية .

« ولكن كل هذه المساعي التي بذلت لاجل « ليتنة » الدول الجديدة المسيحية (في الشرق) ولّدت في الروم كراهية اللاتين لا يمحوها كرور الايام . وصار الروم الملكيون ينتظرون سقوط حكم الافرنج (الذي كان يسهل التنبؤ عنه منذ الابتداء) لكي يعودوا الى المراكز التي طُردوا منها في اورشليم وفي فلسطين » .

اعادة البطريركية الملكية (١) :

١٩٠ – ومنذ ان توفي البطريرك اليوناني الملكي سمعان الثاني ١٠٩٩ ؟ يظهر انه لم يُقم بطريرك آخر يوناني الى سنة ١١٤٢ . ولكن في هذه السنة عُقدت معاهدة بين امبراطور الروم وملك اورشليم اتفقا فيها على تعيين بطريرك اورشليمي للروم الملكيين. ومن ذلك الوقت جرت العادة ان يسمي الامبراطور بطريركاً يونانياً لاورشليم وبقي هذا البطريرك يقيم بالقسطنطينية حتى سنة ١١٨٧ حين فتح صلاح الدين الايوبي بيت المقدس . هذا هو اصل حق تعيين البطريرك الاورشليمي او حق تثبيته على الاقل الذي كان يدعيه لنفسه امبراطور القسطنطينية من ذلك الوقت فصاعداً ، فلا يستغرب بعد ذلك ان تخضع كنيسة اورشليم لنفوذ بطاركة العاصمة البيزنطية ولا ان تسير في تيارها كيفما سارت (٢) .

اما الصليبيون فبعد ان افتتحوا اورشليم استولوا على مدن الساحل وذلك بين سنتي ١١٠٠ و ١١٢٤ ، ولم يقووا على فتح المدن الداخلية . ولكنهم ضربوا عليها الجزية . وبلغت الدولة الصليبية غاية اتساعها نحو سنة ١١٤٤ (انظر الخارطة) . ولم تعش مطمئنة بعد فتوحاتها ، بل ظلت معرّضة لهجات المسلمين وغاراتهم . فاضطرّت الى الاستنجاد بحملات صليبية

(١) D. T. C. (*Ibidem*) (٢) الاجتهاد (في الموضوع المذكور) .

جديدة [١] . وقد سيرت اوروبا الى الشرق ثماني حملات متتالية لم يصل منها الى بلادنا هذه الاخمس اعني بهـا الاولى سنة ١٠٩٨ والثانية سنة ١١٤٧ والثالثة سنة ١١٨٩ والسادسة سنة ١٢٢٨ والسابعة سنة ١٢٤٨(Larousse)

وفي سنة ١١٧١ توفي آخر الخلفاء الفاطميين في مصر، فخلفه صلاح الدين ابن ايوب وانشأ الدولة الايوبية واستولى على دمشق ، وحارب الافرنج فكسرهم في حَطّين (ما بين طبرية والناصرة) ثم حاصر اورشليم وفتحها صلحاً سنة ١١٨٧ . فلما دخلها المسلمون خرج منها البطريرك اللاتيني ولحق بقوات الصليبيين التي انسحبت الى انطاكية . ثم جعل اقامته في عكا سنة ١١٩١ الى آخر الحروب الصليبية اذ سقطت عكا سنة ١٢٩١ .

اما البطريرك الملكي فعاد الى اورشليم وعاش فيها عيشته قبل مجيء الصليبيين وكان في حاجة الى السلطان عند تنصيبه ، او استقالته كما كان قبلاً في حكم الاسلام .

بطاركة اورشليم الملكيون [٢] :

١٩١– في هذه الحقبة المضطربة بلغ عدد البطاركة الملكيين الى ثلاثة عشر بطريركاً . واليك اسماءهم مع تاريخ جلوسهم او تعيينهم على وجه التقريب :

	سنة الترقي		سنة الترقي
يوحنا الثامن	١١٠٦ ؟	نيكيفورس الثاني	١١٦٦ ؟
سابا	١١٤٢ ؟	لاونديوس الثاني	١١٧٠ ؟
نقولاوس	؟	دوسيتاوس الاول	١١٨٥ ؟
يوحنا التاسع	١١٥٦ ؟	مرقس الثاني	١١٩١ ؟

(١) تونل (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين المصور) ص ٩١ وما يليها .

(٢) شحادة ونقولا خوري ٦٩–٨٩ ثم الجدول (ب ج) .

	سنة الترقي		سنة الترقي
افثيميوس الثاني	١٢٠٥ ؟	غريغوريوس الاول	١٢٨١ ؟
اثناسيوس الثاني	١٢٢٤ ؟	تداوس	١٢٩٨ ؟
صفرونيوس الثالث	١٢٣٦ ؟		

عند دخول الصليبيين بيت المقدس سنة ١٠٩٩ كانوا على وفاق مع بطريركها الملكي سمعان الثاني (الذي ذكر في الفصل السابق) وجعلوا يعتبرونه كرئيسهم الديني . ولكنهم ما عتموا ان وضعوا ايديهم على الكنائس والاماكن المقدسة وضيقوا على البطريرك المذكور فاضطرَّ الى الهرب الى جزيرة قبرس ومات هناك نحو سنة ١١٠٦ .

وهنا يدخل (في تاريخ بطاركة اورشليم الملكيين وترتيب اسمائهم) تشوش وغموض لا سبيل الى ازالتهما[1] . ولذلك كل ما نورده هنا عنهم لا نقطع بصحته وهو منقول عن جدول بطاركة اورشليم الذي وضعه شحادة ونقولا خوري في كتابهما « خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية » . وهذان المؤلفان يعتمدان على «خريسوستومس» اليوناني متروبوليت أثينا ومؤلف تاريخ كنيسة اورشليم Ἱστορία τῆς Ἐκκλησίας Ἱεροσολύμων

هذا وقد رأينا ان امبراطور الروم (مانويل كومنينوس) اتفق سنة ١١٤٢ مع ملك اورشليم على تعيين بطريرك للروم الملكيين . فالسبعة الاولون من البطاركة الذين ذكروا في اللائحة عينوا في القسطنطينية وكانوا يقيمون بها . اما خلفاؤهم فانتقلوا الى اورشليم وجلسوا على كرسيهم تحت حكم الاسلام كما كانوا قبلاً .

(١) تاريخ الدبس ٦ : ١٦٤ و ٣٤٤ وما يليها (مختصر عن لوكيان) .

تعليقات مختلفة :

١٩٢ – ١) ان غود فريد دي بوليون (او غود فروا دي بويون)[1] كان من اول ابطال الحروب الصليبية وافضلهم واصلبهم عوداً واشدهم بأساً وبسالة ، واكثرهم تقى ايضاً : فانه اذ زار سنة ١٠٩٩ قبر المسيح ليصلي فيه مشى حافياً ، ولما اراد الصليبيون ان يقيموه ملكاً على اورشليم رفض ان يكلل بتاج من ذهب في المكان الذي كلل فيه يسوع المسيح باكليل من شوك . ولم يرضَ ان يأخذ سوى لقب « بارون او محامي القبر المقدس » (Mouterde, o. c. 69) .

اما آخر ابطال تلك الحروب واقدسهم جميعاً فهو بلا شك القديس لويس التاسع[2] ملك فرنسا ، الذي بعد ان فشلت حملته في مصر اتى الى فلسطين واقام بها اربع سنوات (١٢٥٠ – ١٢٥٤) وحصن المدن التالية : عكا وحيفا وقيصرية ويافا وصيدا . وظهر للشرقيين كما هو بالحقيقة اي بطلاً وقديساً . ولدى مشاهدة المسيحيين المضطهَدين فضائله السامية فضَّل عدد كبير منهم الموت على جحود الايمان . اما المسلمون فلاعجابهم به انتحل كثير منهم النصرانية .

٢ – ان الصليبيين في مجيئهم الى الشرق وبقائهم فيه اضطرُّوا ان يحاربوا ثلاثاً من دول الاسلام على التعاقب ، وهي دولة الاتراك السلجوقيين

---

(١) تاريخ الدبس ٦ : ٣٦ وما بعدها + Marion, *II*, 319 *sq.*

(٢) Marion, *II*, 349 *sq.* + تاريخ الدبس ٦ : ٢٥٨ وما بعدها *Mouterde*, *o. c. pp.* 73, 74

ودولة الايوبيين ودولة المماليك البحريين [1]

واعلم ان البطاركة اللاتين الذين حلوا محل بطاركة الروم الملكيين في حكم الصليبيين وفي البلاد التي ملكها الصليبيون كان عددهم ٢١ بطريركاً. وقد اقاموا في عاصمة الملك دائماً اي اولاً في اورشليم (من ١٠٩٩ الى ١١٨٧) ثم بعد سقوط هذه المدينة سنة ١١٨٧ في يد صلاح الدين الايوبي جعلوا اقامتهم بعكا العاصمة الجديدة من سنة ١١٩١ الى سنة ١٢٩١ التي فيها سقطت عكا ايضاً وزالت دولة الصليبيين من البلاد زوالاً تاماً [1] .

٣ – بعد الحروب الصليبية هُدِمت كل مدن الساحل (Mouterde P. 83) من عكا الى اللاذقية لئلّا يعود اليها الصليبيون ويتحصنوا فيها بعد ان نزحوا الى قبرص [2] . وبقيت تلك المدن خراباً الى ان تولى امر هذه البلاد الامير اللبناني الكبير فخر الدين المعني الثاني في اوائل القرن السابع عشر كما سنذكره في موضعه .

٤ – اما الادب الملكي في هذه الحقبة فكان ينطوي على ترجمات من اليونانية الى العربية [3] . ولا نعرف ممن كتب واشتهر يومئذٍ سوى ثلاثة وهم :

(١) D. T. C. (*Alexandrie*) c. 795 + شحادة ونقولا خوري ٧١ ، ٨٨

(٢) «بعد الحروب الصليبية صارت النصرانية بقلة ومهانة في كل البلاد التي كانت سابقاً بحوزة الصليبيين ولا سيما السواحل اللبنانية من عكا الى اللاذقية حتى كادت تكون خالية من النصارى ولا يصح ان يطلق عليهم فيها اسم الملّة او الطائفة . ومن سلم منهم بعد هذه الحروب المهلكة نزح الى قبرس مع البقية الباقية من الصليبيين او لاذ بحصون لبنان وجباله العالية او هاجر الى بلاد الروم» (تاريخ طائفة الروم الملكية والرهبانية المخلصية للمرحوم الخوري قسطنطين الباشا ب م : القسم الاول ص ٥٨)

(3) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 621, 622 .

١ – يعقوب بن صقلان اوسُقلاب الملكي المقدسي اي الاورشليمي (١١٦٠ – ١٢٢٨)[١]

٢ – ابنه سديد الدين ابو منصور (طالع المشرق ٣٢ سنة ١٩٣٤ ص ٢٧٣ – ٢٨١)[١]

٣ – واخيراً بولس الراهب اسقف صيدا (الانطاكي الاصل) الذي صنف في العربية الفصحى عدة مقالات وشروح دينية وفلسفية ، افرغها في قالب محكم من البراهين الدامغة . وقد نشرت له مجلة « المشرق » عدة مقالات في سنيها الاولى والرابعة والسابعة[٢] .

٢ً – كنيسة انطاكية

اربع دول لاتينية ودولة ارمنية في البطريركية الانطاكية – ابدال البطريركية الملكية ببطريركية لاتينية – بطاركة انطاكية الملكيون – تعليقات لا بد منها – تنظيم البطريركية في عهد الصليبيين – الاديار والمزارات – الكتاب الملكيون .

اربع دول لاتينية ودولة ارمنية في البطريركية الانطاكية[٣] :

١٩٣ – ان الحملة الصليبية الاولى بعد ان احتشدت في مملكة الروم زحفت نحو الشرق في آخر الربيع سنة ١٠٩٧ م . وكانت سوريا يومئذٍ مقسومة

(١) الملكيون ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠
(٢) المخطوطات العربية ، ص ٦٩ و ٧٠ .
(3) Mouterde, *o. c. p.* 70 + D. H. G. E. (*Antioche*) *c.* 613, 614

بين السلجوقيين والفاطميين . وكان كل من الفريقين يملك عدة سلطنات صغيرة : وكان عند السلجوقيين سلطنات اورشليم ، ودمشق ، وحمص ، وانطاكية ، وسيسار(Caisar) ما بين حلب وحماة . وكان عند الفاطميين سلطنات طرابلس ، وصور ، وعكا .

ومنذ شهر اذار سنة ١٠٩٨ قام بُدوَان (Baudouin) دي لورين (اخو غود فريد دي بوليون) فاسس اقطاعة الرها وهي اول دولة لاتينية قامت في الشرق ، وكانت تبسط سلطانها على شاطئ الفرات (انظر خارطة الصليبيين) .

ثم أُخذت انطاكية في ليل ٢ حزيران من سنة ١٠٩٨ نفسها ، فاسس فيها بوهيمند النورمندي امارة ذات شأن كانت تبسط حمايتها على سوريا الشمالية .

وفي شهر نيسان من سنة ١٠٩٩ افتتح ريمون دي تولوز طرابلس الشام، وانشأ فيها اقطاعة طرابلس التي كانت تمتد من قلعة المركب شمالاً الى نهر الكلب جنوباً .

اخيراً سقطت اورشليم بايدي الصليبيين في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ وتأسست فيها مملكة اورشليم التي كانت تمتد من نهر الكلب شمالاً الى شبه جزيرة سيناء جنوباً وتشمل كل فلسطين ، وتشرف ولو اسمياً على كل الدول الصليبية .

ان هذه الدول الاربع اللاتينية مع دولة ارمينيا الصغرى او كيليكيا احتلّت القسم الغربي من البطريركية الانطاكية ، تاركة للسجلوقيين كل البلاد التي تؤلف اليوم ابرشيات حلب ، وحماة ، وحمص، وزحلة ، وبعلبك، وبانياس ، ودمشق ، وحوران ، وجزءاً معتبراً من شرقي الاردن الذي هو

داخل في نطاق البطريركية الاورشليمية . على ان هذه البطريركية قد مدَّت ولايتها حتى على متروپوليتية بصرى . ولكن هذا الامتداد لم يستمرَّ طويلاً .

ابدال البطريركية الملكية ببطريركية لاتينية (١) :

١٩٤— بعد تأسيس امارة انطاكية الصليبية سنة ١٠٩٨ وهرب بطريرك الملكيين يوحنا الخامس الى القسطنطينية (وسنتكلم عن هذا الهرب فيما بعد) انشأ الصليبيون بطريركية لاتينية استمرت ما يقرب من مئة وسبعين سنة (١١٠٠ — ١٢٦٨) .

وفي هذه المدة كلها قلّما اقام البطاركة الملكيون بانطاكية وذلك اولاً لمضايقة البطاركة اللاتين لهم ثم لاتهام امراء انطاكية لهم بانهم يميلون الى البلاط القيصري القسطنطيني ويعملون سرًّا لامتداد سيطرته ... ولذا فضَّل اولئك البطاركة ان ينطلقوا الى ارض الروم اخوانهم وان يتنقلوا من مدينة الى اخرى من مدن آسيا الصغرى مع زملائهم بطاركة القسطنطينية الذين حكمت عليهم ظروف قاهرة بالتنقل والرحيل المتواصل في القرن الثالث عشر .

ومع ذلك تمكن بعض البطاركة الملكيين من الرجوع الى انطاكية احياناً : إمّا تنفيذاً لمعاهدة كما جرى نحو سنة ١١٦٧ على عهد الامبراطور مانويل كومنينوس ، وإمّا باذن خاص لمقصد سياسي من مقاصد احد امراء انطاكية الافرنج . ولكن اقامتهم في كرسيهم الانطاكي لم تكن تستمرّ الّا مدة قصيرة كما سنذكره في محله ان شاء الله .

(١) D. T. C. (*Antioche*) c. 1412 — الاجتهاد ، ص ١٠٤، ١٠٥

بطاركة انطاكية الملكيون (١) :

١٩٥ – ان كرسي انطاكية البطريركي الملكي كثيراً ما فرغ على عهد الصليبيين . ومع ذلك نرى عشرة بطاركة ملكيين يقامون في هذه الحقبة ولا يقيمون بانطاكية على الغالب بل في الغربة ببلاد الروم . واليك اسماءهم مع ذكر سني بطريركيتهم (وسني فراغ الكرسي) على التقريب :

يوحنا الخامس ١٠٨٨-١٠٠٠ ؟
فراغ نحو ٦ سنوات
يوحنا السادس ١١٠٦-١١٣٤ ؟
فراغ نحو ٢٠ سنة
سوتيريكوس ١١٥٥ ؟
اثناسيوس الاول ١١٥٧-١١٧١ ؟
فراغ نحو ١٤ سنة
ثاودورس الثالث بلسمون ١١٨٥ – ١٢٠٣ ؟
فراغ نحو سنتين
سمعان الثاني ابن ابي شيبة ١٢٠٥ – ١٢٣٥ ؟
فراغ نحو ٧ سنوات
داود ١٢٤٢ – ١٢٤٧ ؟
فراغ نحو ١١ سنة
افثيميوس الاول ١٢٥٨-١٢٧٣ ؟
فراغ سنتين
ثاوذوسيوس الرابع ١٢٧٥-١٢٨٣ ؟
ارسانيوس ١٢٨٣-١٢٩٠ ؟
كيرلس الثاني ١٢٩٠-١٣٠٨ ؟

عندما استولى الصليبيون على انطاكية (٢ حزيران سنة ١٠٩٨) كان بطريركها يدعى يوحنا (الرابع) بل الخامس كما رأينا ذلك سابقاً . (ولا نعلم بالضبط متى كانت سنة انتخابه للبطريركية) وكان السلجوقيون قد

---

(1) Echos d'Orient (1933) *p.* 280 *sq.* + D. H. G. E. (*Antioche*) c. 614 *sq.*
الاجتهاد ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ - الملكيون ٥٦ - ٦٠ لوكيان (في تاريخ الدبس) ، ٦ : ١٦٠ - ١٦٤و٣٤٢ - ٣٤٤ - الحقائق الوضية ، ص ٤٧ - ٤٩

اذاقوه انواع العذاب مدة حصار المدينة اذ جعلوه في السجن مراراً بل علّقوه على الاسوار وهو حيّ اذلالًا وتخويفاً للصليبيين . ولما كان غير المؤمنين قد حوّلوا الكنيسة العظمى اي كاتدرائية القديس بطرس الى جامع وغشّوا بالكلس فسيفساءها فلما استولى الجيش المسيحي على المدينة اجتمع الاكليرسان اللاتيني والملكي وكرّسا تلك الكنيسة من جديد واقاما البطريرك يوحنا في كرسيه بكل كرامة . فاغتنم غبطته الفرصة الموافقة واقام اساقفة على المدن الصغيرة المجاورة لانطاكية التي كانت كراسيها قد شغرت . ويظهر ان كنيسة القديس بطرس الآنفة الذكر وكنيسة العذراء مريم القريبة منها كانتا مشاعتين في الابتداء لكل من الاكليرسَين . فمن ثمّ يبدو ان الصليبيين لم يفكّروا اولًا ان يقيموا بطريركاً لاتينياً ما دام البطريرك يوحنا حيّاً .

ولكن عندما أُخذ الامير بوهيمند اسيراً في غارة له شنّها على الاتراك السجلوقيين في تموز سنة ١١٠٠ شاع في الجيش ان ليوحنا يداً في اسر الامير وان هذا البطريرك كان يبغي تسليم انطاكية الى ملك الروم الكسيوس كومنينوس (١٠٨١ — ١١١٨) وذلك على كلٍ كان داخلًا في المعاهدة التي عُقِدت بين الصليبيين والملك المذكور ولكن الصليبيين لم يكونوا ينوون تنفيذه .

ثم اذ رأى يوحنا ان الصليبيين شرعوا ينظمون شؤون الكنيسة على الطريقة اللاتينية وأنه كان يتعذر عليه التفاهم معهم هرب ولجأ الى القسطنطينية حيث قضى ما بقي له من العمر . ولا نعلم متى كانت سنة وفاته ويُرَجح انه هناك ألّف ما يُنسَب اليه من الكتب التي سنذكرها فيما بعد .

ومما يجب التنبيه اليه الجدال المشهور الذي جرى في شأن مذهب المونوتيلية (اي المشيئة الواحدة) بين البطريرك يوحنا المذكور سنة ١٠٨٩ وبين توما اسقف كفرطاب الماروني [١] . وكفرطاب هذه هي مدينة سورية كان موقعها على الطريق الآتية من حَلَب الى مدينة حماة بين معرَّة النعمان وسيسار .

وبعد وفاة يوحنا الخامس يظهر ان الكرسي الانطاكي الملكي بقي فارغاً نحو ست سنوات . ثم انتُخِب (او عُيِّن) في بلاد الروم يوحنا السادس (١١٠٦ - ١١٣٤) ؟) وهو الذي حضر مجمع القسطنطينية المنعقد فيها سنة ١١١٧ ضد افستراتيوس متروبوليت نيقية الذي كان اتى ببعض آراء جديدة ، فالتزم ان يبرّئ نفسه منها امام المجمع المذكور .

وبعد هذا البطريرك فرغ الكرسي الانطاكي من جديد مدة نحو ٢٠ سنة [٢] . فان سوتيريكوس بندفجانيس (Sotérikhos Pantévghénis) احد شمامسة كنيسة اجيا صوفيا في القسطنطينية الذي كان قد انتُخِب للبطريركية الانطاكية لم يكن سنة ١١٥٥ قد سيم بعد بطريركاً . وبما انه اشترك في الجدال الذي أُثير في تلك العاصمة حول هذه القضية: « ايكون توجيه ذبيحة الافخارستية الى الآب والروح القدس فقط (كما كان يزعم

(١) الحجج الراهنة ص ٢٢٦ وما يليها .

(٢) مع ذلك، يظهر ان هذا الكرسي كان مشغولاً سنة ١١٣٧ ، فانه في هذه السنة قام ملك الروم يوحنا الثاني كومنينوس (١١١٨ - ١١٤٣) وطالب بحقه في الاستيلاء على انطاكية ثم هجم على كيليكية وطرد منها الاكليروس اللاتيني . واذ عقدت حينئذ معاهدة بينه وبين ريمون امير انطاكية تعهد هذا الامير بقبول البطريرك الرومي الملكي الذي نجهل اسمه (D. H. G. E.) .

هذا البطريرك) ام الى الثالوث الاقدس باسره » . فعُقِد لهذا الغرض مجمعان اولهما في ٢٦ كـ٢ سنة ١١٥٦ والآخر في ١٢ ايار سنة ١١٥٧ وحكم الآباء على سوتيريكوس المذكور (الذي لم يكن بعد قد قبل السيامة البطريركية) وعزلوه عن كرسيه البطريركي وسمّوا بدلًا منه اثناسيوس الاول (١١٥٧–١١٧١ ؟) الذي يرجَّح انه تولّى البطريركية في سنة ١١٥٧ المذكورة . وبما ان رينو دي شاتيون (Renaud de Châtillon) امير انطاكية التزم سنة ١١٥٩ (لانه كان مغلوباً) ان يعترف بسيادة ملك الرو عليه وان يقبل في انطاكية البطريرك الرومي الملكي بدلًا من البطريرك اللاتيني[1] جاء اثناسيوس الى هذه المدينة. ثم حضر في ٢٥ كـ١ سنة ١١٦١ الاحتفال بزفاف ماري الانطاكية الى الملك كومنينوس مانويل وحضر كذلك المجمع الذي عُقِد سنة ١١٦٦ .

اما البطريرك اللاتيني فغادر انطاكية (لما جاءها اثناسيوس الاول) وحرمها واقام في قلعة القُصَير ولم يرضَ ان يعود الى انطاكية الّا بعد خروج اثناسيوس منها سنة ١١٧٠ .

ثم عاد اثناسيوس ثانية الى انطاكية سنة ١١٧١ . ولكنه اصيب حينئذ بزلزلة عنيفة توفي بسببها .

وبعد موته فرغ الكرسي الملكي زهاء اربع عشرة سنة ثم اقيم بطريركاً على انطاكية ثاودورس الثالث بلسمون اعظم بطاركة هذه الحقبة صاحب المؤلفات المشهورة في الحق القانوني وهي التي يُرجَع اليهـا حتى اليوم .

---

(١) في ذلك الزمان لم يكن المسيحيون يعقلون كما في ايامنا انه يمكن اجلاس اسقفين او بطريركين على كرسي مدينة واحدة ولو كانا من طقسين مختلفين .

ولا تُعرف بالضبط سنة تعيينه على الكرسي البطريركي فقد تكون احدى السنوات التي بين (١١٨٥و١١٩١). وكذلك لا تعرف سنة وفاته بالضبط ولكنها على كل حال متأخرة عن سنة ١١٩٥. ولم يأت الى انطاكية البتة بل قضى عمره كله في القسطنطينية.

اما خلفاء ثاودورس بلسمون فلا يُعرف عنهم شيء اكيد سوى ان بوهيمند الرابع امير انطاكية اذ احتاج سنة ١٢٠٧ (في محاربته لامراء كيليكية الارمن) الى مساعدة العنصر الرومي الملكي أذِنَ للبطريرك الملكي سمعان الثاني ابن ابي شيبة (١٢٠٧-١٢٣٥؟) ان يدخل انطاكية. فلما جاءها غضب البطريرك الصليبي (Pierre d'Angoulême) وحرم بوهيمند. لكن هذا الامير قبض عليه وسجنه حتى مات! حينئذ قام بطريرك أورشليم الصليبي وحرم البطريرك الملكي سمعان الثاني فاضطر هذا ان يذهب الى كيليكية وحل ضيفاً على لاون الثاني ملك الارمن فاكرم الملك وفادته واعترف بسلطته لاجل اسباب سياسية على الخصوص.

وقضى سمعان الثاني سني بطريركيته متنقلاً من مكان الى مكان ولم يستطع ان يرجع الى كرسيه الانطاكي وانتقل الى رحمة ربه سنة ١٢٣٥ او بعدها على الارجح.

فقام بعده البطريرك داود (١٢٤٢-١٢٤٧؟) الذي يُعتقد انه جاهر بالكثلكة نحو سنة ١٢٤٢ ونال من البابا اينوشنسيوس الرابع ومن امير انطاكية بوهيمند الخامس الاجازة ان يقيم بانطاكية. فقبلته الشعوب بالترحاب ودخل المدينة باحتفال عظيم. فاستاء البرتس (Albert de Robertis) البطريرك الصليبي واقام وكيلاً عنه وارتحل الى روما.

ومما حدث سنة ١٢٤٧ على عهد البطريرك داود ان الحبر الاعظم السابق الذكر ارسل الى الشرق لورنزو دا اورتي الراهب الفرنسيسي معتمداً من قبله لحسم الخلافات القائمة بين اللاتين والروم في بطريركيتي انطاكية واورشليم وفي جزيرة قبرس. فسأله الروم الذين في البطريركية الاورشليمية ان يخضعوا لولاية بطريركهم لا لولاية البطريرك اللاتيني. فاطلق لهم ذلك بقرار منه. فصادف هذا القرار في ذلك الزمان مقاومة عنيفة من قبل الامراء الصليبيين واكليروسهم الافرنجي بل من قبل الدوائر الرومانية نفسها حتى اضطر الحبر الاعظم الى الغائه: وذلك لانهم كانوا متشبعين بفكرة وحدة الولاية في الادارة الكنسية كما سبق القول.

ولا نعرف شيئاً غير هذا عما وقع في عهد البطريرك داود. اما خَلَفه فكان افتيميوس الاول (١٢٥٨-١٢٧٣؟). وقد انتُخِب نحو سنة ١٢٥٨ بعد ان فرغ الكرسي البطريركي نحو احدى عشرة سنة. ولم يستطع هذا البطريرك ان يقيم بانطاكية اذ حرمه زميله البطريرك الصليبي مراراً ونفاه الامير بوهيمند السادس. ولكن اذ هجم المغول على بغداد وازالوا الخلافة العبأسية سنة ١٢٥٨ واقتحموا حلب ودمشق في السنة التالية فحالفهم بوهيمند السادس لتسلم له امارته الانطاكية انتهز البطريرك افتيميوس تلك الفرصة وسأل الفاتح ان يتوسط له كي يدخل انطاكية. فدخلها. ولكنه اضطُرَّ سنة ١٢٦٣ ان يخرج منها ويلجأ الى القسطنطينية. ولا نعلم شيئاً اكيداً عن نهاية بطريركيته.

واعلم ان انطاكية قد خرجت من يد الصليبيين سنة ١٢٦٨ اذ افتتحها عنوة بَيْبَرس الملك الظاهر البندقداري (اول سلاطين المماليك المصريين)

وقهر المغول وازال الدولة اللاتينية وقتل كل من لم يمكنه الفرار من سكان المدينة . فاضطر من اجتمع في القلعة من رجال المقاتلة ان يلقوا سلاحهم ويسلّموا . وكان قد انتاب هذه المدينة نكبات كثيرة من حروب ومصائب وزلازل هائلة . فكانت هذه النكبة الاخيرة القاضية عليها . وبالتالي صارت انطاكية لا تصلح ان تكون مقاماً للبطاركة ، فاضطرَّ هؤلاء مع الزمان ان يغادروها[١] .

بعد وفاة البطريرك افثيميوس الاول اجمع رأي الاساقفة الملكيين على انتخاب راهبٍ مشهور من رهبان دير اوذيغوس (Hodèges) الذي كان للبطاركة الانطاكيين في القسطنطينية . وكان اسم هذا الراهب ثاوذوسيوس ولُقِب بالامير لشرف اصله : اذ كان من اسرة ڤيلهردوان (Villehardouin) اللاتينية التي كانت مالكة في اقليم اخائية من بلاد اليونان . وكان ثاوذوسيوس هذا قد انتحل الطقس الشرقي . فاختير بطريركاً على انطاكية في حزيران سنة ١٢٧٥ على الرأي الاقرب الى الصواب وهو ثاوذوسيوس الرابع (١٢٧٥ — ١٢٨٣) الذي رضي بالاتحاد مع الكنيسة الرومانية . وكان ذلك الاتحاد قد أُعلن في مجمع ليون المسكوني الرابع عشر (١٢٧٤) في مدة فراغ الكرسي الانطاكي . ويُرَجح ان هذا البطريرك بقي مقيماً

(١) لا نعلم على التحقيق اين جعل البطاركة الملكيون مقرهم بعد ان غادروا انطاكية لعله في قبرس او في موضع آخر ، ولعلهم لم يتقيدوا بمدينة واحدة الى ان انتقلوا الى دمشق وجعلوها مركز البطريركية سنة ١٣٧٧ على عهد البطريرك مرقس الاول كما ذكر بولس الحلبي او على الكثير على عهد خلفه باخوميوس الاول بين سنة ١٣٧٨ او سنة ١٣٨٦ . ومنذئذٍ بقيت دمشق مقر البطريركية الانطاكية الملكية (الكنائس الشرقية البيزنطية ، ص ٢٣٠)

بدير (الاوذيغوس) في القسطنطينية الى سنة ١٢٨٢ التي توفي فيها الامبراطور ميخائيل الثامن باليولوغس الذي عن يده (ويد البابا القديس غريغوريوس العاشر) جرى الاتحاد. فقام بعد الملك ابنه اندرونيكس في السنة المذكورة ثم تغلب في القسطنطينية حزب الانفصال على حزب الاتحاد وحدث انقلاب عظيم، وأُسقِط من الذبتيخا اسم البطريرك الاسكندري اثناسيوس الثالث الانطاكي لانه تمسَّك بالاتحاد. فخاف ثاوذوسيوس الرابع الانطاكي ان يصيبه مكروه فهرب الى انطاكية وكتب صك استقالته من البطريركية ولجأ الى سورية المسيحية التي كانت من بيروت الى عكا لا تزال تحت حكم الصليبيين.

وعلى اثر استقالته انتخب الاساقفة الانطاكيون بطريركاً أرسانيوس مطران طرابلس الذي كان قبلًا من رهبان دير القديس سمعان العمودي قرب انطاكية. فقبله بطريرك القسطنطينية في شركته. غير انه لما شاع عنه انه اشترك مع الارمن أُسقِط اسمه من الذبتيخا دون فحص سابق. على كلٍ لم تطل بطريركيته كثيراً اذ توفي ما بين سنتي ١٢٨٥ و ١٢٩٠.

واذ اجتمع الاساقفة لانتخاب خَلَف له اختلفوا فيما بينهم. فقام فريق منهم وانتخب ديونيسيوس اسقف بومبيوبوليس (Pompéoupolis) احدى مدن كيليكية وانتخب الفريق الآخر كيرلس متروبوليت صور. وتغلب كيرلس الثاني هذا على خصمه، وظل يسوس البطريركية الانطاكية الى نحو سنة ١٣٠٨. وبعد وفاته قام اثناسيوس الاول بطريرك القسطنطينية وانتهز فرصة فراغ الكرسي الانطاكي واستولى على دير (الاوذيغوس) السابق الذكر الذي كان للبطريركية الانطاكية في مدينة القسطنطينية.

تعليقات لا بد منها (1) :

١٩٦ - لكي نفهم تاريخ الصليبيين ولا نبالغ في الحكم عليهم لا بدَّ لنا من فهم التعليقات التالية :

١) فيما يخص البطريركية اللاتينية : ان انشاء هذه البطريركية كان تدبيراً طبيعياً من حيث عقليَّة عهد الصليبيين : لانه اذ كانت سلطة الحكم في هذه البلاد انتقلت يومئذٍ الى يد اللاتين فلم يكن ليخطر ببال هؤلاء ان يخضعوا للبطاركة الملكيين الذين لم يكونوا من جنسهم الغالب . وهذا الاعتبار هو ما حمل الصليبيين على تأسيس تلك البطريركية لا اعتبار كون البطريرك يوحنا الخامس الانطاكي مخالفاً لمذهب الافرنج او غير متحد مع الكرسي الرسولي . والدليل على ذلك قبول الصليبيين ليوحنا المذكور مدة سنتين مع علمهم بحاله ومذهبه .

٢) فيما يتعلّق بالاشتراك في الالهيات : ان العلاقات المتواترة السياسية والدينية ايضاً التي نراها طوال هذه الحقبة ما بين الصليبيين من جهة ، والبطاركة والاساقفة الشرقيين من جهة اخرى مع الزواجات المختلطة (بين الشرقيين والغربيين) الوافرة العدد التي نراها في طَبَقة الاشراف وفي طبقة العامة ايضاً تدل على ان مبادئ ذلك العهد (من حيث عدم الاشتراك في الالهيات والقدسيات) لم تكن ثابتة كما هي في ايامنا ، اذ ان الاوامر المانعة من ذلك لم تكن قد صدرت بعد من قبل السلطة العليا . والحقيقة هنا ايضاً ان المقاومة التي ابداها على الدوام امراء انطاكية الافرنج للبطاركة

(1) Voir : D. H. G. E. (*Antioche*) c. 622 + D. T. C. (*Ant.*) c. 1420 sq.

الملكيين انما كانت مقاومة سياسية لا دينية : اذ لم يكن يهتم بالامور الدينية الّا الباباوات (وبعض الرؤساء الروحيين) .

٣) فيما يختص بوحدة الولاية في الادارة الكنسية : ان مبادئ هذه الوحدة كانت سائدة جدًّا في ذلك الزمان وكانوا متشبعين منها حتى لم يكن المسيحيون (ولا سيما في الغرب) يعقلون انه يمكن اجلاس اسقفين على كرسي مدينة واحدة ولو كانا من طائفتين او طقسين مختلفين . فكان يجب ان يكون الاسقف (او البطريرك) من الامة الغالبة ومن طقس كنيستها . اما اكليرس البلد الذي يحكمه الاجنبي فيجب ان يكون خاضعاً لولاية ذلك الاسقف او ذلك البطريرك . ولذا حينما كانت بعض الطوائف الشرقية تعود الى الوحدة الكنسية كان الكرسي الرسولي يخضعها حالاً للبطريرك اللاتيني . وقد كان لهذه المبادئ تأثير عظيم على مرّ العصور ولم يأخذوا في التخلي عنها الّا في العصر الحديث بل في عهدنا الحالي تقريباً (الاجتهاد ، ٣٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦)

تنظيم البطريركية في عهد الصليبيين [١] :

١٩٧ — لم يجرِ الصليبيون في تنظيمهم للبطريركية على لائحة انسطاسيوس الاول [٢] بل لم يعرفوا تلك اللائحة . وانما جروا بحسب مبادئ الحكم الاقطاعي (Principes féodaux) التي بموجبها كان ملك اورشليم يُعتبر ولو نظريًّا كسيد (Suzerain) جميع الامراء اللاتين . اما في الفعل فكان حاكم إقطاعة طرابلس يخضع لنفوذ الملك اكثر من امير انطاكية لانه كان اقرب منه الى الملك . اما حاكم اقطاعة الرها (اي اورفا) فكان يخضع

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 627 *sq.*

(٢) التي مرّ ذكرها في المجلد الاول عدد ١٢٣

لنفوذ امير انطاكية اكثر من خضوعه لنفوذ الملك لان الامير كان اقرب اليه مسافةً من الملك . فالمسافات الجيوغرافية اذن هي التي كانت ترتب العلاقات السياسية . وهي التي رتَّبت ايضاً العلاقات الدينية والكنسية :

فهكذا نرى بطريرك اورشليم يرسم متروبوليت صور اللاتيني سنة ١١٢٨ ويبقى هذا المتروبوليت خاضعاً له . ونرى البابا اينوشنسيوس الثاني يثبّت تعليق صور [1] ببطريركية اورشليم ويقدّم متروبوليت صور على متروبوليت قيصرية فلسطين ويردّ الكرسي صور (من يد بطريرك اورشليم) اسقفيات عكا وصيدا وبيروت ، ومن (يد بطريرك انطاكية) كراسي بيبلوس جبيل وطرابلس وطرسوس . ثم تعود هذه الثلاثة الكراسي الاخيرة فترجع الى بطريرك انطاكية لتعديل جرى في النظام السياسي . وهكذا نرى النظام القديم كله يتغير ويُطَبَّق على النظام الاقطاعي كما طُبِق التنظيم الكنسي في القرن الرابع على التنظيم الروماني المدني .

اما الرؤساء الكنسيون الخاضعون (Suffragants) للبطريرك الانطاكي اللاتيني فكانوا ينقسمون الى قسمين : رؤساء لاتين ورؤساء شرقيون :

اما الرؤساء اللاتين فكانوا تسعة رؤساء اساقفة يتبعهم نحو عشرين اسقفاً .

اما الرؤساء الشرقيون فكانوا :

١) جثليق سيس (كيليكية) الارمني وكل اساقفته .

٢) البطريرك الماروني وخمسة او ستة اساقفة .

٣) بعض اساقفة الروم الملكيين .

(١) صور كانت داخلة في مملكة اورشليم الصليبية ، ولذا سُلخت عن بطريركية انطاكية .

الاديار والمزارات (١) :

١٩٨ – قد كثرت الاديار اللاتينية في الشرق على عهد الصليبيين ، وكان في انطاكية نفسها اديار بندكتيَّة منها واحد تحت اسم القديس بولس ، وكان واحد في الجبل الاسود قرب انطاكية تحت اسم القديس جاورجيوس ودير للسيسترسيان (Cisterciens) يقال له دير جوبينو (Jubino). وفي ابرشية طرابلس كان للسيسترسيان ايضاً دير يقال له دير بَلْمُند (L'abbaye de Belmond ou Beaumont) انتقل بعد ذهابهم من هذه البلاد الى الرهبان الروم الملكيين ثم اصبح اليوم دير البَلَمَنْد (Balamand) او المدرسة الاكليريكية البطريركية للروم الارثوذكس . وهو الى الجنوب الشرقي من طرابلس .

اما لائحة اديار الملكيين واليعاقبة فلا يمكن الوقوف عليها لانها غير موجودة فينبغي ايجادها اولاً والبحث عنها .

اما الموارنة فكان لهم في اقطاعة طرابلس ثلاثة عشر ديراً .

هذا من حيث الاديار . اما المزارات فنذكر منها اثنين فقط اولهما مزار سيدة طرطوس في مدينة طرطوس السورية المشهورة . وثانيهما دير السيدة في مدينة صيدنايا قرب دمشق . وكان الصليبيون يدعون هذه المدينة « سردناي » (Sardenay) لا صيدنايا ولبثوا يزورونها حتى بعد انصرافهم الى الغرب ورجوعهم الى بلادهم بمدة طويلة كما يثبت ذلك رواة رحلاتهم الى الشرق .

---

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 628

الكتّاب الملكيون (١) :

١٩٩ - كانوا كثيرين في هذه الحقبة : منهم مترجمون من اليونانية الى العربية ، ومنهم لاهوتيون ، ومنهم كتّاب جَدَليُّون ، ومنهم اخيراً اطباء فلاسفة . واليك اسماء عشرة منهم :

١) البطريرك يوحنا الخامس (١٠٨٨- ١١٠٠؟) الذي مرَّ ذكره . ولنا منه مقالة صغيرة في الاديار المعطاة بالالتزام للعلمانيين (٢) اما جداله مع توما اسقف كفرطاب الماروني فهو محفوظ في المخطوط السرياني (رقم ١٤٦) من مخطوطات الفاتيكان السريانية . وقد يُنسَب اليه بعض مقالات وخطب ذُكِرت في (D. H. G. E. (Antioche) c. 614) .

٢) البطريرك ثاوذورس الثالث بلصمون او بلسمون (١١٨٥-١٢٠٣؟) وقد سبق لنا ذكره ايضاً . وهو العلامة القانوني المشهور الذي ترك لنا تفسيراً خطيراً للحق القانوني ينطوي على ١٤ فصلاً لا يزال علماء الحق القانوني يرجعون اليها الى يومنا هذا (٣) وله كتاب مجموع قوانين الرسل والمجامع المقدسة المسكونية والمكانية وقوانين الآباء (عرَّبهُ عن اليونانية كير سلبسترس البطريرك الارثوذكسي (٤) والياس فخر الطرابلسي (منه نسخة مخطوطة في مكتبة اليسوعيين الشرقية (المخطوطات العربية ، ص ٦٤ ، ٢٦١) .

امَّا من بقي من كتبَة هذه الحقبة فنورد اسماءهم بحسب ترتيبها في

---

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) , c. 621, 622

(٢) (مين الآباء اليونان ١٣٢ : ١١١٧ - ١١٤٩) .

(٣) طالع Balsamon, col. 135 – 137 D. T. C.

(٤) سلبسترس هو سلفسترس القبرسي اول بطريرك انطاكي ارثوذكسي (١٧٢٤-١٧٦٦) قام بعد انفصال الروم

الحروف الهجائية :

٣) « ابو الحسن بن المسيحي » وقيل ابو ناصر صاعد بن هبة الله بن المؤمل النصراني المتطبب خدم الخليفة العباسي الناصر لدين الله (١١٨٠—١٢٢٥) وتوفي بعده نحو سنة ١٢٣٠ . له كتاب في الطب صغير الحجم سماه : « الصفوة في اجزاء الطب عِلميّها وعمليّها » منه نسخة مخطوطة في المكتبة الشرقية اليسوعية ببيروت (المخطوطات ، ص ١٩ و ٢٠) .

« ابو الخير بن المسيحي » الاركيذياقون (Archidiacre) اخو ابي الحسن المذكور قبله ، وهما اخوا الجاثليق المعروف بابن المسيحي . وكان ابو الخير متطبباً ايضاً (اي متعاطياً علم الطب) ومات نحو سنة ١١٩٥ . له كتاب « الاقتضاب في الطب » وقد اختصره وسماه « انتخاب الاقتضاب في الطب » منه نسخة خطية في المكتبة الشرقية المذكورة وهو على طريقة سؤال وجواب . (المخطوطات ، ص ٢٠ و ٢٣٢) .

٥) « ابو علي بن يُمن » . وهو قس متطبب من الطائفة الملكية ومن اهل القرن الثاني عشر ذكرت له مقالة في ماهية اعتقاد النصارى ولعلها هي المذكورة في احدى مخطوطات المكتبة الفاتيكانية (رقم ١٣٥) (المخطوطات ص ٢٢)

٦) « انطونيوس الراهب » . كان هذا الكاتب قد ترهب في دير القديس سابا بفلسطين ثم انتقل الى دير القديس سمعان العمودي القريب من انطاكية وصار رئيساً عليه في القرن الثاني عشر . له عدة تعريبات لميامر القديس غريغوريوس الثاولوغس وميامر القديس يوحنا فم الذهب على انجيل يوحنا ومقالات القديس يوحنا الدمشقي مع بعض رسائل هذا القديس

(الدمشقي) وترجمة حياته . وهي الترجمة التي نشرها بالطبع المرحوم الاب قسطنطين الباشا ب . م في اوائل هذا القرن [١] .

٧) « جراسيموس » رئيس دير مار سمعان العمودي من كتبة القرن الثاني عشر او الثالث عشر . له « كتاب الكافي في المعنى الشافي جمع فيه شواهد من العتيقة والحديثة ومن سائر الاديان على تثبيت الدين الحق ومن كتب الحكماء والوثنيين وكتاب المسلمين » . من هذا الكتاب نسخة قديمة مخطوطة في احد مجاميع المكتبة الشرقية اليسوعية (رقم ٥٥)[٢].

٨) « جرجس الراهب » من دير مار سمعان العمودي قرب انطاكية. له مباحثة شيقة (نشرها بالطبع المرحوم الاب قسطنطين الباشا ب.م سنة ١٩٣٠) وهي جدال مع ثلاثة من علماء المسلمين « امام السيّد مشمّر اخي الخليفة الظاهر الغازي ابن يوسف بن ايوب الصلاحي المملّك على الاسلام بمدينة حلب والشام وفي تملك لاون الارمني بن اصطفان (سنة ١١٦٨) . من هذا الجدال ٣ نسخ خطية في المكتبة الشرقية اليسوعية [٣]

٩) « عفيف » (الشيخ ابن المكين) بن مؤمّل من كتبة القرن الثالث عشر هو مؤلف الرسالة اللاهوتية التاريخية في مذاهب النصارى التي نشرها في المشرق (سنة ١٩٢١ ص ٩١٣) المرحوم الارشمندريت الياس بطارخ وكان قد نقلها عن نسخة في مكتبة القبر المقدّس بالقدس الشريف (عد ١٠١ ص ٨٩ - ٩١) . [٤]

١٠) واخيراً « نفيس الدولة » او « نفيس الدين » الدمشقي الملكي

---

(١) المخطوطات ، ص ٤٦ و ٤٥ . (٢) المخطوطات ، ص ٨١ و ٢٣٧ .

(٣) المخطوطات ، ص ٨٢ و ٨٣ و ١١٦ و ١١٧ .

(٤) المخطوطات ، ص ١٤٨ .

ابن طليب وكان من جملة اطباء هولاكو الفاتح المشهور في اواسط القرن ١٣[1]

٣ً ـ كنيسة الاسكندرية

مصر في عهد الصليبيين – بطاركة الاسكندرية الملكيون – كنيسة الاسكندرية والاتحاد في مجمع ليون سنة ١٢٧٤ .

مصر في عهد الصليبيين [2] :

٢٠٠ – طالما حن الصليبيون الى رؤية مصر واشرأبّت اعناقهم الى فتحها اذ كانوا يعلمون ان سلاطينها ذوو شوكة واقتدار ، وان الانتصار عليهم له تأثير عظيم في بلوغ مرامهم من الاستيلاء على الاراضي المقدسة والتملُّك فيها بسلام وطمأنينة : فهكذا أبطال الحملة الصليبية الاولى سنة ١٠٩٩ ، واموري ملك اورشليم سنة ١١٦٣ وسنة ١١٦٤ وسنة ١١٦٧ . وغليوم الثاني ملك صقلية سنة ١١٧٤ ، وفيليب اوغست وريكاردوس قلب الاسد سنة ١١٩١ ثم يوحنا دي بريين (Jean de Brienne) ملك اورشليم سنة ١٢١٩ واخيراً القديس لويس التاسع ملك فرنسا سنة ١٢٤٩ نراهم يحاولون عبثاً افتتاح وادي النيل : فمع كل اجتهادهم لم يستطيعوا ان يتجاوزوا دمياط والمنصورة .

---

(١) الملكيون ص ٥٧ (عن ابن العبري) .

(2) D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 356 – 358 + D. T. C. (*Alex.*) c. 796, 797.

ان مدينة الاسكندرية بالخصوص قد هُدّدت بالفتح كثيراً . ولكن لم تُهاجَم الا نادراً . اما كنيستها فتألمت وتضررت جدًّا من تلك العداوة المستمرة . وكان المسيحيون المصريون والمسيحيون الغربيون الذين في السجون والاسر عرضة لأخذ الثار ولاضطهاد فظيع اصاب كل الطوائف المسيحية على الاجمال ولكن ثقلت وطأته خصوصاً على كرسي القديس مرقس الملكي الضعيف حتى كادت تدمره . ولذلك نرى احد بطاركته اثناسيوس الثالث مضطراً ان يقيم خارجاً عنه في بلاد الروم ما يزيد على الثلاثين سنة (١٢٧٦ – ١٣٠٨) ونرى غيره من البطاركة كثيراً ما ينطلقون الى هناك لمدة قصيرة او طويلة في طلب المدد والاسعاف .

بطاركة الاسكندرية الملكيون (١) :

٢٠١ – واليك الآن اسماء اولئك البطاركة البائسين مع ذكر سني جلوسهم على التقريب :

	سنة الترقي		سنة الترقي
افلوجيوس الثاني	؟	غريغوريوس الاول	؟
صفرونيوس الثالث	نحو ١١٦١	نقولاوس الثاني	نحو ١٢٦٠
الياس الثاني او الفثاريوس	نحو ١١٨٠	اثناسيوس الثالث	نحو ١٢٧٦ الى ١٣١٦
مرقس الثاني	نحو ١١٩٥		
نقولاوس الاول	نحو ١٢١٠		

لا نعرف شيئاً عن البطاركة (افلوجيوس) الثاني ، وصفرونيوس (٢)

(1) D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 366 + D. T. C. (*Alex.*) ibidem

(٢) صفرونيوس الثالث حضر مع بطريركي انطاكية والقسطنطينية اكليل الملك

الثالث ، والياس الثاني الذي يسميه بعض المؤرخين الفثاريوس) .

اما مرقس الثاني فيُعرَف من الاسئلة (الاربعة والستين) التي القاها في شهر شباط من سنة ١١٩٥ (مين : الآباء اليونان مجلد ١٣٨ عمود ٩٥١ وما بعده) على العلامة القانوني الشهير ثاوذورس بلسمون الثالث البطريرك الانطاكي (١١٨٥ - ١٢٠٣ ؟) المعاصر له . وتلك الاسئلة تبين حالة الكنيسة الاسكندرية في ذلك الزمان وترينا ما كانت عليه من الضعف الشديد وكيف كانت تعيش بضنك كبير فيما بين الهراطقة وغير المؤمنين .

امّا البطريرك نقولاوس الاول فقد كتب سنة ١٢١٠ الى البابا اينوشنسيوس الثالث كتاباً يشكو اليه فيه مرارة الاضطهاد الذي كان المسيحيون بمصر يعانونه في تلك الايام . فكتب اليه البابا جواباً لطيفاً يعزيه فيه ويشدّد عزائمه .

اما البطريركان (غريغوريوس الاول ونقولاوس الثاني) فهما مجهولان تماماً .

واما اثناسيوس الثالث آخر بطاركة هذه الحقبة فكان من انصار الاتحاد مع الكرسي الروماني ، ولذلك أُسقِط اسمه من الذبتيخا في كنيسة القسطنطينية كما ذُكِر ذلك سابقاً [1] .

كنيسة الاسكندرية والاتحاد في مجمع ليون سنة ١٢٧٤ [2] :

٢٠٢ — ان كنيسة الاسكندرية خضعت مدة طويلة لنفوذ كنيسة

مانويل كومنينوس على ماري بنت ريمون امير انطاكية الصليبي سنة ١١٦١ (عن المؤرخ خريسوستومس بابا ذو بولس) .

(١) الاجتهاد ص ١٠٧ .

(2) D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 359 sq.

الاجتهاد ، ص ٣٥ وما بعدها + ١٠٦ و ١٠٧ .

القسطنطينية قبل ان تنفصل عن الكنيسة الرومانية (كما ذكرنا ذلك في عدد ١٨٧) اما العصر الذي وصلنا اليه فكان عصر تردد فيها بين الاتحاد والانفصال فلم يكن شعورها ثابتاً على رأي: فبينا نرى بطريركها نقولاوس الاول السابق الذكر يراسل الحبر الاعظم نرى ايضاً احد سفراء رومة يكتب الى البابا سنة ١٢٣٧: ان اقباط الاسكندرية قابلون الاتحاد، اما الروم فمعاندون. واليك الآن كيف كان موقفهم في اتحاد ليون:

لما عُقِد مجمع ليون المسكوني الرابع عشر سنة ١٢٧٤ بعناية البابا القديس غريغوريوس العاشر (١٢٧١-١٢٧٦) واجتهاد ملك الروم ميخائيل الثامن باليولوغس (١٢٥٩ — ١٢٨٢) تمَّ فيه الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية. ولكن هذا الاتحاد كان قصير المدة، لان الأهواء السياسية عصفت به وبدَّدت اثره.

اما البطاركة الملكيون فلم يحضروا ذلك المجمع لان المفاوضة كانت فيه محصورة بين ملك الروم والكرسي الرسولي. على كل حال لم يكن في استطاعتهم حضوره: لان سلطان مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري الذي استولى على مصر وفلسطين (ما عدا عكا) قد فتح انطاكية ايضاً سنة ١٢٦٨ وملك على امارات الافرنج في سوريا، وكان يخشى من اتفاق بطاركة النصارى الشرقيين الذين تحت حكمه مع باباوات رومة الذين ما زالوا يثيرون الحروب الصليبية. ولذلك ما كان ليأذن للبطاركة المذكورين في السفر الى اوروبا والاشتراك في مجمع اشتهر انَّ من أغراضهِ تنظيم حملة صليبية جديدة. إلَّا ان هؤلاء البطاركة، مع انهم لم يشتركوا في المجمع، قد اظهروا ميلاً واضحاً الى الاتحاد الذي تمَّ في ليون.

وماذا فعلت البطريركيات الشرقية بعد ذلك؟ ان كنيسة القسطنطينية

التي بادرت الى الاتحاد في ايام الملك ميخائيل الثامن باليولوغس هي التي بادرت الى الانفصال بعد وفاة هذا الملك لاسباب سياسية لا محل لذكرها هنا . ومما فعلته انها اسقطت من ذبتيخاها اسم اثناسيوس الثالث بطريرك الاسكندرية لانه تمسك بالاتحاد . وقام الملك اندرونيكس بن ميخائيل الثامن المذكور واضطرّ يِقكُس بطريرك القسطنطينية الاتحادي الى الانزواء في احد الديورة واعاد يوسف البطريرك القديم الانفصالي الى كرسي القسطنطينية . فهرب حينئذٍ ثاوذوسيوس الرابع البطريرك الانطاكي لئلا يصيبه مكروه ، كما ذكرنا ذلك سابقاً (عد ١٩٥) . واما غريغوريوس الاول بطريرك اورشليم (١٢٨١-١٢٩٨ ؟) فكان انفصاليًا منذ الابتداء ولم يذهب الى القسطنطينية ... بل كتب ٣٣ مقالة بهذا الشأن قبّح فيها الاتحاد ... ونشر بيانه لجميع الكنائس الارثوذكسية . (شحادة ونقولا خوري ص ٨٩) .

وهكذا بعد ثماني سنوات فقط اصبح ذلك الاتحاد اثراً بعد عين [1] .

---

(١) ومن اراد معرفة اسباب هذا الانقلاب الفظيع الذي جرى في القسطنطينية فعليه بمراجعة الفصل ٤ من كتاب « الاجتهاد في سبيل الاتحاد » للمرسلين البولسيين ص ٣١ – ٤٢ (حريصا سنة ١٩٣٩) وهو الذي سبق لنا ذكره مرارًا في هذا الكتاب .

الفصل الخامس

الكنائس الملكية في عهد المماليك (١٢٩١ــ١٥١٧)

اً ــ كنيسة اورشليم

الحالة السياسية – بطاركة اورشليم – المساعي في سبيل الاتحاد مع رومة – الكتبة الكنسيون الملكيون .

الحالة السياسية [١] :

٢٠٣ – في هذه الحقبة الطويلة التي امتدت ما يزيد على ٢٢٥ سنة كانت الاقطار الثلاثة مصر وفلسطين وسوريا في ايدي سلاطين المماليك المصريين واستمرت في ايديهم الى ان افتتحها الاتراك العثمانيون سنة ١٥١٦ وسنة ١٥١٧ .

ان الفرسان الصليبيين ، بعد سقوط عكا سنة ١٢٩١ (وهي آخر مدينة محصَّنة كانت لهم في الشرق) لجأوا الى مملكتَي قبرس وارمينية الصغرى (انظر الخارطة) . وكل ما كان بوسعهم ان يعملوه انما هو ان يشنّوا بعض الغارات على المدن الساحلية ، وهذا ما فعلوا . فمع كل الاحتياطات التي اتخذها المماليك لحماية الشطوط البحرية لم تسلم هذه الشطوط

(1) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 628, 629 — *Mouterde*, o. c. 81 sq. *Lammens*, o. c. II, pp. 12-25·

من غارات الصليبيين الى سنة ١٣٧٦ التي فيها افتتح جزيرة قبرس جنود جنَوى (من مدن ايطاليـــا) واخذوا عاصمة الجزيرة المدعوة فاماغوسطا (Famagouste) من يد اسرة لوزينيان (Lusignan) التي كانت مالكة فيها .

وقبل هذا الفتح بسنتين اي في سنة ١٣٧٤ كان المماليك انفسهم قد اجتاحوا مملكة ارمينيا الصغرى التي كان اهلها منذ سنة ١٣٤٢ قد استسلموا لاسرة لوزينيان المذكورة وملّكوها عليهم .

اما ملوك المغول الذين كانوا يقيمون في بلاد فارس فكانوا اشدّ اعداء المماليك بطشاً . وقام احدهم المدعو قازان (Ghazan) واستنجد سنة ١٢٩٩ بهتوم (Héthoum) ملك الارمن وداود ملك الكرج ثم زحف على سوريا واخذ حلب وحماة وهزم المماليك قرب حمص ودخل دمشق . ولكنه اضطُرَّ ان يعود الى بلاد فارس ليحارب خصماً ثار عليه هناك في غيبته . وتجددت غارات المغول على سوريا في السنوات التالية وهي: ١٣٠١ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣١٢ ، ولكنها لم تكن طويلة بل قصيرة عابرة .

وفي حملة سنة ١٣٠٣ انقضَّ الكسروانيون وغيرهم من اللبنانيين على جيش المماليك فضايقوه فأثاروا بعملهم هذا غضب المماليك عليهم . فجهَّز هؤلاء عليهم حملة كبيرة وخربوا بلادهم وكان معظم الكسروانيين من المتاولة ، فاضطُرُّوا ان ينتقلوا من الجبل الى البقاع وجهات بعلبك وجبل عامل حيث نجد الآن احفادهم . وحلَّ محلهم في كسروان الموارنة ومُقدَّموهم .

على ان اهمّ غارة مغوليَّة في ذلك الزمان كانت سنة ١٤٠٠ وسنة ١٤٠١ وهي غارة الفاتح الكبير تيمورلنك المغولي قاهر ملوك الهند والفرس : فانه هجم على سوريا عن طريق حلب ووادي العاصي وقَبِل تسليم دمشق ثم سلبها

ودمّرها واباح القتل فيها مدة عشرة ايام ، ثم عبر الفرات ليحارب الاتراك العثمانيين و كسرهم في بلادهم شرَّ كسرة سنة ١٤٠٢ [١] .

اما العلاقات بين المماليك والعثمانيين فبقيت حسنة الى ما بعد افتتاح هؤلاء لمدينة القسطنطينية واسقاطهم لمملكة الروم سنة ١٤٥٣. ثم تشوَّشت تلك العلاقات اذ قام قايت بك احد سلاطين مصر وعضد اخا بايزيد الثاني عليه وهو سلطان الاتراك العثمانيين (من ١٤٨١ الى ١٥١٢) فاستاء بايزيد من سلطان مصر واراد الانتقام منه ولكن حرب بلغراد منعته من ذلك ، لانها كانت شاغلة كل افكاره . فاجرى الانتقام ابنه وخليفته سليم الاول (١٥١٢ — ١٥٢٠) اذ افتتح سوريا وفلسطين سنة ١٥١٦ والقطر المصري سنة ١٥١٧ .

بطاركة اورشليم [٢] :

٢٠٤ — كانوا خمسة عشر في هذه الحقبة الطويلة واليك اسماءهم مع ذكر سنة ترقيهم على التقريب :

	سنة الترقي		سنة الترقي
أثناسيوس الثالث	١٣١٢ ؟	دوروتاوس الاول	١٣٧٦ ؟
غريغوريوس الثاني	١٣٢٢ ؟	ثاوفيلس الثاني	١٤١٧
لعازر	١٣٣٥ ؟	ثاوفانس الاول	؟
ارسانيوس	١٣٤٤ ؟	يواكيم	١٤٣١ ؟

(١) لما غُلِب بايزيد الاول على امره في سهول انقرة (وكان اعور) اقتادوه الى عدوه تيمورلنك الذي كان اعرج وكان يلعب بالشطرنج مع اصغر اولاده . فقال تيمورلنك له : « يجب ان تكون ممالك الدنيا بلا قيمة عند الله حتى يملك عليها اعور مثلك واعرج مثلي » H. T. D., o. c. p. 412

(٢) شحادة ونقولا الخوري ، ٨٩ — ١٠٩ ثم الجدول (ج). لوكيان (في تاريخ الدبس) ، ٦ : ٤٤٥ و ٥٣٥ وما يليها .

	سنة الترقي		سنة الترقي
ثاوفانس الثاني	؟	غريغوريوس الثالث	١٤٦٨ ؟
اثناسيوس الرابع	١٤٥١ ؟	مرقس الثالث	١٥٠٥ ؟
يعقوب الثاني	؟	دوروتاوس الثاني	١٥٠٦ ؟
ابرهيم	؟		

رأينا (في عدد ١٩٠) ان امبراطور القسطنطينية بعد اتفاقه مع ملك اورشليم الصليبي سنة ١١٤٢ على تعيين بطريرك للروم الملكيين ، اخذ يدعي ان له الحق في تعيين البطريرك الاورشليمي او (على الاقل) في تثبيته بعد الانتخاب . فكان على بطاركة المدينة المقدسة في حكم دولة المماليك ان يتوجهوا الى القسطنطينية ليوافق الامبراطور على انتخابهم بعد حصوله .

وذهب اثناسيوس الثالث اول بطاركة هذه الحقبة الى هناك لاجل هذه الغاية . فلحقه جبرائيل بلوراس اسقف قيصرية فيلبس وشنَّع عليه عند القيصر ، واختطف الكرسي الاورشليمي منه . ثم خلفه غريغوريوس الثاني نحو سنة ١٣٢٢ . ولكن اثناسيوس الثالث تمكن من العودة الى كرسيه سنة ١٣٣٠ وبقي مستولياً عليه حتى وفاته نحو سنة ١٣٣٤ .

وبعدها انتُخِب لعازر ١٣٣٥ - ١٣٦٧ ؟ فتوجه الى القسطنطينية لاجل نيل التثبيت . فاغتنم جراسيموس المتوحد فرصة غيابه ونسب اليه تهماً تمنعه من الترقي ، وانتُخِب هو مكانه . وقام حزب معارض لجراسيموس وانتخب ارسانيوس بطريركاً لاورشليم . وانطلق جراسيموس الى القسطنطينية ليفوز بالتثبيت الملكي . فامر القيصر اندرونيكوس ببقاء الاثنين هناك (لعازر وجراسيموس) وارسل سفارة الى سلطان مصر لكي

يقف منه على اهلية وافضلية الواحد على الآخر بواسطة اساقفة الكرسي الاورشليمي . فاجابه السلطان برسالة مصرح فيها بجدارة لعازر واهليته دون جراسيموس . وقبل ان يعمل القيصر بهذه الرسالة فاجأته المنية . فخلفه ابنه يوحنا وكان قاصراً . فأُقيمت له وصاية تحت رئاسة البطريرك القسطنطيني . ثم طمع يوحنا كنتاكوزين عم القيصر في كرسي الملك ووقعت حرب اهلية بسبب ذلك . وكان لكنتاكوزين حزب يناصره من جملة اعضائه لعازر المذكور . فسخط عليه بطريرك القسطنطينية وشرطن جراسيموس خصمه بطريركاً لاورشليم . فانتقم منه لعازر بان توّج يوحنا كنتاكوزين قيصراً مكان ابن اخيه القاصر . ولما تسلم كنتاكوزين زمام المملكة وجه لعازر مع مندوب من قبله الى نصر الدين حسن بن ناصر ملك مصر لكي يجلسه على كرسي اورشليم . فأجلسه وعزل جراسيموس . فتوجه هذا الى مصر لكي يحتج على عزله فمات في الطريق .

ومات نصر الدين ملك مصر فخلفه ابنه صلاح الدين ، واضطهد المسيحيين اضطهاداً عنيفاً [١] . فقبض على البطريرك لعازر ونكّل به وطلب منه الدخول في الاسلام فأبى ، فطرحه في اعماق السجون . وكان بطريرك الاقباط يعزيه في سجنه . ثم توسط له مع السلطان واخرجه من السجن فعاد الى كرسيه [٢] . اما ارسانيوس (الذي انتُخِب ضد جراسيموس) فظل يعاون لعازر على ادارة الكنيسة الاورشليمية .

---

(١) كان من جملة اسبابه غارة بطرس لوزينيان ملك قبرس على مدينة الاسكندرية وحصاره واخذه لها ، كما سنذكره (عدد ٢١٣)

(٢) وكتب اليه البابا بهذه المناسبة كتاباً لطيفاً .

وفي عهد هذا البطريرك اتى الفرنسيسكان الى القدس ومعهم كتاب توصية من الامبراطور كنتاكوزين . فساعدهم البطريرك وشملهم برعايته واعطاهم مزاراً في كنيسة القيامة ليقيموا فيه فروض عبادتهم [١] . وسترى في العدد التالي ماكان بين هذا البطريرك والبابا من المراسلة في سبيل تجديد الاتحاد سنة ١٣٦٧ .

وبعد وفاته استقل ارسانيوس معاونه بادارة البطريركية وكان قد اشترك في المجمع الذي عُقِد في القسطنطينية لاجل اتحاد الكنائس في السنة المذكورة .

امـا دوروتاوس الاول الذي خلف ارسانيوس فرقي الى الكرسي الاورشليمي نحو سنة ١٣٧٦ وقد اقرَّه في البطريركية الملك يوحنا الخامس باليولوغس (١٣٤١ — ١٣٧٦ و ١٣٧٩ — ١٣٩١) . وكان دوروتاوس هذا من جِلَّة العلماء والخطَّاطين : ففي مكتبة البطريركية الاورشليمية مخطوطات عربية كثيرة منها ما هو بخط يده ، ومنها ما ترجمه الى العربية ونسخه رجال افاضل في اوقات مختلفة [٢] .

وعلى عهد المماليك الجراكسة او البرجيين الذين ملكوا (من ١٣٨٢ الى ١٥١٧) ارسل انطونيوس الرابع بطريرك القسطنطينية رسالة الى دوروتاوس باسم القيصر مانوئيل باليولوغس (١٣٩١ — ١٤٢٥) طلب منه فيها ان يتوجه الى الاسكندرية (وكان بطريركها قد توفي) وذلك ليدرس احوالها الكنسية بتروٍ ويرفع معلوماته الى القيصر في شأن انتخاب بطريرك لها

(١) راجع تاريخ خريسوستومس ، ص ٤٣٣ .
(٢) التاريخ المذكور ، ص ٤٣٦ .

ليكون الانتخاب مرضياً حتى عند الحكومة المصرية . فذهب دوروتاوس وقام بهمته خير قيام، ثم رجع الى مقره واستأنف نسخ الكتب الكنسية، واخيراً تنازل عن البطريركية سنة ١٤١٧ لابنه ثاوفيلس الثاني الذي كان مشهوراً بالفضل والتقوى (١٤١٧ - ١٤٢٤ ؟) . اما هو فظلَّ دائباً على النسخ حتى وفاته .

واما بقية البطاركة الذين اتوا بعد ثاوفيلس الثاني فلا نعرف عنهم سوى ما هو مذكور في العددين التاليين .

المساعي في سبيل الاتحاد مع رومة [1] :

٢٠٥ — قد رأينا ان الحروب الصليبية كانت خاسرة ولم تأتِ بالفائدة المقصودة منها . مع ذلك بقي للشرق وسيلة للخروج من المأزق الذي وقع فيه ألَا وهي انضمام كل المسيحيين من كل الطوائف الى الكرسي الرسولي الذي كان لا يزال مقتدراً في الغرب . وهذا ما كان يفكر فيه الشرقيون عند حلول الازمات وتفاقم الاخطار . ولكن الشقاق المشؤوم كان قد تأصل وتقادم عهده حتى صار من الصعب الممتنع ازالة اسباب الريبة والتباعد بين الفريقين .

واذا عدنا الى تاريخ القرن الثالث عشر اعني الى مجمع ليون (١٢٧٤) المسكوني الرابع عشر والى السنين التي اتت بعده يلفت نظرنا موقف البطاركة الاورشليميين من تلك المسئلة الخطيرة وعدم استقرارهم على رأي فيها . فبينا نرى غريغوريوس الاول بطريرك اورشليم (١٢٨١ -١٢٩٧) يقاوم

(1) D. T. C. (*Jérusalem*) c. 1003
نقولا وشحادة خوري في الموضوع المذكور في العدد السابق .

يوحنا ڤكوس بطريرك القسطنطينية المحامي عن الاتحاد نرى اثناسيوس الثالث الاورشليمي (١٣١٢ - ١٣٢٢ ؟) الذي كان في القسطنطينية في اوائل القرن الرابع عشر يحبذ الاتحاد ويبذل المساعي الطيبة في سبيله .

وكذا نرى البطريرك لعازر (١٣٣٥ - ١٣٦٧ ؟) يراسل الحبر الاعظم ويرده منه رسالة يثني فيها البابا على مقاصده الحسنة واجتهاده في سبيل الاتحاد .

اما في القرن الخامس عشر فنرى أولاً مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩ المسكوني السابع عشر الذي عُقِد على عهد يواكيم بطريرك اورشليم وقد ناب فيه عن هذا البطريرك ديونيسيوس اسقف سرديس وبعد وفاته بالطاعون في مدينة فرّارا حلَّ محله ذوسيثاوس مطران مونمبازيا ووقّع على قرار الاتحاد بالنيابة عن البطريرك يواكيم المذكور .

وبعد ان قبل هذا البطريرك اولاً صكّ الاتحاد بكل سرور عاد فنقضه سنة ١٤٠٣ كما سنذكره فيما بعد [١] .

ثم في سنة ١٤٥٨ قام بطريركا الاسكندرية وانطاكية الملكيان واقنعا زميلهما الاورشليمي (اثناسيوس الرابع ؟) ان يرجع الى الاتحاد . ففعل . وكتبوا ثلاثتهم في ذلك وارسلوا كتابتهم الى البابا عن يد موسى الجُبَيليّ ، وعادوا الى الاتحاد سنة ١٤٦٠ ولا نعلم كم استمرَّ هذا الاتحاد . انما نعلم ان بطاركة اورشليم في اواخر القرن الخامس عشر حاولوا من جديد ان يدخلوا في مفاوضات اتحادية مع الباباوات لخوفهم من ان اضطهاد الحكّام لرعاياهم

(١) الاجتهاد ، ص ١١٠ و ١١١ .

يحملهم على جحود الايمان . فالبطاركة ابرهيم وغريغوريوس الثالث ومرقس الثالث كتبوا في ذلك الى رومة . وكان البطاركة اذ ذاك من العنصر الوطني . ولكن لما استولى العنصر اليوناني بعد ذلك على البطريركية الاورشليمية ما عدنا رأينا شيئاً من تلك المحاولات (١) .

الكتبة الكنسيون الملكيون (٢) :

٢٠٦ — اثنان منهم فقط يستحقان الذكر . واليك اسميهما :

١) الغزيّ : وهو الشيخ سليمان بن حسن الذي اصبح اسقفاً لغزة في القرن الرابع عشر بعد ان ارتدّ عن الاسلام الى المسيحية . ذكر عيسى افندي المعلوف ترجمته وبعض قصائده وقال عنه انه مات شهيداً (٣) وقد خلّف لنا هذا الشيخ المتنصر : ١) ديوان شعر واسعاً وقصائد حسنة في مواضيع دينية وادبية ٢) رسائل وردود على المخالفين للايمان المستقيم وعلى الهراطقة كآريوس ونسطوريوس واوطيخا وساويرس ويعقوب البرادعي ٣) عدة مقالات في الخلق والتجسد والصلب وفي الانسان والعالم ٤) واخيراً عدة مسائل منثورة مع اجوبتها وقد نُقِلت ونُسخت هذه المسائل سنة ١٦٤٤ م.

---

(١) « يزعم بعض المؤرخين الكنسيين اليونان ان البطاركة الذين كانوا من العنصر الوطني قد اساءوا التصرف في اوقاف الكنيسة الاورشليمية وافقروها ، وان ذلك كان من الاسباب التي حملتهم على الالتجاء الى الباباوات . وهكذا طعن اولئك المؤرخون في كفاية ونزاهة العنصر العربي او الوطني في فلسطين وشوهوا جمال العواطف الاتحادية التي ابداها بعض بطاركته ، مريدين بذلك ان يؤيدوا مطالبهم العنصرية في تولي بطريركية المدينة المقدسة واوقافها » (الاجتهاد ، ص ١١١) .

(٢) المخطوطات العربية ، ص ١٥٥ ونقولا وشحادة خوري ، ص ٩١ .

(٣) مجلة النعمة ، ١ : ٦١٩ و٦٥٨

٢) اثناسيوس الاورشليمي : وهو اثناسيوس الرابع بطريرك الروم الملكيين على القدس الشريف (١٤٥١ – ١٤٦٨ ؟) [١] : له ١) كتاب فيه ٦٦ عظة للآحاد والاعياد ٢) كتاب الدر المنتخب ليوحنا فم الذهب (نقله الى العربية) وهو الكتاب الذي نقَّحه سنة ١٨٧١ الشيخ ناصيف اليازجي وطبعه في المطبعة الكاثوليكية ببيروت ٣) واخيراً في احدى مجموعات المكتبة الشرقية (ببيروت) له اربع عظات في اعياد التجلي ودخول العذراء الى الهيكل ورقاد السيدة وصعود الرب [٢] .

٢ً – كنيسة انطاكية

بطاركتها – تعليم غريغوريوس بالاماس – دمشق مقر البطاركة – المجمع الفلورنتيني واتحاد الكنائس – منع العلاقات مع الغرب .

بطاركة انطاكية [٣] :

٢٠٧ – لا بدَّ لنا هنا من ان نكرر ما قلناه سابقاً (عدد ١٧٧) وهو ان تواريخ الاعصر الوسطى (ولاسيا الحقبة التي وصلنا اليها) هي مقتضبة وغامضة جدًّا ، ومصادرها سقيمة ومتناقضة احياناً . ولذلك ترانا نتردد ونتحفظ كثيراً في ايراد الامور والحوادث . وعذرنا في ذلك قلة المعلومات

(١) اثناسيوس الرابع هو على الارجح البطريرك الذي عاد الى الاتحاد مع الكرسي الروماني بواسطة موسى الجبيلي المذكور في العدد السابق .

(٢) المخطوطات العربية ، ص ٣٦ .

3) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 629 – 635 + 699, 700

التي وصلت الينا مع الغموض والابهام اللذين يكتنفان تلك العصور .

واليك الآن اسماء بطاركة انطاكية لذلك العهد وتاريخ جلوسهم (على التقريب) مع بعض الملاحظات المتعلقة بستة او سبعة منهم [١] .

	سنة الترقي		سنة الترقي
ديونيسيوس الاول	١٣٠٩ ؟	ميخائيل الثاني	١٣٩٥ ؟
كيرلس الثالث	؟	باخوميوس الثاني	١٤١٢ ؟
ديونيسيوس الثاني	؟	يواكيم الاول	١٤٢٤ ؟
صفرونيوس	؟	مرقس الثاني	١٤٢٦ ؟
اغناطيوس الثاني	١٣٤٤ ؟	دوروثاوس الاول	١٤٣٤ ؟
باخوميوس الاول	١٣٥٩ ؟	ميخائيل الثالث	١٤٥١ ؟
ميخائيل الاول (ويعقوب		مرقس الثالث	١٤٥٦ ؟
ابن ريحان)	١٣٦٨ ؟	يواكيم الثاني	١٤٥٨ ؟
باخوميوس الاول (ثانية)	١٣٧٥ ؟	ميخائيل الرابع	١٤٧٠ ؟
مرقس الاول	١٣٧٧ ؟	دوروثاوس الثاني	
باخوميوس الاول (ثالثة)	١٣٧٨ ؟	(ابن الصابوني)	١٤٨٤ ؟
نيكون (او نيلوس)	١٣٨٧ ؟	فراغ	١٥٠٠ ؟

اننا لا نعرف شيئاً عن الاربعة البطاركة الاولين .

اما اغناطيوس الثاني فجلس على السدة البطريركية من سنة ١٣٤٤ حتى سنة ١٣٥٩ التي فيها نُفِي الى جزيرة قبرس بدهاء (باخوميوس الاول)

(١) راجع نخبة (من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي) ١٠ – ٢٣ الحقائق الوضية (او تاريخ الخوري ميخائيل بريك) ٤٩ و٥٠ الموجز ٩٢ و٩٣ الملكيون ٦٠ – ٦٥ لوكيان (Lequien) في تاريخ الدبس ٦ : ٣٤٢ – ٣٤٤ + ٤٤٤ و٤٤٥ + ٥٣٣ – ٥٣٥

خلفه . وتوفي في هذه الجزيرة سنة ١٣٦٦ دون ان يتمكن من العودة الى كرسيه .

اما باخوميوس الاول فقد اختلس الكرسي البطريركي عدة مرات كما سيأتي ذكره .

ولا نعرف شيئاً عن اسلافه الى ميخائيل الثاني الذي كان ابن اخي البطريرك ميخائيل الاول . وقد ارسل الى القسطنطينية صورة ايمانه موافقة لتعليم غريغوريوس بالاماس الذي سيُذكر . ثم هرب من دمشق الى قبرس سنة ١٤٠٠ من وجه تيمورلنك الفاتح السفّاك . ونُهبت حينئذٍ « بدلاته وعدته الكنسية وماله » . وكتب في قبرس سنة ١٤٠٤ تاريخ اسلافه البطاركة الذي عنه ننقل هذه المعلومات . وتوفي هناك نحو سنة ١٤١٢ .

وليس عندنا شيء نقوله عن البطاركة الذين اتوا بعده الى دوروثاوس الاول ١٤٣٤ — ١٤٥١ ؟ . ان هذا البطريرك كان قبلاً اسقفاً لصيدنايا قرب دمشق . وعلى عهده عُقِد المجمع الفلورنتيني كما سنبينه . وهو على الارجح البطريرك الذي جدَّد علاقات الكرسي الانطاكي مع الكرج فقصد تلك البلاد وثبَّت ولايته عليها وعيَّن لها جثليقاً . واستمرَّت هذه العلاقات الى مبادئ القرن الثامن عشر . وكانت وفاة البطريرك في ٨ ايلول سنة ١٤٥١ .

وفي ١٤ منه انتخب الشعب الدمشقي (بموافقة الاساقفة) مرقس اسقف صيدنايا بطريركاً سُمِي ميخائيل الثالث . وقد حضر حفلة تنصيبه تسعة اساقفة فقط وكان البقية متغيبين . وهذا البطريرك هو (على الارجح) الذي سام شماساً (ارشيدياكون) موسى الجُبَيلي الذي سيأتي ذكره وعلى عهده سقطت القسطنطينية بيد الاتراك سنة ١٤٥٣ ولم تطل مدة بطريركيته كثيراً

اذ توفي نحو سنة ١٤٥٦ . وقد مدح كتاب التختيكون صلاحه وعلمه وغيرته.

اما مرقس الثالث ويواكيم الثاني فسنأتي على ذكرهما في الكلام على المجمع الفلورنتيني واتحاد الكنائس . واماً من اتى بعدهما من البطاركة فلا نعرف عنهم شيئاً راهناً

تعليم غريغوريوس بالاماس (١) :

٢٠٨ – ان بعض رهبان جبل آثوس (من بلاد اليونان) كانوا يعلمون ان الانسان يمكنه بواسطة سكون النفس والجسد تماماً ان يصل الى رؤية الله حتى في هذه الحياة ، وذلك كما رأى الرسل نور المسيح على جبل ثابور ، وكانوا يقولون ان هذا النور هو ازلي وغير مخلوق ؛ ويجعلون تمييزاً حقيقياً بين الذات الالهية وبين فعلها . . . وقد وضع بعضهم طريقة آلية (ميكانيكية) للوصول الى التمتع بمشاهدة هذا النور الالهي (وهي النظر الى البطن ساعات مستطيلة وجمع الافكار بكل دِقَّة في اثناء ذلك) . وكان صاحب هذا التعليم وعمادُهُ يدعى الراهب غريغوريوس بالاماس الذي اصبح رئيس اساقفة سالونيك من سنة ١٣٤٩ الى سنة ١٣٥٩

وقد حصل في القسطنطينية بشأن هذا المذهب الجديد ما كان يحصل بشأن غيره من المذاهب اللاهوتية ، اي ان الملوك تدخلوا في الجدال وكذلك الاحزاب السياسية والرهبانية ، وقام البطريرك القسطنطيني يوحنا كاليكاس وحرم المذهب البالامي سنة ١٣٤٢ . ولكن بعض المجامع القسطنطينية ولا سيما مجمع سنة ١٣٥١ اتخذت هذا المذهب كأنه من العقائد الارثوذكسية . ومما زاد في الطين بلّة ان البطريرك القسطنطيني فيلوثاوس

(١) Marion, *o. c. I*, 653 الاجتهاد ، ص ١٠٨ و١٠٩
Diehl, o. c. p. 196–198

كوكينوس شهر قداسة غريغوريوس بالاماس سنة ١٣٦٨ وحدّد لعيده الاحد الثاني من الصوم الكبير .

اما بطاركة انطاكية فلم يدخلوا اولاً في هذه المسألة . بل بالحري قاوموا هذا التعليم الجديد ونبذوه صريحاً [1]. هكذا نرى البطريرك اغناطيوس الثاني (١٣٤٤ – ١٣٦٦ ؟) يعارض ايسيدروس اسقف مونمبازيا الذي كان بالامياً وصار بطريركاً مسكونياً سنة ١٣٤٧) ثم يحكم عليه . غير انه بعد ايسيدروس هذا جلس على الكرسي القسطنطيني كالسطوس الاول ثم فيلوثاوس كوكينوس المذكور آنفاً وكانا كلاهما بالاميّين فدافعا عن المذهب الجديد وقاوما اغناطيوس الانطاكي واعترفا بخصمه باخوميوس اسقف دمشق الذي كان قد اختلس الكرسي البطريركي وانحاز الى مذهب بالاماس . فاضطرّ اغناطيوس ان يذهب الى جزيرة قبرس ومات هناك كما سبق القول .

وفي سنة ١٣٦٨ اشترك البطاركة الملكيون في المجمع الذي عقدته كنيسة القسطنطينية لاعلان قداسة غريغوريوس بالاماس ، ما عدا بطريرك انطاكية لان كرسيه كان فارغاً في تلك السنة . ولكن البطريرك ميخائيل الثاني الذي جلس على ذلك الكرسي سنة ١٣٩٥ ارسل الى زميله القسطنطيني في هذه السنة صورة ايمان مطابقة لتعليم بالاماس ، كما سبق ذكره . وهكذا يمكن القول ان الكنائس الملكية عادت فشاطرت رسمياً كنيسة العاصمة البيزنطية آراءها المتعلقة بتلك التعاليم بعد ان رفضتها اولاً .

(1) D. H. G. E. (*Antioche*), c. 629 sq.

دمشق مقر البطاركة [1] :

٢٠٩ ان البابا أُربانوس الخامس كان شديد الاهتمام بمسألة اتحاد الكنائس وقد كتب الى البطاركة الشرقيين في ٦ ت ٢ سنة ١٣٦٧ يدعوهم الى الاتحاد ويعدهم بالمساعدة . فاجابه بطاركة القسطنطينية والاسكندرية واورشليم بالقبول . اما البطريركية الانطاكية فكانت اذ ذاك في حالة اضطراب شديد بسبب اعمال باخوميوس مطران دمشق الذي اختلس الكرسي الانطاكي وجلس عليه عدة مرات . فلذلك لم تشترك في رسالة الاتحاد التي كتبها سائر البطاركة الى الحبر الاعظم . والارجح ان باخوميوس هذا هو الذي نقل المقرّ البطريركي الى دمشق لان انطاكية لم تعد تصلح له ، كما راينا (في عدد ١٩٥).

ومن ذلك الحين عدمت مطرانية دمشق سلسلة اساقفتها الاصليين واصبحت ابرشية البطريرك الخاصة[2] . وعلى الحقيقة نلاحظ، منذ ذلك العهد، انّ للاساقفة الدمشقيين نفوذاً كبيراً ، كما ان هرب البطريرك ميخائيل الثاني الى قبرس سنة ١٤٠٠ من وجه تيمورلنك ، ذلك الهرب الذي كان من دمشق (لا من سواها)، يثبت ايضاً ان مقرّ البطاركة الجديد امسى معروفاً رسمياً . واليك خلاصة ما كتبه في هذا الشأن المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي [3] ، قال :

« لا شك ان الصليبيين لم يستطيعوا الدخول الى دمشق ولا التوغل في حوران وجبل القلمون وغيرهما من البلاد الداخلية شرقي دمشق . ولذلك سلِم اهلها النصارى من عاقبة الحروب الصليبية (التي كانت وبالاً على المسيحيين

(١) الاجتهاد ، ١٠٨

(2) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 631.

(٣) في تاريخه : ق ١ : ٥٩ - ٦١

في البلاد الساحلية خصوصاً) . ومن ثم كانت دمشق حينئذٍ افضل مدينة لتكون مقاماً لبطاركة انطاكية ، وتقرَّرت ان تكون كذلك بحكم مجمع المطارنة الانطاكيين واتفاقهم على ذلك كالعادة في كل امر ذي شأن مثل هذا . وكان اكثرهم تابعين لدمشق ومجاورين لها حتى لم يكن سبيل ان تنازعها هذا الشرف مدينة تضارعها بعمرانها في ذلك العهد ولا فيما بعده . . . وقد كانت دمشق دائماً مركز اقامة نائب السلطان في عهد دولة المماليك سلاطين مصر وعهد دولة آل عثمان بعدهم . وليست هي اليوم اقلَّ شأناً ولا اقلَّ سكاناً بالروم الكاثوليك وغير الكاثوليك .

« ولا يخفى انه بانتقال البطريركية من انطاكية الى دمشق انتقل الى اهل دمشق حق انتخاب البطريرك حكماً وفعلاً : لانه صار بمقام مطرانها الخاص ، وصارت ابرشيتها تخضع له رأساً كما كانت تخضع له كذلك ابرشية انطاكية سابقاً . غير انه لم يكن يجري هذا الانتخاب الاَّ بمشاركة وموافقة المطارنة اصحاب الابرشيات التابعة للبطريركية الانطاكية . وهم كانوا يتولَّون تنصيب البطريرك الجديد في كرسيه وتسليمه صولجان البطريركية في الكنيسة المربعيَّة اذا كان المنتخَب مطراناً . ويتولون رسامته الاسقفية على الكاتدرا البطريركية اذا كان كاهناً او شماساً .

وان لم يكونوا حاضرين كلهم بالذات فلا بدَّ من موافقتهم على الانتخاب مع حضور البعض منهم لمن تيسَّر له ذلك . والغالب ان يتولَّى الرسامة ورئاسة حفلة تنصيب البطريرك مطرانُ صور وصيدا اول المطارنة المتقدم في كراسيهم ، او مطرانُ حوران بغيابه (وكانت اقامتهما غالباً في دمشق) بحضور الاساقفة المجاورين لدمشق اي اساقفة صيدنايا والزبداني وبعلبك ومعلولا وقارا ويبرود » .

المجمع الفلورنتيني : (1)

٢١٠ - ان مجمع فلورنسا او المجمع الفلورنتيني هو المجمع المسكوني السابع عشر . وقد كان على عهد البابا افجانيوس الرابع وامبراطور القسطنطينية يوحنا الثامن الباليولوغس والسادة يوسف الثاني بطريرك القسطنطينية وفيلوثاوس بطريرك الاسكندرية ودوروثاوس الاول بطريرك انطاكية ، ويواكيم بطريرك اورشليم . وحضر فيه البابا المذكور بنفسه مع امبراطور القسطنطينية وبطريركها . اما البطاركة الملكيون فلم يحضر منهم احد وانما اختاروا نواباً عنهم : وهم انطونيوس متروبوليت ايراكلية وغريغوريوس ماماس معرّف الامبراطور (اللذان مثّلا البطريرك الاسكندري) والمطران مرقس الافسسي وايسيدروس مطران كييف وكل روسيا (اللذان مثّلا البطريرك الانطاكي) وديونيسيوس اسقف سرديس الذي توفي في اوائل المجمع فخلفه دوسيتاوس مطران موغبازيا (Monembasie) ممثّلاً البطريرك الاورشليمي . وحضر ايضاً بسّاريون مطران نيقية (الذي صار فيما بعد كردينالًا) وغير هؤلاء من المطارنة والاساقفة . واتحد الشرق والغرب معاً (لآخر مرة قبل سقوط القسطنطينية بيد الاتراك) وتُلي صك الاتحاد في ٦ تموز سنة ١٤٣٩ . ونُشِرت احكام المجمع في الشرق وقُبلت بما لا مزيد عليه من السرور .

لكن هذا السرور لم يدم طويلاً ، لان الحزب القسطنطيني المضاد للاتحاد ارسل احد اعضائه (ارسانيوس مطران قيصرية الكبادوك) لحمل بطاركة المشرق الثلاثة على نقض الاتحاد الفلورنتيني . فجاء بحجة زيارة

(1) Marion, *II*, 616-619 *Héfélé*, H. des conc. T. XI.
الاجتهاد ، ص ١٠٩ وما بعدها

الاماكن المقدسة واستعمل دهاءه لديهم وتمكّن من جعلهم يقرّرون كتابة في مجمع عقدوه في اورشليم سنة ١٤٤٣ أنهم لا يوافقون على مجمع فلورنسا غير ان كثيرين يشكّون في حضور بطريرك انطاكية لهذا المجمع الاورشليمي على كلّ لم يحصل الاستقرار يومئذ في الشرق . فبعد ذلك المجمع بمدة ، نرى موسى الجُبَيلي [١] يقوم بعدة اسفار بين الشرق والغرب ، موفداً من قبل امراء بيروت الى البابا كالستوس الثالث سنة ١٤٥٦ ، ومن قبل البابا المذكور الى بطاركة الشرق في مهام سياسية ودينية مختلفة . فمهمته الدينية كانت العمل على اتحاد الكنائس . وقد صادفت اقواله قبولاً لدى مرقس البطريرك الاسكندري ، والبطاركة الانطاكيين ميخائيل الثالث ومرقس الثالث ويواكيم الثاني الحمري . فاعاد مرقس الثالث اسم البابا الى الذبتيخا سنة ١٤٥٧ . وذهب يواكيم الثاني الى القدس وعمل مع مرقس الاسكندري على اقناع زميلهما البطريرك الاورشليمي بالرجوع الى الاتحاد سنة ١٤٥٧ . وفوّض البطاركة الثلاثة الى وكيلهم الارشيدياكون موسى الجُبَيلي ايصال وثائق اتحادهم الى الحبر الاعظم ، وكانت مكتوبة باللغة العربية . وفي ٢١ نيسان سنة ١٤٦٠ وقّع موسى صكّ الاتحاد بالنيابة عنهم . وامر البابا بيوس الثاني (الذي كان قد خلف كالستوس المذكور) بتدوين الترجمة اللاتينية للوثائق العربية في « كتاب احمر » الجلدة ، لا يزال محفوظاً في المكتبة الفاتيكانية .

١) « يذكره الافرنج هكذا : (Moise Giblet) وقيل انه من نسل الامراء الصليبيين الذين حكموا جبيل ثم لجأوا الى جزيرة قبرس لما استولى المسلمون على اماراتهم ، واغلب المؤرخين يعتمدون على اقواله . ولكن بَسْتُور يقول ان صدقه غير محقق » (الاجتهاد ، ١١٠ الحاشية ٢) .

ولكن لا يُعلم كم سنة دام هذا الاتحاد [١] . ويُظنّ انه استمرّ الى سنة ١٥١٦ التي فيها افتتح العثمانيون سوريا . ومنذئذٍ اصبحت العلاقات مع الغرب ممتنعة عمليًا ، فاخذ نفوذ القسطنطينية يتزايد وجعل الاتحاد يتناقص في الشرق [٢] .

منع العلاقات مع الغرب [٣] :

٢١١ - منذ الفتح العربي حُظِر مبدئيًا وحُرِّم على الرؤساء الروحيين كل علاقة مع السلطات الزمنية او الروحية خارجاً عن نطاق مملكة الخلفاء او السلاطين ولم يكن الاتصال بالخارج ممكنًا الّا بطرق خفية غير صريحة .

وهذا الحظر او المنع كانوا يذكرونه في البراءات والعهود التي كانو يخرجونها للبطاركة الجُدُد عند توليهم كرسي البطريركية في مصر او سوريا وكان السلاطين يضيفون الى هذه البراءات وصية لكل بطريرك يرشدونه فيها الى بعض واجباته . وقد حفظ لنا نموذجاً من ذلك الكتبة والمؤرخون المسلمون في القرنين الرابع عشر والخامس عشر اللذين وصلنا اليهما .

ويظهر من اقوال هؤلاء الكتاب ايضاً انهم لم يتعمقوا كثيراً في دراسة الفرق المسيحية وان المسلمين استمروا الى القرن الخامس عشر يعتبرون المسيحيين ثلاث فرق لا غير وهي الفِرَق التي وُجدت عندما فتح العرب البلاد في القرن السابع اي النسطورية ، واليعقوبية ، والملكية : فالنسطورية

(١) فقد قيل ان دوروثاوس الثاني ابن الصابوني بطريرك انطاكية اشترك في المجمع الذي عقده البطريرك القسطنطيني سمعان الطرابزوني في سنة ١٤٨٤ ونبذ فيه رسميًا اتحاد المجمع الفلورنسي (الاجتهاد) .

(٢) الموجز ص ٣٦ .

(٣) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 607, 608 الاجتهاد، ١١٢ و١١٣ الكنائس الشرقية البيزنطية ، ص ٢٣٤ وما يليها + *Mouterde*, o. c. pp. 89, 90

هي المذهب الغالب في العراق وما والاهُ شرقاً . واليعقوبية هي مذهب الاقباط في مصر والحبشة ، والسريان في الشام ، ثم الارمن . والملكية هي المذهب الغالب عند النصارى ، يتبعه الروم والافرنج طرًّا ، ورئيسهم الاكبر وبطريركهم العام هو بابا رومة او « الپاپ » .

فلما كانوا يخرجون التواقيع او البراءات لبطاركة الروم الملكيين في مصر او في سوريا كانوا يقولون لكل واحد منهم : « واعلم بأن في المدخل الى شريعتك طريق[1] الى الپاپ . . . » ولا يقولون ذلك لبطريرك الاقباط او بطريرك السريان بل يكتبون اليه « واعلم بانك في المدخل الى شريعتك قسيم[2] الپاپ » .

واعلم اخيراً ان بطاركة انطاكية الذين كانوا من العنصر الملكي الوطني لم يضمروا قط عداء للكرسي الرسولي ولو لم يواصلوه بالرسائل دائماً ، اما البطاركة الذين كانوا من العنصر اليوناني فكانوا يضمرون بل يظهرون له العداء حرصاً على نفوذهم اليوناني وارثوذكسيتهم الخاصة[3] .

(١) مما يدل على ان الروم الملكيين كانوا متحدين مع البابا وخاضعين له .

(٢) راجع كتاب « الفصل في المِلَل والاهواء والنِحَل » للامام ابن حزم الاندلسي من فلاسفة القرن ١١ ؛ و « مقدمة كتاب العِبَر » لابن خلدون الفيلسوف والمؤرخ من اعلام القرن ١٥ ؛ وعدة مواضع في بعض اجزاء « صبح الاعشى » للقلقشندي الكاتب المصري من القرنين ١٤ و١٥ . اقرأ في « أصل لقب الملكيين » المقالة الممتعة التي نشرها السيد حبيب الزيات في « المسرة » سنة ١٩٣٤ ص ١٣ وما يليها .

(٣) المرحوم الاب قسطنطين الباشا ب م : القسم الاول (من تاريخه) ص ٤١٥

٣ - كنيسة الاسكندرية

العداء بين مصر والغرب – بطاركة الاسكندرية – كنيسة الاسكندرية والكنيسة الرومانية – ملحق لهذا الفصل

العداء بين مصر والغرب [١] :

٢١٢ – اعلم انه اذا كانت مدينة عكا (وهي آخر مدينة محصَّنة كانت للصليبيين في الشرق) قد سقطت سنة ١٢٩١ بيد سلطان مصر فالحرب بين القطر المصري والغرب لم تنتهِ في تلك السنة بل امتدت الى ما وراءَها بعشرات بل بعشرات عشرات السنين وذلك في الحقل الاقتصادي .

وقبل السنة المذكورة اي في غضون القرن الثالث عشر كانوا قد منعوا مراراً ارسال المواد الحربية والبحرية من الغرب الى الشرق، فعند سقوط عكا جدّدوا منع تلك المواد بل منعوا كل تعامل تجاري مع مصر لكي يضعفوها . وبناء على ذلك ارسلوا بعض قطع حربية لكي تحرس شواطىء البحر المتوسط . وقام هذا الاسطول بمناورة في مياه الاسكندرية سنة ١٢٩٢ . ولكن هذا المنع اذ كان يضرّ بالتجارة الغربية ضرراً كبيراً لم يُعمَل به غالباً . ولذا اضطروا ان يعودوا فيقصروه على المواد الحربية كما كان سابقاً .

ثم انهم في خلال القرن الرابع عشر عرفوا بالاختبار ان حصار مصر غير ممكن فعدلوا عنه بتاتاً . فبقيت الاسكندرية كما كانت من اهم اسواق التبادل التجاري بين الشرق والغرب .

(1) D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 358 sq.

هذا ثم ان بطرس الاول اللوزينياني (De Lusignan) ، ملك قبرس ، حاول ان يثير حملة صليبية جديدة ، بل هجم على الاسكندرية بعشرة آلاف مقاتل وافتتحها سنة ١٣٦٥ . ولكن لم يُجدهِ ذلك نفعاً : لان جنوده اذ علموا بعد بضعة ايام ان سلطان مصر قادم عليهم في جيش كثيف ركبوا البحر على رغم انف الملك بطرس ورغم كل اعوانه . وكانت نتيجة تلك الحملة الطائشة (وما ماثلها من الحملات) ان اوغرت صدور المسلمين على التجار المسيحيين . فكابد هؤلاء في اشخاصهم وفي مصالحهم اضراراً فادحة . ولذلك قامت جمهورية جَنَوى (Gênes) وجمهورية البندقية (Venise) الايطاليتان بدور الوسيط لاعادة السلام . وقد تكلّلت مساعيهما بالنجاح ولكن بعد التردد الكثير من قِبَل سلطان المماليك . واخيراً فُتح باب التجارة مع مصر كما كان سابقاً .

بطاركة الاسكندرية [١] :

٢١٣ — كانوا كثيرين في هذه الحقبة ، ولا نعرف عنهم شيئاً عدا اسماءهم وعدا ما سنذكره عن البعض منهم في هذا العدد والعدد التالي :

	سنة الترقي		سنة الترقي
اثناسيوس الثالث	١٢٧٦ ؟	غريغوريوس الرابع	؟
غريغوريوس الثاني	١٣٢٠ ؟	فيلوثاوس الاول	١٤٣٧ ؟
غريغوريوس الثالث	؟	اثناسيوس الرابع	؟
نيفون	١٣٦٧ ؟	فيلوثاوس الثاني	١٥٢٣ ؟
مرقس الثالث	؟	غريغوريوس الخامس	؟
نقولاوس الثالث	؟	يواكيم الاول	١٥٦٤ ؟

(1) D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 366 sq.—*Mussel, o. c. I*, 546; II. 48—50

ان المؤرخ اليوناني خريسوستومس پاپاذوبولس[1] قد أخّر وقدّم وغيّر وبدل في لائحة الاسماء الواردة في معجم التاريخ والجغرافية الكنسيَّين (.D. H. G. E) . ومما انفرد بايراده امران :

١) ان البطريرك نيفون حضر سنة ١٣٦٨ المجمع القسطنطيني الذي اعلن قداسة غريغوريوس بالاماس، وحكم في الوقت نفسه على تلامذة برلام واكينذينوس المقاومَين لتعليم بالاماس المذكور .

٢) ان يواكيم الاول آخر بطاركة هذه الحقبة عاش نحو ١١٨ سنة منها ٨٠ سنة بطريركاً (كذا) من سنة ١٤٨٧ الى سنة ١٥٦٧ . وقد كان آثيني الاصل وهجر وطنه آثينا نحو سنة ١٤٥٦ اذ كان له من العمر نحو عشرين سنة، وانطلق الى جبل سيناء اولاً . ثم زار فلسطين واقيم مدة رئيساً على دير القديس سابا . وبعد ذلك انتقل الى القدس لخدمة « كنيسة القيامة » مع جرمانوس اليوناني (الذي صار فيما بعد بطريركاً اورشليمياً) وذهب كلاهما الى بلاد المسيحيين لجمع الاعانات اللازمة لخدمة « القبر المقدس » .

واذ تردَّد يواكيم مراراً الى القطر المصري لجمع الاعانات ونحو ذلك اصبح معروفاً وذا اعتبار هناك . فلما توفي البطريرك (غريغوريوس الخامس؟) سنة ١٤٨٦ اختير هو خلفاً له . ونال الرسامة البطريركية في كاتدرائية دمشق في ٦ آب سنة ١٤٨٧ من يد البطريرك الانطاكي دورثاوس الثاني ابن الصابوني، وذلك لعدم وجود ثلاثة اساقفة ملكيين في القطر المصري وهو العدد المطلوب قانونياً لرسامة الاساقفة والبطاركة .

ان يواكيم هذا قد تعذَّب كثيراً في اوائل حبريته من جرى اضطهاد

(١) راجع كتابه (تاريخ كنيسة الاسكندرية) في هذا الموضع .

دولة المماليك للمسيحيين الذين نال كثيرون منهم اكليل الاستشهاد في تلك الحقبة . غير ان الفتح العثماني بدّل الحال باحسن منها « وقام السلطان سليم الاول الغازي ومنحه مثل امتيازات البطريرك القسطنطيني » (خريسوستومس بابا ذوبولس) .

كنيسة الاسكندرية والكنيسة الرومانية [1] :

٢١٤ — منذ ابتداء الحروب الصليبية بل منذ الفتح العربي (في القرن السابع) امتنعت عمليًا علاقات الاسكندرية مع رومة . ولكن شعور الاتحاد مع الكرسي الرسولي بقي حيًا حتى الفتح العثماني سنة ١٥١٧ [2] . وقبل هذا التاريخ كان البابا أربانس الخامس قد كتب سنة ١٣٦٧ الى بطاركة الشرق فيلوثاوس القسطنطيني ونيفون الاسكندري ولعازر الاورشليمي يدعوهم الى الاتحاد ويعدهم بالمساعدة كما رأينا (عد ٢٠٩) ولم يكتب الى بطريرك انطاكية لان كرسيه كان شاغراً يومئذٍ . فلبّى جميع البطاركة نداء الحبر الروماني وقبلوا الاتحاد . ولكنهم لم يستمرّوا عليه طويلاً .

وفي سنة ١٤٣٩ بمناسبة انعقاد مجمع فلورنسا كتب البطريرك القبطي الى البابا افجانيوس الرابع . ولكن مرسوم الاتحاد لاجل الاقباط لم يأت بنتيجة تذكر . اما البطريرك الملكي فيلوثاوس الاول الاسكندري فناب عنه في ذلك المجمع انطونيوس مطران ايراكليا وغريغوريوس ماماس ووقعا صك الاتحاد فقبلته كنيسة الاسكندرية بكل سرور . ولكن ذلك السرور

(1) D. H. G. E. (*Alex.*) c. 360 الاجتهاد، ١١٠ و ١١١

(2) D. T. C. (*Alex.*) c. 797

كان قصير المدة إذ ان الثلاثة البطاركة الملكيين عادوا فنقضوا اتحاد فلورنسا سنة ١٤٤٣ وذلك بسعاية ارسانيوس مطران قيصرية الكبادوك المضاد للاتحاد (طالع عدد ٢١٠) .

ثم قام البطريرك يواكيم الثاني الانطاكي الاتحادي فزار مرقس الرابع الاسكندري سنة ١٤٥٨ (وكان في القدس) واقنعه ان يصير اتحادياً . ولما فعل سعيا كلاهما وربحا زميلهما الاورشليمي . وكتبوا ثلاثتهم الى الكرسي الرسولي وجدَّدوا اتحادهم معه عن يد الارشيدياكون موسى الجبيلي سنة ١٤٦٠ كما مرَّ .

على ان الحالة لم تكن لتستقرّ مع ذلك . ولذا لا يُعلَم كم استمرَّ هذا الاتحاد . فيظن البعض انه نُقِض سنة ١٤٨٤ (ويرتأون ان دانيال مطران ازمير – الذي نُقِل فيما بعد الى كرسي افسس – مثَّل الاسكندرية في مجمع القسطنطينية الذي انعقد في السنة المذكورة ونبذ الاتحاد) . ويظن غيرهم ان الاتحاد المذكور استمر من سنة ١٤٦٠ الى الفتح العثماني سنة ١٥١٧ . والله اعلم .

ملحق لهذا الفصل :

٢١٥ – اذا القينا نظرة سريعة في ختام هذا الفصل على العصور الوسطى التي انطوت على نحو تسعمئة سنة وامتدَّت من الفتح العربي سنة ٦٣٤ الى الفتح العثماني سنة ١٥١٧ يمكننا ان نصف تلك العصور بانها كانت عصور شؤم وانحطاط للكنائس الملكية ، كما يمكن كل واحد ان يتحققه بنفسه بمراجعة هذا الكتاب .

وفي اواخر هذه العصور اي بعد الحروب الصليبية [1] اصبحت النصرانية في الشرق بقلّة ومهانة، واصبح الاساقفة قليلين جداً، وتشتّت النصارى وقلّوا وضعفوا حتى لم يكن بوسع ابناء الابرشية الواحدة ان يقوموا بشأن مطرانهم، فاضطروا ان ينضمّوا الى ابناء ابرشية بل ابرشيات اخرى لكي يستطيعوا القيام باوده: فهكذا نرى في بعض المخطوطات التوقيع التالي: « انستاسيوس المرهنيتي مطران صور وصيدا وبيروت وطرابلس ». ونرى في غيرها هذا التوقيع: « مكاريوس مطران قارا وعرقا وعكار وطرابلس وبيروت وصور وصيدا وعكا ». فتأمل!

والشيء نفسه يمكن ان يقال عن احوال الرهبانيات والرعايا. فغلب على الجميع الجهل والخمول حتى كادت هذه الملّة الشريفة بقديسيها وعلمائها القدماء العظام تخلو حينئذٍ من العلماء والمؤرخين والكتّاب والادباء الذين تليق بهم هذه التسمية او يستحقون ان يذكرهم التاريخ الصادق.

هذا بالعموم. اما فيما يخص كنيسة الاسكندرية فان الضعف بلغ منها مبلغاً شديداً حتى لم يبقَ لها في آخر هذه المدة غير اسقفين من اساقفتها ورعية قليلة مشتّتة من ابنائها. اما بطريركها فكان يُنتخَب احياناً في الاسكندرية واحياناً في القسطنطينية. ولكن اقامته كانت غالباً في القسطنطينية اي خارجاً عن ابرشيته وكان معظم اهتمامه بالسعي في جمع الاعانات اللازمة لمعاشه ومعاش اكليروسه.

---

(١) المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي ١ : ٥٨ — ٦٤

الفصل السادس

الكنائس الملكية في القرنين السادس عشر والسابع عشر
(١٥١٧ ـ ١٧٠٠)

١ ً ـ كنيسة اورشليم

الفتح العثماني وتنظيم البلاد - بطاركة اورشليم - كنيسة اورشليم والمذهب البروتسطاني - مجمع سنة ١٦٧٢ الاورشليمي - كنيسة جبل سيناء - الكتبة الكنسيون .

الفتح العثماني وتنظيم البلاد [١] :

٢١٦ ـ ان فتح العثمانيين لسوريا وفلسطين ومصر لم يكن له من سبب سوى طمع سلطانهم سليم الاول (١٥١٢ - ١٥٢٠) ورغبته في اعادة مملكة الخلفاء القديمة وتحقيق وحدة الاسلام السياسية تحت رئاسته . اما الادعاء بعطف مماليك مصر على دولة الفرس الصوفية التي كانت تحارب الاتراك فذلك اعتذار باطل وحجّة فارغة .

ولما قهر السلطان سليم شاهَ العجم اسمعيل سنة ١٥١٤ هجم على سلطان مصر قَنْصُو غوري الذي لم يسنده امراء سوريا الّا ظاهرياً لانهم كانوا يشعرون بان الدهر سينقلب عليه . فدخل السلطان العثماني سوريا عن طريق عينتاب وهاجم قنصو في مرج دابق[٢] شمالي حلب (في ٢٤ آب سنة ١٥١٦) وكسره لتفوُّق المدفعية العثمانية على مدفعيته وخيانة الغزالي (احد امراء

---

(1) *Mouterde*, o. c. pp. 91 — 95 + D. H. G. E. (Antioche) c. 635.

(٢) الاب قسطنطين الباشا المخلصي، (تاريخ الطائفة : ج ١ ، ص. ٤٦ وما بعدها)

المماليك) له ، وقد كان هذا نائب حلب وحاكمها . وهلك قنصو في المعركة ولم يظهر له من اثر . فدخل سليم بعد ذلك حلب وحماة وحمص . وكان يُنتظر ان تقاومه دمشق فلم تفعل بل فتحت له ابوابها في ١٢ ت١ سنة ١٥١٦ واقام فيها الى ٢٧ ك١ ، وتقبَّل فيها خضوع امراء البلاد كلهم من عرب ودروز وغيرهم . ثم هجم على مصر هجومه الظافر . وفي نيسان من سنة ١٥١٧ قتل تومان باي آخر سلاطين مصر المماليك . واتخذ لقب خليفة المسلمين وضمَّ الى حاشيته آخر خليفة عباسي كان يعيش منفرداً في احد قصور القاهرة .

ثم رجع الى سوريا لينظم البلاد وقسمها الى اقطاعات واستأثر بسهول البقاع الخصيبة وبوادي العاصي وبمدينتَي حمص وبعلبك . وفيما سوى ذلك بقيت سوريا على تقسيمها الاداري كما كانت على عهد المماليك . ثم اقام حاكماً على القطر السوري الغزالي نفسه ذاك الذي خان قومه المماليك وسلطانه قنصو .

وبعد وفاة سليم الاول قام الغزالي هذا وشقَّ عصا الطاعة ونادى بنفسه سلطاناً ولقَّب ذاته الملك الاشرف . ولكن سليمان الاول (١٥٢٠ — ١٥٦٦) الملقَّب بالقانوني وهو ابن وخَلَف سليم الاول اهلك ذلك العاصي وقسم البلاد الى ثلاث ولايات على رأس كلٍّ منها باشا وهي دمشق (وكانت فلسطين سنجقاً من سناجقها) وطرابلس وحلب . وفي ١٦٦٠ جعل العثمانيون صيدا ولاية رابعة لتراقب حركات امراء جبل لبنان .

اما من حيث ادارة البلاد فان اسرة العظم الدمشقية تولَّت الحكم على ولايتي صيدا ودمشق في القرن الثامن عشر ، وكان منها ولاة افاضل . ولكن السواد الاعظم من الباشاوات كانوا من الاتراك . واذ كانوا بعيدين عن السلطة المركزية اخذوا يثقِّلون على الاهالي ويفرضون عليهم الضرائب

الفادحة ويحارب بعضهم بعضاً كانهم مستقلون، مع ان الاستانة كانت تنقلهم من مناصبهم بسرعة وبكلمة مختصرة كان عهدهم من اتعس ايام سوريا[١] . ولا فائدة من سرد تاريخهم في هذه الحقبة ولا من ذكر إدارتهم السيئة التي افقرت البلاد بل كادت تجعلها قاعاً صفصفاً . وكان المسيحيون على عهدهم يعيشون في ضيق وذُلّ وصَغار !

اما لبنان [٢] فكما انه حافظ على استقلاله الداخلي على عهد المماليك برئاسة امرائه الوطنيين كذلك حافظ عليه في عهد العثمانيين . وفيما كانت سوريا تقاسي امرّ العذاب من سوء ادارة الباشاوات الاتراك كان لبنان المعقل الاشمّ والملجأ الامين للحرية ولم يكن للباشاوات من نفوذ في الجبل . وكان ذلك من حسن تدابير العناية الالهية لانتشار الكثلكة: لان التدابير الشديدة التي أُخذت ضد الكاثوليك بسعي رجال الفَنَار [٣] الروم الذين كان لهم نفوذ عظيم في الديوان الهمايوني في القسطنطينية (ولا سيما في القرن الثامن عشر) لم يكن لها ادنى مفعول في جبل لبنان [٤] اذ كانت سلطة الباشاوات تنتهي عند حدود الجبل .

ان اشهر الأُسر اللبنانية كانت الأُسرة المعنيَّة (١٥١٦ ــ ١٦٩٧) والاسرة الشهابية (١٦٩٧ ــ ١٨٤٢) اللتين حكمتا لبنان في العصر الحديث . أجل انهما كانتا اسلاميتين ، ولكنهما كانتا تعطفان على الدروز

---

(١) عيسى ميخايل سابا (مختصر تاريخ سوريا ولبنان) ص ١١٣ وما بعدها
(2) *Mouterde*, o. c. pp. 96 – 103
(٣) الفنار هو قصر بطاركة الروم في القسطنطينية .
(٤) الاب قسطنطين الباشا المخلصي ، (تاريخ الطائفة ج ٢ ، ص ٢٣ و ٢٤)

وعلى المسيحيين ، وقد انتحل النصرانية بعض الافراد الشهابيين . ثم امتزج تاريخ هاتين الاسرتين بتاريخ الطوائف المسيحية التي لجأت كلها الى لبنان.

بطاركة اورشليم :

٢١٧ ــ قبل ان نتكلم عن هؤلاء البطاركة لا بد لنا ان نلخص ما ذكره المرحوم الاب قسطنطين الباشا ب‍م في تاريخه (١) مما له علاقة بهذا الموضوع .

قال رحمه الله : سنة ١٤٥٣ استولى محمد الثاني الفاتح العثماني على جميع مملكة الروم اليونان باستيلائه على القسطنطينية بعد حرب مشهورة . وبموجب سنّة الفتح استولى الاتراك على الروم وعلى جميع املاكهم . ولم يجد الروم لهم خلاصاً الا بمهاجرتهم عن بلادهم الى ممالك اوروبا افراداً وجماعات (اذ كانوا يرون ان لا طاقة لهم على الاقامة تحت حكم الاتراك بذلّ وقهر بعد ما شاهدوا ما نالهم من فظائعهم في الحرب وبعد الحرب اذ اباح السلطان لجنده ان يفعلوا ما ارادوا في المدينة واهلها نهباً وسلباً وقتلاً وسبياً ، وقد وضع يده على مبانيهم الفخمة ولا سيما كنائسهم واديارهم) حتى هال السلطان امر كثرة المهاجرين منهم اذا تركهم على هذه الحال : فانها تخلو البلاد والعاصمة من السكان وتعود الى الخراب . ومن ثم عزم على ان يوقف تيّار هذه المهاجرة. واستدعى اليه من اتفق له من اكابر الروم وامّنهم على نفوسهم وعلى عرضهم واموالهم ، ومنع عنهم السلب والقتل بعد ما صاروا امة ضعيفة . ثم فوّض امر تدبيرهم الى بطريرك القسطنطينية الذي قدّموه له فاوعز اليه السلطان ان يهتم بامر الروم وان يجري معهم على سنّة

(١) الاب قسطنطين الباشا المخلصي (تاريخ الطائفة : ج ١ ص ٢١٢ – ٢١٦)

مَن تقدمه في عهد ملوك الروم بعد ما اكرمه وخلع عليه خِلعة نفيسة تليق به .

فاتخذ بطاركة القسطنطينية من ذالك العهد (؟) محلًا لاقامتهم حيًا واسعاً من احياء المدينة على البحر يقال له حيّ الفَنار . واجتمع حوله اكابر ابناء مِلّتهِ ، وصاروا معه يداً واحدة . وبفضل عقولهم الراجحة ومعارفهم الواسعة اصبحوا اصحاب شأن عظيم في دولة بني عثمان (التي خضع لها في ابّان عزها اكثر اقطار المملكة الرومانية القديمة ، كما هو معلوم ، اي بلاد الفلاخ والبغدان (او بلاد رومانيا اليوم) والصرب والجبل الاسود واليونان والبلغار وشبه جزيرة البلقـان ومعظم جزائر البحر المتوسط وكل آسيا الصغرى وارمينيا والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز واليمن ومصر وطرابلس الغرب والجزائر) .[1] واضحى رجال الفَنار في القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر العمدة في كل الامور التي تجري للدولة العثمانية مع سفراء دول اوروبا المسيحيين : فكان منهم تراجمة الباب العالي (وكان الاول فيهم يُعتَبر بمقام مدير وزارة الخارجية في هذه الايام) وكان منهم حكام البلاد المسيحية التي كانت خاضعة للاتراك او تابعة لهم او تحت حمايتهم الخ . . .

وبواسطة رجال الفَنار عظم شأن بطاركة القسطنطينية لدى الباب العالي حتى توصلوا ان يضعوا ايديهم على معظم وأهم الكراسي الاسقفية والبطريركية ايضاً التي احتكروها واستبدُّوا بها . وسيطروا على جميع الروم اي على كل ذوي الطقس البيزنطي الذين ضمن الممالك العثمانية ، على اختلاف اصولهم وعناصرهم ولغاتهم وبلادهم . واستخدموا نفوذهم لتعزيز ارثوذكسيّتهم (اي جنسيّتهم) اليونانية الخاصة ضد ارثوذكسية الكنيسة الرومانية العامّة [2]

(١) انظر الخارطة

(٢) طالع « الموجز » ص ٣٦ و ٣٧

بعد ذكر ما تقدم نقول : ان بطاركة اورشليم كانوا ستة في هذه الحقبة وكانوا كلهم من اصل يوناني . واليك اسماءهم مع ذكر سني ترقيهم الى منصبهم[1] :

جرمانوس البيلوبونيسي	١٥٣٤	نكتاريوس	١٦٦٠
صفرونيوس الرابع	١٥٧٩	دوسيتاوس الثاني نوطاراس	
ثاوفانس الثالث	١٦٠٨	١٦٦٩-١٧٠٧	
بائيسيوس	١٦٤٥		

ان جرمانوس اول هؤلاء البطاركة اليونان قد خَلَف سنة ١٥٣٤ البطريرك الوطني دوروتاس (عطاالله) الثاني الذي ذُكر في الفصل السابق، ولبث على الكرسي الاورشليمي خمساً واربعين سنة (١٥٣٤-١٥٧٩) تمكن في خلالها من حصر الاسقفية في العنصر اليوناني : لانه كان كلما توفي اسقف عربي يسيم مكانه اسقفاً يونانياً . ومنذ ذلك العهد جَرَت في الفنار[2] العادة التي لم تزل جارية الى اليوم وهي ان يُمارَس في الترقيات البطريركية نفس المراقبة التي كانت تُمارَس في زمان الملوك المسيحيين ، وان لا يقام على كرسي اورشليم وكراسي الابرشيات التابعة لها سوى بطاركة ومطارنة من العنصر اليوناني . ولذلك توطّد منذ ذلك العهد شقاق الروم في البطريركية الاورشليمية وانفصلت كنيسة القديس يعقوب عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الى اليوم .

ان بطاركة اورشليم هؤلاء اذ كانوا غرباء عن فلسطين ومولودين في بلاد اليونان لم يكونوا يحبّون الاقامة بالمدينة المقدسة . ولذلك كثيراً ما نراهم في القسطنطينية ونرى توقيعهم في اعمال كثير من مجامعها . بل نراهم يباشرون

(١) شحادة ونقولا خوري ، ١٠٩ - ١٦٥ ثم الجدول ، ج

(٢) D. T. C. (Jérusalem) c. 1004 + تاريخ الدبس ٧ : ٦٢ و ٢٥٦

اسفاراً كثيرة الى البلقان والى بلاد المسكوب[1] ويقضون سنين طويلة بعيدين عن ابرشيتهم . ولتلك الاسفار سبب آخر هو حاجتهم الى المال لان كنيستهم فقيرة ، ولان خدمة الاماكن المقدسة والمحافظة عليها وعلى آثارها من تهجّم الطوائف الاخرى تقتضي نفقات باهظة لا يمكن ان يقوموا بهـا من دون اسعافات اوروبا . وقد اتَّجهت انظارهم طبعاً الى البلاد الارثوذكسية التي تنتمي الى طقسهم البيزنطي . ومن ثمَّ نشأت ما بين اورشليم وروسيا خصوصاً تلك العلاقات التي نعرفها ولا سيا التي كانت على العهد القيصري .

كنيسة اورشليم والمذهب البروتسطاني [2] :

٢١٨ – ان البروتسطان ولا سيا تبَّاع كلفينوس بذلوا جهوداً عظيمة ليجعلوا كنيسة الروم تقبل تعاليمهم . ولكن جمهور الاساقفة الارثوذكسيين (ما عدا القليلين جداً منهم) قاوموا اجمالاً وبشدة تلك التعاليم . وفي هذه المسألة قام بطاركة اورشليم بواجباتهم خير قيام : ففي سنة ١٦٣٤ اذ انتحل كيرلس لوكاريس المشهور تلك التعاليم كان ثاوفانس الثالث الاورشليمي من اعضاء السينودس القسطنطيني الذي حرم كيرلس المذكور[3] . وفي سنة ١٦٦١

(١) بين اسفار بطاركة اورشليم اشتهرت سفرة سنة ١٦١٩ – ١٦٢٠ التي فيها استُقبل ثاوفانس الثالث في روسيا استقبالاً رسمياً واشترك في حفلة تنصيب (فيلاريتوس) ابي القيصر ميخائيل رومانوف بطريركاً على المسكوب . ولما رجع ثاوفانس المذكور الى فلسطين مرَّ ببلاد الروثان (من بولونيا) وقاوم اتحاد الكنائس هناك . وسام في تلك البلاد متروبوليتاً ارثوذكسياً لكييف وستة اساقفة ارثوذكسيين (ترجمة ق . يوشافاط الشهيد الروثاني المشهور)

(2) D. T. C. (*Jérusalem*) loc. cit.

(٣) كان كيرلس لوكاريس من تلاميذ جنيف وانتحل هناك المذهب البروتسطاني

إذ سيم نكتاريوس بطريركاً على المدينة المقدسة ضمّ اعترافه بالايمان الى الاعتراف الذي اذاعه بطرس موجيلا(Pierre Mojilas) متروبوليت كييف ضدّ ضلالات كلفينوف ولوتيروس . اما المحامي الاكبر عن الاعتقادات الارثوذكسية والخصم اللدود لاعتقادات وتعاليم البروتسطان فقد كان بلا مراء البطريرك دوسيتاوس الثاني نادرة عصره بعلمه وعقله ودهائه . وهذا ما سنبيّنه في العدد التالي :

مجمع سنة ١٦٧٢ الاورشليمي [١] :

٢١٩ — ان دوسيتاوس المذكور بطريرك اورشليم كان روح المجمع الذي عُقِد سنة ١٦٧٢ في مدينة بيت لحم (ومع ذلك يدعى مجمع اورشليم) بعد ان اتمّ هذا البطريرك ترميم سقف كنيسة المهد التي في بيت لحم . ان المجمع السابق الذكر قد عُقِد لتحريم بدعة كلفينوس في ٢٠ آذار من سنة ١٦٧٢ المذكورة ، واعاد ضد تعاليم كيرلس لوكاريس الجديدة نفس الاحكام التي صدرت ضدّها في مجمع القسطنطينية سنة ١٦٣٨ ومجمع ياشي (Jassy) في رومانيا سنة ١٦٤٢ .

ان مجمع اورشليم هذا بسط التعليم الارثوذكسي في ١٧ فصلاً يطول بنا

ثم سيم اولاً بطريركاً على الاسكندرية وبقي في مركزه هذا من سنة ١٦٠٢ الى سنة ١٦٢١ ثم انتقل الى الكرسي القسطنطيني . وفي سنة ١٦٣١ اذاع منشوراً حبّذ فيه تعاليم كلفينوس . فحُطّ عن كرسيه وحكِم عليه كمبتدع في المجمع القسطنطيني سنة ١٦٣٣ ثم اميت قتلاً سنة ١٦٣٨ (Albers — Hedde II, 274, 275) +
المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي (تاريخ الطائفة : ج ١ ، ص ٦٦)

(1) Hemmer, o. c. II, 273, 272 † D. T. C. (Ibidem)
الاب قسطنطين الباشا المخلصي ، (تاريخ الطائفة ج ١ ، ص ٧٤ و ٧٥)

الشرح لو اتينا على تفاصيلها كلها . يكفي ان نقول انه قد عارض تعليم البروتسطان بنفس تعليم الكاثوليك تقريباً في ما يتعلق بالتبرير والاسرار وذبيحة القداس وسائر المواد المختلف فيها . وانه ولو لم يذكر المجمع التريدنتيني ترى كثيراً من تحديدات هذا المجمع المسكوني مقدَّرة في نصِّه اليوناني. وخلاصة ما يمكن ان يقال فيه انه بيان بليغ للعقائد الارثوذكسية. وقد خُتِم بهذه الملاحظة الخطيرة: ان العقائد التي بسطناها ولاسيما في موضوع الاسرار ليست مختصَّة بنا وحدنا، بل هي عقائد الكنائس المنفصلة عنا ايضاً نعني بها كنائس اليعاقبة والنساطرة التي انسلخت من عهد سحيق عن الكنائس الارثوذكسية. فهذا الاتفاق المشترك بيننا وبينها هو دليل على قِدَم اعتقاداتنا وعلى صحتها والسلام .

كنيسة جبل سيناء [1] :

٢٢٠ — ان هذه الكنيسة (التي مرَّ ذكرها في العدد ٨٢ من المجلد الاول) تتألَّف من ابرشية واحدة . وهي محصورة في دير القديسة كاترينا المبني على جبل سيناء وفي بعض القرى التي هي على سفح هذا الجبل (ومن تلك القرى البلدة المعروفة اليوم بالطور وهي دير رايثو القديم المشهور) .

ان هذه الابرشية تشتمل في مجموعها على نحو مئة نفس [2] . وهي منذ القرن السادس عشر مستقلَّة ولكن ليس تمام الاستقلال : اذ إنَّ البطريرك الاورشليمي يرسم رئيس اساقفتها الجديد ويُذكَر في الذبتيخا وفي الصلوات الكنسية . وما رئيس اساقفتها الَّا رئيس دير القديسة كاترينا المذكور

(1) *Charon*, o. c. III, 348, 352, 353

«الموجز» ص ١٦ + « الرسالة المخلصية » السنة ١٣ ، ١٩٤٦ ، ص ٢٠١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٧ وما يليها) .   (٢) الكنائس الشرقية البزنطية ، ص ٦

ينتخبه رهبانه، فيثبّت انتخابهم بطريرك اورشليم ويسيم المنتخَب « مطراناً على سيناء ورايثو » . ولا يعود يتدخل في امورهم ما لم يختلف المطران ورهبان الدير .

ان رئيس الاساقفة هذا كثيراً ما يقيم لا بدير سيناء بل بالوكالة الرهبانية التي لسيناء في مصر القاهرة . وعندئذٍ يقيم احد رهبان الدير نائباً عنه في الجبل ، ثم يلتزم هو اذ ذاك ان يذكر في الذبتيخا لا البطريرك الاورشليمي بل البطريرك الاسكندري .

ان طور سيناء[1] هو ذلك الجبل الصخري الشامخ الذي تجلى عليه الرب ببروق ورعود لما اعطى وصاياه العشر (على زمان موسى) . واكراماً لتلك الذكرى وذلك التجلي قصده الرهبان والنساك منذ القرن الثالث ، وتفرقوا على جوانبه ، فسكنوا في كهوفه لينقطعوا عن العالم ويمارسوا اعمال العبادة والاختلاء ، وكانوا يعيشون منفردين ، لا يجتمعون الا في ايام الآحاد والاعياد .

وكان لهم في الابتداء عدة كنائس صغيرة يجتمعون فيها ، وكثيراً ما هجم عليهم اعراب البادية المجاورة لهم او اجلاف النوبة (اي السودان) وذبحوا منهم (وتقيم الكنيسة الشرقية تذكار هؤلاء المقتولين في ١٤ ك٢) الى ان بنى لهم الملك يوستينيانوس ديراً حصيناً على قمّة سيناء وكنيسة منيعة يتعذر الاستيلاء عليها .

ان جبل سيناء كان مزاراً مشهوراً كما رأينا (عد ١٣٩) وقد خرج

---

(١) الارشمندريت ميشال عساف (سنكسار ١٤ ك٢

منه قديسون عظام كنيلوس القسطنطيني [١] († ٤٣٠) ويوحنا السلمي [٢] († ٦٤٩ ؟) ، وبطاركة يُفتخر بهم امثال انسطاسيوس الاول (القديس) وغريغوريوس الاول وانسطاسيوس الثاني الشهيد (بطاركة انطاكية في اواخر القرن السادس واوائل السابع). وخرج منه ايضاً علماء اعلام امثال القديس انسطاسيوس السينائي صاحب المحاضرات المشهورة الذي ذكرناه (في العدد ١٤٦) الخ .

اما اليوم فان ذلك الدير يحوي نحو ثلاثين راهباً كلهم من اليونان، ولهم مثل هذا العدد تقريباً في الوكالات السينائية المنتشرة في العالم الارثوذكسي وذلك لادارة الاملاك الواسعة التي وُقِفَت لسيناء على مر العصور .

ان دير سيناء اليوم هو قلعة حصينة يحيط به سور منيع من كل جانب. ويضمّ هذا السور (فيما يضم) كنيسة فخمة انيقة وجامعاً ومكتبة نفيسة فيها من المخطوطات القديمة ما لا يُثمَّن . وبما ان رهبان سيناء الحاليين هم غير متعلمين بكفاية فقلّما يستفيدون من تلك الكنوز ولا يتعاطون النشر والكتابة بل يكتفون بتلاوة الفروض الكنسية الشرقية وممارسة التمارين الروحية وبتعاطي اشغال الدير المادية .

الكتبة الكنسيون :

٢٢١- اننا لا نذكر منهم الا من يلي . وهم كلهم من خصوم الاتحاد

---

(١) هو البار نيلوس الذي ترهب في براري سيناء بعد ان كان حاكماً على القسطنطينية على عهد الامبراطور ثاضوسيوس الكبير ، ويقام تذكاره في ١٢ ت٢ (في الكنيسة الشرقية) .

(٢) هو البار يوحنا مؤلف كتاب « سلم الفضائل » المشهور ويقام تذكاره في ٣٠ اذار وفي الاحد الرابع من الصوم (في الكنيسة الشرقية) .

مع الكرسي الرسولي ، واغلبهم (ان لم نقل كلهم) من العصر اليوناني . واليك اسماءهم :

١) البروتوسنجلوس ملاتيوس سيريغو [١] . وهو راهب كاهن ارثوذكسي توفي في ١٣ نيسان سنة ١٦٦٤ في الاستانة . وقد خلّف باليونانية كتابين نُقلا الى العربية بامر البطريرك دوسيتاوس الثاني الاورشليمي على ما يُظن . وعنوان الكتاب الاول : « البراهين الواضحة السنية على الآراء الكلوينية واللوتيرانية » . وعنوان الثاني : « حل الاعتراضات الكلوينية ضد الاستحالة الجوهرية »

٢) بطريرك اورشليم نكتاريوس المتوفّى (١٦٧٤) [٢] . وهو احد البطاركة الشرقيين الذين قاوموا تعليم كيرلس لوكاريس (بطريرك القسطنطينية الذي كان يميل الى البروتسطان) ووافقوا على صورة ايمان بطرس موجيلا (Mojilas) متروبوليت كييف ضد تعاليم المذهب البروتسطاني . ومع ذلك لم يكن محباً للاتين . وعندنا منه كتابان عُرّبا عن اليونانية اولها يدعى « كتاب قضاء الحق ونقل الصدق » وقد طبع سنة ١٧٤٣ في مدينة ياشي (Jassy) من اعمال رومانيا . والكتاب الثاني عنوانه « جلاء الابصار من غشاء الاكدار » عرّبه راهب شماس اسمه صفرونيوس ولا يزال مخطوطاً .

٣) السيد خريستوذولس اي عبد المسيح [٣] . وهو احد اساقفة غزّة والرملة الارثوذكسيين في القرن السابع عشر . جاء في مجلة النعمة (١ : ٦٢١) انه عرّب كتاب « اعتراف الرأي المستقيم في الايمان والرجاء والمحبة » سنة ١٦٧٥ وهو الكتاب الذي صححه القس لاونديوس ولا يزال مخطوطاً . وعرّب ايضاً (بامر البطريرك دوسيتاوس الثاني الذي سيأتي ذكره بعد قليل) كتاباً آخر عنوانه « السلاح القاطع والسيف المرهف اللامع » ضد رئاسة الحبر الاعظم .

٤) السيد باثيميوس الصاقزي [٤] اسقف آخر من اساقفة غزة في القرن السابع عشر .

---

(١) المخطوطات العربية ص ٢٧٤

(٢) المخطوطات العربية ص ٢٧٥ + شحادة ونقولا خوري ، ١٥٤ – ١٥٦

(٣) المخطوطات العربية ص ٢٦٤

(٤) نخبة (من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي ص ١٣٦ – ١٣٨ + المخطوطات العربية ٢٥٩

كان باثيسيوس هذا من تلاميذ اليسوعيين برومة في مدرسة اليونان اي مدرسة القديس اثناسيوس . فارسله مجمع انتشار الايمان الى الشرق ليدعو الاخوة المنفصلين الى الاتحاد الكاثوليكي . فذهب الى القسطنطينية وانقلب ارثوذكسياً وتقرب الى بطريركها فجعله واعظاً في كل كنائسه . ثم ارسله الى رومانيا وهناك تعرَّف بالبطريرك الاورشليمي باثيسيوس وتقرَّب اليه حتى رسمه مطراناً على غزة ودعاه باسمه دلالة على شدة محبته له واتى معه الى فلسطين . ولكنه عاد بعد قليل الى رومانيا وانقلب على البطريرك الاورشليمي ، ثم على جميع من اتصل به . وبقي مع ذلك يراسل مجمع انتشار الايمان الى ان انفضح امره . . . فيصح ان يقال فيه « انه كان حيَّة الوادي بالمكر والدهاء » . ثم توفي في روسيا سنة ١٦٧٨ . وكان قد وضع بعض المصنفات التاريخية والجدلية ، منها « كتاب الرموز » الذي جمع فيه عدة فوائد تاريخية وعلمية . ويوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة الكلية الاميركانية بمدينة بيروت (رقم ١٨١) .

ان كتاب « النحلة » المنسوب الى البطريرك مكاريوس الحلبي هو بالاصل مستخرج من « تأليف باثيسيوس الصاقزي هذا مطران غزة » ومنقول عن اليونانية .

٥) واخيراً دوسيثاوس[1] السابق الذكر بطريرك اورشليم (١٦٦٩–١٧٠٧)

وهو اشهر هؤلاء الكَتَبة الكنسيين . ان هذا البطريرك نابغة عصره قد ترك لنا كتباً كثيرة منها ما ألَّفه باليونانية ومنها ما نُقِل عن اليونانية الى العربية بقلمه او بامره كالكتب التي اتينا على ذكرها فيما سبق . واشهر كل مؤلفاته « تاريخ بطاركة اورشليم » من الاول الى عهده في اثني عشر جزءاً . وهو الذي يستقي منه المؤرخون الحديثون معلوماتهم . وقد طُبع هذا الكتاب في بوخارست عاصمة رومانيا ١٧٠٥ ، وطُبعت ترجمة المؤلف في صدر الكتاب . وقد توفي المؤلف الى رحمة ربّهِ بالقسطنطينية في ٧ شباط سنة ١٧٠٧ وله من العمر ٦٦ سنة بعد ما خدم كنيسة اورشليم ٣٨ سنة .

---

(١) المخطوطات العربية ص ٢٦٤ + لوكيان (في تاريخ الدبس) ٧ : ٢٥٨ وما يليها + شحاده ونقولا خوري ١٥٦ – ١٦٥

٢ً – كنيسة انطاكية

الحكم العثماني ونفوذ الفنار – بطاركة انطاكية – مهمة ليوناردو هابيل – الكثلكة الملكيون .

الحكم العثماني ونفوذ الفنار (١) :

٢٢٢ – لما افتتح العثمانيون سوريا سنة ١٥١٦ لم يطرأ شيء من التغيير على حالة المسيحيين من جهة الادارة مع الدولة الجديدة. وكما كان البطاركة على عهد الخلفاء العبَّاسيين والسلاطين المماليك مضطرين ان ينالوا براءة اي فرماناً ليتسلَّموا زمام البطريركية كذلك اضطُرُّوا في عهد بني عثمان ان يحصلوا على البراءة السلطانية عند تنصيبهم . وهذه العادة قد جرت واستمرَّت طوال ايام حكمهم اي اكثر من اربعمئة سنة كما هو معلوم

واذ كانت طريقة الحكم الجارية في جميع الولايات العثمانية هي طريقة الاستقلال الاداري (او اللّامركزية Décentralisation) كانت الامور كلها في البلاد الشامية تُفَوَّض الى وزير يقيم بدمشق بلَقَب باشا ويرجع اليه الجميع في كل شيء. فمن ثَمَّ وَجب على البطريرك الذي كان يقيم بدمشق ان يحسب حساب والي الشام هذا مثل السلطان واحياناً اكثر منه . اذ كان في وسع هذا الوالي ان يؤثّر في الانتخابات البطريركية بل ان يرجّح كِفَّة من يعضده ويميل اليه .

ثم ان العلاقات مع القسطنطينية التي لم تنقطع بتاتاً فيما سبق اخذت في

---

(١) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 636 + المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي ١ : ٦٠٦٦ + شحاده ونقولا خوري ١٢٤ .

العهد الذي وصلنا اليه تزداد اكثر فاكثر . ولكن نشأ من ذلك خطر جديد على استقلال الكنيسة الانطاكية . إذ اغتنم البطريرك القسطنطيني تلك الفرصة ليبسط سيطرته على سوريا كما كان يفعل في سائر اقسام المملكة العثمانية ، وكما فعل في فلسطين ايضاً : أفما رأينا (عد ٢١٧) كيف عمل البطريرك جرمانوس اليوناني (١٥٣٤ – ١٥٧٩) على تعزيز بني جنسه وكيف اقصى الوطنيين عن المناصب الكنسية وحصر البطريركية والاسقفية في العنصر اليوناني ؟ اليك في هذا المعنى شهادة المؤرخ الروسي مورافيوف الشهير . قال :

« ان جرمانوس وان كان يوناني الاصل فانه قد اختلط بالعرب الى درجة لم تترك شبهة لاحد بانه لم يكن عربياً صميماً . فتمكن بالتدريج من الوصول الى درجة رئاسة الكهنوت . ولما فاز بالسدة البطريركية ايضاً التي بقي جالساً فيها ما ينيف على الثلاثين سنة كان كلما توفي احد الاساقفة الوطنيين الذين تحت رئاسته لا يسيم في محله الا يونانياً حتى اصبح جميع المطارنة في اورشليم من اليونان في مدة بطريركيته الطويلة . وقبل وفاته وضع قانوناً منعكساً لم يزل مرعي الاجراء حتى الآن وهو ان لا تجري سيامة اسقفية الا من اليونان » [١] .

أجل ان وضع يد العنصر اليوناني على السدة البطريركية الانطاكية وعلى الكراسي الاسقفية التابعة لانطاكية لم يتم على يد بطريرك يوناني واحد (كما جرى في فلسطين) بل تمَّ تدريجاً ولم يشمل يوماً جميع الكراسي الاسقفية . ولكن المجمع القسطنطيني المقدس حاول غير مرة ان يستأثر بانتخاب البطريرك الانطاكي وان يستبدَّ بامره كما سنبيّنه في محله ان اراد الرب

---

(١) صلات روسيا مع الشرق ، الجزء الاول ص ٥٦ و ٥٧

بطاركة انطاكية(١) :

٢٢٣ – انَّا نثبت اولاً اسماء هؤلاء البطاركة . ثم نعلق بعض تعليقات او ملاحظات على كلٍ منهم :

	سنة الترقي		سنة الترقي
ميخائيل الخامس ابن الماوردي	١٥٢٣؟	كيرلس الرابع ابن الدباس (مزاحم)	١٦٢٠
دوروتاوس الثالث (مزاحم)	١٥٢٣؟	افثيميوس الثاني كرمه	١٦٣٤
يواكيم الثالث	١٥٣٠؟	افثيميوس الثالث الصاقزي	١٦٣٥
ميخائيل السادس ابن الصبَّاغ	١٥٣٤؟	مكاريوس الثالث زعيم	١٦٤٧
يواكيم الرابع ابن جمعة	١٥٤٣؟	كيرلس الخامس زعيم	١٦٧٢
مكاريوس الثاني ابن هلال (مزاحم)	١٥٤٣ ؟	ناوفيطوس (مزاحم)	١٦٧٢
ميخائيل السابع	١٥٧٦؟	كيرلس الخامس (ثانية)	١٦٨٢
يواكيم الخامس ابن ضو (مزاحم)	١٥٨١ ؟	اثناسيوس الثالث الدباس (مزاحم)	١٦٨٥
يواكيم السادس ابن زيادة	١٥٩٣ ؟	كيرلس الخامس (ثالثة)	١٦٩٤
دوروتاوس الرابع ابن الاحمر	١٦٠٤؟	اثناسيوس الثالث (ثانية)	١٧٢٠–١٧٢٤
اثناسيوس الثاني ابن الدباس	١٦١٢		
اغناطيوس الثالث عطية	١٦٢٠		

(١) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 635 – 645, 700 + «الموجز» ٩٣ و٩٤ + الملكيون ٦٥ – ٧١ + تاريخ ميخائيل بريك ٥٠ – ٦٢ + لوكيان (في تاريخ الدبس) ٧ : ٦٠ و ٢٥٢ + نخبة (من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي) ٢٢ وما يليها

اننا نجهل هل كان البطريرك دوروتاوس الثاني ابن الصابوني (الذي ذكرناه في الفصل السابق) حياً يوم احتل العثمانيون بلاد الشام سنة ١٥١٦، ونجهل ايضاً اعمال اغلب بطاركة هذه الحقبة الذين كثرت فيهم وطالت بينهم المنازعة على المنصب البطريركي حتى استنفدوا اموال البطريركية بل استنزفوا قوى الأمة باسرها !

ان البطاركة ميخائيل الخامس ودوروتاوس الثالث ويواكيم الثالث وميخائيل السادس لا نعرف عنهم شيئاً .

اما البطريرك يواكيم الرابع ابن جمعة فقد كان اولاً مطراناً على بيروت ثم انتُخب بطريركاً . فقام مكاريوس بن هلال اسقف قارا يزاحمه . واستمر النزاع بينهما سبع سنوات الى ان مرض ابن هلال واشرف على الموت ، فصالح حينئذٍ خصمه واستغفره وانتقل الى رحمة ربه .

اما يواكيم فدامت بطريركيته نحو ثلاث وثلاثين سنة (١٥٤٣–١٥٧٦؟) وفي اثنائها جمع كل الاساقفة فعقدوا مجمعاً مكانياً بدمشق وحدَّدوا مهر البنات اللازم لزواجهن واطلقوا الحرم على من يخالف ذلك التحديد ، وامروا بنقشه على عتبة باب الكنيسة الكبرى بدمشق فنُقِش . ثم توفي البطريرك نحو سنة ١٥٧٦ .

فقام بعده ميخائيل السابع الحموي الاصل ، وهو ميخائيل بن عيسى الصباغ . وكان حسن الخط باليوناني والعربي . واذ أُقيم اسقفاً على اوخائيطا (المدعوة الآن حناك) من مدن سوريا الشمالية القديمة [١] اخذ اسم (مكاريوس) . واما كيفية انتخابه للبطريركية فقد رواها اثناسيوس

(١) طالع (النخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي) ٢٦ و ٢٧ .

الثالث الدباس احد خلفائه [1] . قال : ان الاساقفة والاكليرس والشعب في دمشق فوضوا باتفاق تام الى مكاريوس الحموي اسقف اوخائيطا، وغريغوريوس فضيل اسقف حلب، ودوروتاوس بن ضو اسقف طرابلس ان يختاروا واحداً منهم يتفقون عليه (لان الجمهور استعصى عليه الانتخاب) . واذ كان المتقدم فيهم اسقف حلب وكان اهله عنده في الشهباء ولم يرد ان يتركهم اخذ ورقة وكتب فيها : اني اخترت بطريركاً اسقف اوخائيطا . ثم وقَّعها . فلما رأى هذا اسقف طرابلس جاراه . ومن ثمَّ انتُخب بطريركاً اسقف اوخائيطا باتفاق تام وسرور عام ودُعي ميخائيل السابع .

ولكن هذا السرور لم يدم طويلاً : لانه بعد اربع سنوات وقعت عداوة بين البطريرك وبين قوم من دمشق . فاتهموه زوراً بقبيح واشهدوا عليه احد تلاميذه (الشمامسة) واوجبوا عليه السقوط من الكهنوت بواسطة بعض الاساقفة واستكتبوه صكاً تنزل فيه عن البطريركية ووقعه ثم خرج الى حماة وطنه . ولما اشتهر امره وبلغ الى اسقف حلب المذكور جاء ولامه على نزوله وتركه البطريركية بغير حق ولا مجمع . فندم ميخائيل وعقد مجمعاً في حماة من رؤساء الكهنة والكهنة اتباعه وحرم الدمشقيين الذين انتدبوا ابن ضو مطران طرابلس وجعلوه بطريركاً في دمشق (وسموه يواكيم الخامس) وهذا ايضاً عمل قداساً هناك مع رؤساء كهنته وكهنته وحرموا ميخائيل واتباعه . وانقسمت الرعية وحدث شقاق عظيم وغرامات اموال حتى خرج البعض عن الايمان بسبب ما نزل بهم من الضيق . وقتل غيرهم ظلماً في هذه الفتنة الهوجاء . . .

---

(١) بتاريخ له كتبه باليونانية الحديثة .

ثم ان ميخائيل اقام اسقف حلب نائباً عنه على البلاد التي تحت طاعته والبسه صاكوناً (ولم يكن اسقف حلب يلبس الصاكون قبل ذلك لان الصاكون كان مختصاً بالبطاركة وكبار المطارنة . اما الاساقفة فكانوا يلبسون الافلونية التي يلبسها اليوم الكهنة) وانطلق ميخائيل الى القسطنطينية حيث عقد له البطريرك ارميا الثاني القسطنطيني مجمعاً حكم له بحق البطريركية واخرج له فرماناً سلطانياً بذلك . وعاد ميخائيل الى دمشق معززاً بالقوى العسكرية . فتفاقم الشر واستطارت الفتنة وكثر الاعتداء والايقاع وتعاظمت المصادرات . وعضد وزير الشام يواكيم . فلم يستفد ميخائيل شيئاً ورجع الى القسطنطينية حزيناً ، فأُشير عليه ان يلزم بلدته اوخائيطا . واذ عاد من القسطنطينية بطريق البحر فعند دخوله جزيرة رودس توفي فدُفِن هناك في ٢٥ ك١ سنة ١٥٩٢ على الحساب الشرقي .

اما الشماس الذي شكاه فقد اقرَّ بعد ذلك (حين حضرته الوفاة) امام البطريرك يواكيم انه شهد زوراً على ميخائيل .

وسنرى فيما بعد كيف تمَّ اتصال ميخائيل هذا بليوناردو هابيل المندوب البابوي في مدينة حلب وكيف مات على المذهب الكاثوليكي .

اما يواكيم الخامس السابق الذكر فان منازعته على البطريركية استنزفت قواه المالية . فاضطر ان يمضي الى بلاد المسيحيين (سنة ١٥٨٥) اي الى البلقان وجنوب بولونيا (انظر الخارطة) ليجمع مالاً يصلح به حاله . فنراه في سنة ١٥٨٦ يقيم اخوية لووف المشهورة ويتدخل باهتمام في شؤون كنيسة الروتان الداخلية ونرى رسمه محفوظاً في كييف . ثم نراه ينتقل من هذه المدينة الى موسكو ويساعد القيصر فيدور الاول (Fédor 1er) على انشاء بطريركية موسكو ويوقع سنة ١٥٩٠ الرسالة المجمعية التي كتبتها

كنيسة القسطنطينية وثبّتت بها انشاء البطريركية المذكورة .

ولما عاد يواكيم الى سوريا خرج الى حوران لزيارة رعيته فقُتل هناك في ٧ ت ١ سنة ١٥٩٢ على الحساب الشرقي . وكان قد فوَّض الى ملاتيوس بيغاس (Pighas) بطريرك الاسكندرية (الذي كان يقيم بالاستانة) ان يمثله في المجمع الذي كان يُنوَى عقده في هذه المدينة لتثبيت بطريركية موسكو والذي عُقِد فعلًا في شباط سنة ١٥٩٣ .

على ان هذا التفويض قد يكون لا من يواكيم الخامس بل من خلفه يواكيم السادس ابن زيادة الذي انتُدِب للبطريركية سنة ١٥٩٣ وقد كان قبلًا مطران حمص . وفي ١٨ نيسان من سنة ١٥٩٤ وقَّع هذا البطريرك رسالة شكر بعث بها اساقفة البطريركية الانطاكية الى قيصر روسيا فيدور الاول المذكور يشكرون له فيها فضله وما ارسله اليهم من الاحسان .

ولم تدم بطريركية ابن زيادة سوى احدى عشرة سنة (١٥٩٣ — ١٦٠٤) وقد حاول نحو سنة ١٦٠٠ ان يميد سلطته على جزيرة قبرس فلم ينجح . وفي اواخر ايامه كف بصره فاحضروا اليه احد اعيان الطائفة بدمشق وهو الوجيه عبد العزيز بن الاحمر (من اسرة فرعون المعروفة)[1] . فاضطر البطريرك ان يقيمه شماساً ثم كاهناً ثم مطراناً على قلية دمشق وذلك تدريجاً في بضعة ايام وفوض اليه تدبير امور الرعية وشؤون البطريركية بمقام وكيل له ودعاه دوروتاوس .

ثم خرج البطريرك من دمشق وهو غير راضٍ عما فعله وسافر الى مصر فلما وصل اليها توفي هناك فحمل الرهبان الذين في مصر جسمه ودفنوه في

---

(١) طالع تاريخ اسرة آل فرعون (بقلم الاب قسطنطين الباشا ب م) ٦١—٦٦ .

ديرهم الكبير في طور سيناء سنة ١٦٠٤ (عن اثناسيوس الدباس) .

فخلفه دوروثاوس بن الاحمر السابق الذكر واستولى على البطريركية وجلس على عرشها دون مقاومة ولا معارضة بفضل عزوته من اهل دمشق وفضل ما كان مزداناً به من حسن التدبير وسعة المدارك والغيرة على مصالح الشعب. وقضى في البطريركية ثماني سنوات (١٦٠٤ - ١٦١٢) . قال عنه القس يوحنا العجيمي († ١٧٨٤) في تأليفه المعروف بكتاب « التختيكون » ما خلاصته: ان ابن الاحمر، وان لم يكن من ذوي العلم الواسع، كان غيوراً شجاعاً حتى انه لم يكن يخشى احداً ... ومن اعماله انه رمم ووسع دار البطريركية في دمشق ، ورفع الضرائب عن الاكليرس والرهبان، والغرامات المالية عن الشعب والظلم من قِبَل الحكام. ثم رفع يد المسلمين عن النصارى في استيفاء المال الاميري مستبدلاً جباة المال من المسلمين بجباة من المسيحيين. ثم قاوم بعض الحكام لظلمهم . وذهب الى الاستانة للشكوى على متسلم انطاكية ولم يرجع من هناك الا بعد ان عزله بامر السلطان . فلهذا ظهر له خصوم كثيرون ودفعوا اموالاً غزيرة ليعزلوه فلم يقدروا . لكنهم اخيراً دسّوا له السم في الطعام فمات فجأة في حاصبيا من وادي التيم سنة ١٦١٢ ودفن هناك .

فتولى البطريركية بعده البطريرك اثناسيوس الثاني الدباس (او ابن الدباس) [1] الدمشقي الاصل مطران بصرى بعد ان تعهد بموجب حجة شرعية ان يدفع ما يبقى (من مال الجوالي او الخراج) على الطائفة في دمشق . ثم خرج يطوف الابرشيات ليجمع المال المطلوب . واذ عاد ولم

(١) الاب قسطنطين الباشا المخلصي ، (تاريخ الطائفة ، ج ١ ص ٦٥ - ٨٠)

ينجز وعده رفعوا امره الى والي دمشق فحبسه في القلعة حتى دفع له مبلغاً . وخرج الى طرابلس لائذاً بحمى يوسف باشا ابن سيفا حاكمها وحمى كاتبه الحاج سليمان البتروني اكبر اعيان الطائفة فيها . ومات هناك سنة ١٦٢٠ على الاصح ، ودُفن في دير كفتين خارج طرابلس .

وقام الدمشقيون فانتدبوا للبطريركية مكانه مطران صيدا المعروف بابن عطية ، وارسلوه الى القسطنطينية في جماعة من الكهنة والوجوه فاقاموه هناك بطريركاً على انطاكية باسم اغناطيوس الثالث . وبعد مدة عاد الى دمشق واستولى على البطركية بموجب البراءة السلطانية التي نالها بواسطة تيموتاوس بطريرك القسطنطينية ، وتعزز في دمشق بولاة الشام الذين كانوا موالين للامير فخر الدين الثاني المعني وبالمطارنة الذين كانوا في حكم هذا الامير وهم مطارنة بيروت وصيدا وبعلبك[1] .

---

(١) الامير المذكور من اشهر حكام لبنان بل اعظمهم واوسعهم عدلاً واجلهم فضلاً . وهو اول من ادخل الى لبنان تمدن اوروبا . وامتاز حكمه بتقدم الفلاحة والصناعة والتجارة في الجبل مع الحرية والامان والمساواة بين جميع السكان . وهو الذي جدد مدينتنا صيدا وخصها بعنايته لقربها من الشوف وكونها في وسط بلاد حكمه وجعلها حاضرة امارته وبندر تجارتها براً وبحراً مع الافرنج الموالين له ، وشيد لهم قرب البحر مكاناً واسماً خاصاً بهم يدعى الى اليوم « خان الافرنج » . واقام هو ورؤساء جنده في قلعتها الى ان بدَّل بها بيروت لاسباب معروفة في تاريخ الامير لا محل لذكرها هنا. وهو فخر النصرانية ايضاً : فانه اذ تربى وهو صغير على يد الحاج كيوان الماروني في بيت ابرهيم الخازن فلما قبض على زمام الامر جعل افراد هذا البيت مشايخ من اول رتبة (بمقام بيت جنبلاط) وقربهم اليه مع ذويهم واتخذهم اعواناً له على يوسف باشا ابن سيفا صاحب طرابلس خصمه الكبير . وبسبب ذلك اخذ النصارى يفدون الى الشوف من شمال لبنان ومن كل صوب فتمكنت من جديد قدم النصرانية في هذه الجهات حتى

ولما كان كيرلس الرابع الدباس مطران بصرى (اخو البطريرك اثناسيوس المتوفى) قد تبعه وهو حي الى طرابلس سعى ان يكون خلفاً له في البطركية بعد موته . فكان له ذلك بمساعدة الحاج سليمان البتروني السابق الذكر اذ أوعز الى مطارنة حمص وحماة والحصن الخاضعين لايالة طرابلس ، فاقاموه بطريركاً على انطاكية في كنيسة اميون من كورة طرابلس يوم احد السامرية وهو نفس اليوم الذي اقيم فيه اغناطيوس عطية بطريركاً . ثم تعزز كيرلس (الرابع) ببراءة سلطانية نالها بواسطة كيرلس لوكاريس بطريرك القسطنطينية خلف تيموتاوس ومنازعه على البطريركية ، وبيوسف باشا ابن سيفا وبولاة الشام اعداء الامير فخر الدين ، وباكثر المطارنة الانطاكيين المشايعين له . وحضر الى دمشق فقام النزاع فيها بين البطريركين وامتد

صار عدد المسيحيين فيها يوازي عدد الدروز بل يزيد عليه (في اواخر القرن ١٨) . ثم اباح للمسيحيين ركوب الخيل المسرجة وحمل السلاح والاعتمام بالبياض وبناء الكنائس والاديار وضرب النواقيس واعلان شعائر الدين المسيحي ، مما كان محظوراً على النصارى من قبل في لبنان ، وبقي كذلك محظوراً في جميع الولايات العثمانية الى زمن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) . وهو الذي انشأ دير القمر (واكثر سكانها نصارى) وجعلها تحت الامارة تجاه بعقلين الدرزية مقر الامراء المعنيين من قديم . وجدد سلسلة اساقفة صيدا . فقام الروم الملكيون واختاروا كاتبه المسيحي اغناطيوس عطية مطراناً على صور وصيدا ثم بطريركاً ، وبقي اغناطيوس سنداً للامير طول عمره . وبكلمة مختصرة قد شابه الامير فخر الدين في لبنان قسطنطين الكبير في المملكة الرومانية باعطاء الحرية الدينية للمسيحيين وبنهجه السبيل لمن خلفه في الحكم من امراء لبنان ان يعاملوا النصارى بالرفق والعدل ويعتمدوا عليهم في تدبير اعمالهم . ثم قبل اخيراً سر العماد بالخفاء . ولكن لما اضطره الامر جاهر بايمانه المسيحي امام السلطان مراد الرابع الذي امر بقتله في ١٤ أذار سنة ١٦٣٥ (عن المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي)

الى الطائفة حتى صارت فرقتين . واستمر ذلك النزاع سبع سنوات حتى كاد يدمر الملة كلها !

وبعد موت يوسف باشا سنة ١٦٢٤ وعزل كيرلس لوكاريس تصاغرت نفس كيرلس الدباس فطلب الى الامير فخر الدين (الذي اصبح الحاكم العام لسوريا ولبنان [١]) انعقاد مجمع ينظر ويقرر لمن تحق البطريركية . فجمع الامير المجمع في دير السيدة قرب قرية رأس بعلبك ولكن كيرلس ندم ورفض المجيء الى هذا المجمع اذ شعر أن قراره سيكون على غير ما يحب فامر فخر الدين باحضاره مكبلًا وحكم الاساقفة بعزله وحرمه . ثم نفاه الامير الى مغارة الراهب قرب الهرمل من بلاد بعلبك وهناك مات او قُتِل سنة ١٦٢٧ .

اما اغناطيوس خصمه فثبتت له البطريركية حينئذٍ واقام بها سبع سنوات اخرى ثم انتهت حياته هو ايضاً بالقتل سنة ١٦٣٤ وذلك بيد احد اصحابه عن غير قصد اذ كان البطريرك راكباً وحده ليلًا ومارّاً في الطريق بين الدامور والشويفات ، وكانت نيران الحرب مستعرة بين الامير والاتراك ، فرماه بالرصاص احد رجال الامير وهو لا يعرفه .

وأنتُدِب مكانه ملاتيوس مطران حلب وهو افثيميوس الثاني كرمة [٢] الذي كان من جِلّة البطاركة . وقد كان حموي الاصل وترهب في دير القديس سابا قرب اورشليم . ثم رقي الى كرسي حلب باسم ملاتيوس في ١٢

(١) الامير فخر الدين المذكور حكم لبنان سنة ١٥٩٠ وشمل حكمه كل بلاد عربستان اي لبنان وسوريا وفلسطين من سنة ١٦٢٣ الى سنة ١٦٣٤ يلقب « سلطان البر » .

(٢) الموجز ٦٢ و ٦٣ + ق . ب . تاريخ الطائفة ، ج ١ ، ص ٦٨

شباط سنة ١٦١٢ . وكان ممتازاً بعلمه وصلاحه واهتمامه بتدبير رعيته وبعيداً عن المنازعات . وكان على اتصال ومحبة مع المرسلين الافرنج اعني بهم اليسوعيين الذين قدموا حلب سنة ١٦٢٣ والكبوشيين الذين اتوا بعدهم بسنتين اي سنة ١٦٢٥ ، ورهبان الكرمل الذين وافوا المدينة المذكورة سنة ١٦٢٦ . ولما انتقل الاب ايرونيموس كيرو (Jérôme Queyrot) رئيس الرسالة اليسوعية من ازمير الى حلب (وكان حينئذٍ الاشتراك في القدسيات مع الروم مباحاً) اتصل بالمطران ملاتيوس كرمة واكتسب ثقته حالاً بل صار له كاتباً . وجعل المرسلون يقرأون اللغة العربية على ميخائيل بَجع رئيس شمامسته . وهكذا فكرة الاتحاد مع الكرسي الرسولي اخذت تختمر في العقول . واصبح المطران على اتصال مع الاحبار الرومانيين . وله في سجلات رومة عدة رسائل تدل على هذا . وقد اعاد تعريب الكتب الكنسية وارسلها سنة ١٦٣٢ لتطبع هناك باحسان البابا اوربانوس الثامن . وتلك الكتب هي السواعي الكبير ، والقداسات الثلاثة ، والافخولوجيون الكبير ، والسنكسار في مجلدين ضخمين ، والتيبكون الكبير المعروف بتيبكون دير القديس سابا . لكن هذه الكتب لم تطبع لان البطريرك عاجلته المنية في ١ ك ٢ سنة ١٦٣٥ بعد سبعة اشهر فقط من بطريركيته ، وكان قد ارسل الى رومة صورة اعترافه بالايمان فلم يتمكن من نيل التثبيت .

واذ شعر بدنو أجله اوصى رعيته بانتخاب خلف له القس ملاتيوس الصاقزي (من جزيرة صاقز او شيو احدى جزائر اليونان) ومن رهبان دير القديس سابا ، الذي كان قد احضره الى دمشق ليزين الكنيسة بالايقونات من تصوير يده . فوافقوه على ذلك ورسمه بيده وهو مريض مع المطارنة

المقيمين يومئذٍ في دمشق وجوارها . واعطاه اسمه نفسه اي افثيميوس . فسار هذا اي افثيميوس الثالث الصاقزي سيرة صالحة في رعيته نظير سالفه . وهو الذي اتى بالآباء اليسوعيين من حلب الى دمشق سنة ١٦٤٣ وجعل رئيسهم الاب ايرونيمس كيرو (السابق الذكر) في قلاية البطريركية كاتباً له ، ومعلماً لابن اخته (ناوفيطوس) الذي كان شماساً عنده وصار فيما بعد مطراناً على حماة ثم بطريركاً . وقد فوّض مجمع انتشار الايمان الى الكاهن باخوميوس ان يسعى في اتحاد هذا البطريرك مع الكرسي الرسولي . فلم يتوفق باخوميوس ولم يتمكن من حمل البطريرك على المجاهرة بالكثلكة وان كان سلوكه جدّ وديّ لها[1] . واذ ذاك اكتفى المجمع بتحريض البطريرك على ارسال طلبة يدرسون في رومة . وكانت مدة بطريركيته نحو ١٢ سنة . ولما شعر بدنو اجله اشار هو ايضاً على رعيته بانتخاب ملاتيوس زعيم مطران حلب (وأحد تلاميذ افثيميوس كرمة الحموي) خلفاً له . ثم توفي البطريرك افثيميوس الصاقزي في ١١ ت١ سنة ١٦٤٧ بدمشق ودُفن في مغارة البطاركة المعروفة هناك .

اما ملاتيوس زعيم فلما سيم بطريركاً دُعي مكاريوس الثالث الحلبي[2] . وكان من اسرة كهنوتية . واذ كان علمانياً كان يدعى (يوسف) وقبل ارتقائه الى درجة الكهنوت باسم يوحنا كان متزوجاً . ثم توفيت زوجته فرقي الى اسقفية حلب باسم ملاتيوس كما مر . وكان له ولد اسمه بولس صار

---

(١) لا ننسَ ان البطريرك هو من العنصر اليوناني الانفصالي الذي قلما يميل الى الاتحاد (الاجتهاد ص ١١٧) .

(٢) الاب قسطنطين الباشا المخلصي . تاريخ الطائفة ، ج ١ ص ٧٠ — ٧٢ و ١٠٨ — ١١٠ + الموجز ، ص ٤٤ و ٤٥ .

فيما بعد شماساً ومساعداً لوالده . وقد احتفل بارتقائه الى الكرسي البطريركي ستة اساقفة في الكنيسة المريمية بدمشق وتولَّى هو البطريركية ٢٥ سنة (١٦٤٧ — ١٦٧٢) . وامتاز بعلمه وانكبابه على الدرس والبحث والكتابة تأليفاً وتعريباً ونقلاً لكل ما يخص تاريخ البطريركية الانطاكية وابرشياتها وطقوسها وقديسيها . ولذلك زار كل ابرشياتها بمدنها وقراها واديارها العامرة . وخلَّف لنا تركة تاريخية ثمينة جمعها بمساعدة ولده الارشيدياكون بولس ولولاها ما كنا نعرف من امور البطريركية الا القليل . واكثر مؤلفاته لم يزل مخطوطاً . وقد جدَّد العلاقات مع جثليق بلاد الكرج (Géorgie) سنة ١٦٤٨ . ثم ارتحل لاول مرة سنة ١٦٥٣ مع ابنه الشماس بولس بطريق القسطنطينية الى بلاد بلغاريا والفلاخ والبغدان (اي رومانيا) ومرَّ بأوكرانيا الى كييف ثم الى موسكو [١] ، وذلك طلباً للاحسان لوفاء ما كان على البطريركية من الديون . وبقي في سفرته هذه ٦ سنوات ونيفاً وصفها ابنه الارشيدياكون وصفاً مفصلاً في كتاب شيّق دُعِي (سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي) . وقد طبع منه الاب قسطنطين الباشا المخلصي نخبة صالحة وهي التي ننقل عنها في كتابنا هذا .

وفي خلال تغيب البطريرك قام مطران حمص اثناسيوس بن عميش وطمع في البطريركية واخذ يمارس الحبريات في الكنيسة البطريركية ويشيع ان البطريرك مات . فلما رجع البطريرك من سفرته وبلغوه ذلك جمع مجمعاً على المطران المذكور وعزله وحرمه في ٢٨ آب سنة ١٦٥٩ .

اما المال الذي اتى به فوفى به ديون البطريركية وجدَّد الدار البطريركية

(١) انظر الخارطة

وحسّنها ووفى جزءاً من مال الخراج الذي كان يثقل كاهل الشعب وعال الفقراء في سنة من سني الجوع .

وفي تلك الاثناء ايضاً مات الاب ايرونيموس كيرو رئيس الرسالة اليسوعية بدمشق (٨ ايلول سنة ١٦٥٣) وكان عدد الذين انتموا الى الكثلكة بعنايته وعناية اخوته نحو سبعة آلاف شخص في دمشق . فكتب البطريرك مكاريوس المذكور الى رومة سنة ١٦٦٢ ثم ارسل سنة ١٦٦٤ اسقفين يحملان صورة اعترافه بالايمان . واصبح هكذا يُعتبَر في رومة كاثوليكياً ولكن كاثوليكياً خفياً لا يتظاهر بالكثلكة بسبب علاقاته مع البطاركة الارثوذكسيين ومع قيصر روسيا [١] .

وبعد ذلك قام القيصر الكسيوس ميخائيلوفتش واستدعى اليه مكاريوس لكي ينظر (مع بائيسيوس بطريرك الاسكندرية وجمع من اساقفة الروس) في امر نيكون بطريرك موسكو « الذي بسعة معارفه وحصافة عقله وحدة ذهنه ومضاء عزمه وشدة دهائه كان يحسب اعظم رجل في روسيا واكبر مقاوم للقيصر وللاعيان » [١] .

فلما وصل البطريرك الانطاكي (ثاني مرة) الى موسكو سنة ١٦٦٦ اشترك في المجمع الكبير الذي انعقد سنة ١٦٦٧ هناك (وكان فيه ١٥٠

---

(١) تضاربت الآراء في كثلكة البطريرك مكاريوس الحلبي هذا : فمنهم من اوجبها له ومنهم من انكرها عليه . ومهما يكن من الامر فان الارثوذكس « اولى منا بالشكر له لكونهم احرزوا ويتمتعون الى اليوم بما خلفه مالياً ومادياً اي بيدهم اليوم دار البطركية وكنائسها وديورتها وكل اوقافها التي اقتناها او جدّدها مما لم يصل الينا منه شيء » (الاب قسطنطين الباشا المخلصي) ، طالع (النخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي) ، ص ١١٩ و ١٣٢

حبراً من الروس و ٢٨ من اليونان و ١١٨ من سواهم برئاسة البطريرك الاسكندري والبطريرك الانطاكي) وعزل نيكون وحرمه وقرر نفيه الى احد الديورة . ولبث مكاريوس في روسيا نحو ثلاث سنوات ثم عاد الى سوريا عن طريق بلاد الكرج التي مر بها في ذهابه . ومات ابنه الشماس بولس مسموماً في تفليس عاصمة الكرج سنة ١٦٦٩ . اما هو اي البطريرك فعاش بعده ثلاث سنوات ثم توفي بدمشق (في ١٢ حزيران سنة ١٦٧٢) يوم الاربعاء . وقيل انه هو ايضاً مات بالسم اذ كان يزور رعيته في حارة الميدان بالشام . ولا يستبعد ان يكون المال الكثير الذي جمعه سبباً لموته وموت ابنه اغتيالاً .

اما خلفاء مكاريوس الثلاثة كيرلس الخامس زعيم وناوفيطوس واثناسيوس الثالث الدباس فسيأتي الكلام عليهم في الفصل التالي

مهمة ليوناردو هابيل[1] (او ابيلا ؟)[2] :

٢٢٤ — في سنة ١٥٨٣ ارسل البابا غريغوريوس الثالث عشر الى الشرق مندوباً اسمه ليوناردو هابيل مالطي الاصل يعرف اللغتين العربية والسريانية ، واعطاه لقب « اسقف صيدا شرفاً » وارسل معه راهبين يسوعيين الى سوريا وذلك لتجديد الاتحاد ونشر الحساب الجديد المعروف باسمه (الغريغوري) بين البطاركة الشرقيين . فبعد ان قضى المندوب المذكور نحو ثلاث سنوات في الاعمال التي جاء لاجلها عاد الى رومة وقدم للبابا سكستوس الخامس

---

(١) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 638, 639 + (النخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي) ، ٢٨-٣٥ + الموجز ، ٤٠-٤٣ + الاجتهاد ، ١١٥و١١٦

(٢) هابيل (باللغات الافرنجية Abela ابيلا) لعله احد فروع اسرة ابيلا المشهورة في لبنان

(الذي خلف البابا غريغوريوس الثالث عشر) بياناً مسهباً عن اعماله . وقد طبع هذا البيان بالايطالية مراراً ونُقِل الى الفرنسوية وغيرها . ويستفاد منه انه بعد ان قابل صفرونيوس الرابع بطريرك اورشليم انطلق الى سوريا وكان يتنازعها بطريركان (على ما مر بيانه) وهما ميخائيل السابع الذي كان مقيماً بحلب ، ويواكيم الخامس ابن ضو الذي كان يقيم بدمشق .

فقدم اوراق اعتماده اولاً للبطريرك يواكيم الذي وجده في قرية « عيتا » فاراً من وجه وزير دمشق الذي كان يطالبه بمبلغ من المال بسبب الفتنة القائمة بينه وبين البطريرك ميخائيل . وهناك سلمه رسالة البابا ورسالة الكردينال ستناسفيرينو المحامي عن اليونان ، وكلمه ملياً بشأن تجديد الاتحاد الذي تم في فلورنسا ، وبشأن نشر الحساب الجديد . فاجابه البطريرك على ذلك بالرضى والقبول . لكنه وعده بانجازه في اجتماع آخر في طرابلس بعد ان يفاوض البطريركين اللذين هما اعلى منه مقاماً ، وهما القسطنطيني والاسكندري . الا انه لم يقدر ان ينجز وعده اذ سافر رأساً الى القسطنطينية خوفاً من مصادرة جعفر باشا طرابلس له بسبب الفتنة القائمة حينئذٍ . ومن ثم كتب بايعازه اعيان طرابلس رسالة الى البابا في ٢٦ ايلول سنة ١٥٨٤ ارسلوها مع المندوب المذكور ، وقد ضمنوها ما استطاعوا من ادلة التعظيم والخضوع للبابا والمديح لمندوبه وابانوا ضيق ذات يد البطريرك وحاله واعتذروا عنه في عدم انجاز وعده بالاجتماع مع مندوبه في طرابلس .

ثم ذهب ليوناردو من طرابلس الى حلب حيث جعل اكثر اقامته وهناك قابل البطريرك ميخائيل السابع وكلمه في شأن ما أُرسِل لاجله . فامضى البطريرك صورة اعترافه الكاثوليكي الذي اعلنه شفاهاً امام المندوب . وكتب رسالة مطولة الى البابا سكستوس الخامس يظهر فيها صحة ايمانه

وخضوعه له ويشكو له عجزه عن الذهاب الى رومة ليبرهن له عن ذلك راساً ، ثم يشكو من شدة الاضطهاد الذي ناله من خصمه واعوانه ولاسيما سعايتهم الزورية فيه لدى الحكام لايقاع الضرر به وبالرعية مع ضرر انفسهم وخسارة اموالهم . وكتب ايضاً رسالة بالمعنى نفسه الى الكردينال سنتاسفيرينو في شهر ايار سنة ١٥٨٥ . ووعد بالعمل على نشر الاتحاد في بطريركيته .

ولم يطل الامر بهذا البطريرك حتى انتقل الى رحمة ربه في ٢٥ ك ١ سنة ١٥٩٢ على الحساب الشرقي .

واعلم ان مجيء المندوب المذكور (ليوناردو هابيل) الى هذه البلاد كان فاتحة خير وبدء العصر الحديث ، عصر النهضة والاصلاح والتجديد : فان مهمته وان لم يتوفق فيها حالاً (كما كان يتمنى) كانت بذاراً صالحاً اتى مع الزمان باشهى الثمار .

الكتبة الملكيون :

٢٢٥ — اليك اسماء الذين نعرفهم من هؤلاء الكتبة :

١) اسطفان الشماس الملكي الذي كان من اهل اواسط القرن السادس عشر . له في المكتبة الفاتيكانية كتاب يدحض فيه اضاليل الاقباط في ٣٥ فصلاً تاريخه سنة ١٥٤٣ مسيحية [١] .

٢) انسطاسيوس المرمنيتي مطران صور وصيدا وبيروت وطرابلس . له في مكتبة باريس كتاب برقم ٢٢١ من المخطوطات العربية فيه رسالة برفض قبول الحساب الغريغوري كتبها المطران المذكور في دمشق سنة ١٥٨٣ ووقَّعها عن البطريرك

(١) المخطوطات العربية ص ٣١ و ٣٢

الانطاكي يواكيم الخامس ابن ضو [١] .

٣) البطريرك افثيميوس الثاني كرمة الحموي المتوفى سنة ١٦٣٥ م . هو ملاتيوس اسقف حلب ثم افثيميوس البطريرك الملكي المشترك مع الكنيسة الرومانية الذي مر ذكره (عد ٢٢٣) . طالع وصف الكتب التي عربها او نقحها في كتاب « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » الذي ننقل عنه هذه المعلومات [٢] .

(٤) السيد الياس بن مسرّة بن الحاج سعادة من اهل القرن السابع عشر . له في المكتبة الشرقية اليسوعية ببيروت نسخة جميلة مخطوطة من كتاب « التريودي » الطقسي، كُتِبت في شهر شباط من سنة ١٦٥٩ م في قلّاية بيروت [٣] .

(٦) الخوري يوسف المصور المتوفىً قبل سنة ١٧١٣ . هو الكاهن يوسف ابن الحاج انطونيوس المكنى بابن سويدان الحلبي المصور تلميذ البطريرك افثيميوس كرمة، الذي كان يحسن العربية واليونانية وكان خطاطاً مشهوراً جاتين اللغتين، ومصوراً بارعاً ومؤرخاً، والذي صار مطراناً على صور وعكا وقيصرية فلسطين شرفاً باسم (يواصف الحلبي المصور) . وقد عرب عدة كتب منها « كتاب خلاص الخطأة » و « كتاب الفرائد اللطاف في شروط الاعتراف » الخ [٤] .

(٦) البطريرك مكاريوس الحلبي مع ابنه الشماس بولس الذي مر ذكره (عد ٢٢٣) والذي كما – يقول السيد حبيب الزيات [٥] – « بقيت الى اليوم بضعة مجلدات من تصنيفه » وهي كلها « شواهد على ما كان له من

(١) (الاب قسطنطين الباشا المخلصي)، تاريخ الطائفة، ج ١ : ص ٥٩ + المخطوطات العربية، ص ٤٣

(٢) المخطوطات العربية، ص ٣٦ و ٣٥

(٣) المخطوطات العربية ص، ٤٠ (٤) (الاب ق. الباشا ب م) تاريخ الطائفة، ج ١ ، ص ٩٦–١٠١ + المخطوطات العربية ص ١٩

(٥) طالع كتابه « خزائن الكتب » ص ١٤٠–١٤٣ .

الرغبة الوافرة في المطالعة والتأليف والولع الشديد بالتنقيب عن الكتب، وتكلّف مشاق الاسفار للبحث عنها واستنساخها حتى كان لا يعدّ ذلك فقط من الاعمال الصالحة . . . بل كان يرى التقصير فيه اثماً عظيماً لاسيما على رجال الكهنوت » . واليك بعض اسماء الكتب التي ألّفها او عرّبها او جمعها في مطالعاته :

١) تاريخ وجدول الاربعة (كذا) البطريركيات الشرقية ٢) التاريخ الرومي العجيب الجديد الذي هو من عهد آدم الى ايام قسطنطين السعيد ٣) الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم من زمن قسطنطين الى السلطان مراد الرابع ٤) كتاب النحلة (جمع فيه اخباراً متفرقة دينية وادبية وتاريخية نقلها عن كتب مختلفة وقسمها الى ٢٦ فصلًا) ٥) كتاب عجائب العذراء ٦) كتاب اخبار المجامع المسكونية السبعة واسامي رؤساء الكهنة الذين كانوا فيها ٧) كتاب الكنوز (يشتمل على مقالات نافعة في مضمون الاعياد السيدية) ٨) كتاب اخبار القديسين ٩) كتب طقسية مختلفة ١٠) ردّه على الكلوينيين (البروتسطان) ١١) رحلة البطريرك مكاريوس الحلبي الى روسيّة (بقلم ابنه الشماس بولس الزعيم) الخ [١] .

٧) السيد توما بن سليمان الارثوذكسي . هو من كتبة القرن السابع عشر، وله في مكتبة باريس (Supplément arabe, 1683) تاريخ حلب، كُتب سنة ١٦٧١ م [٢]

٨) ميخائيل حاتم الشاعر الملكي . عاش هو ايضاً في القرن السابع عشر، وله ديوان شعر باللغة العامية نُسخ سنة ١٦٨٨ . وله ايضاً زجليات وقدود كثيرة نظمها في العذراء مريم وفي مزارها الذي في صيدنايا [٣] .

---

(١) المخطوطات العربية ص ١٩٣ و١٩٤

(٢) المخطوطات العربية ص ٧٨

(٣) المخطوطات العربية ص ٨٧

٩) واخيراً الاب يوحنا قسطنطين . وهو الخوري الكاثوليكي يوحنا قسطنطين من الاكليرس الملكي الحلبي ؛ ألّف في القرن السابع عشر كتاباً في انبثاق الروح القدس من الآب والابن [١] .

٣ - كنيسة الاسكندرية

حالة المسيحيين بعد الفتح العثماني - بطاركة الاسكندرية - اقامتهم بالقسطنطينية .

حالة المسيحيين بعد الفتح العثماني :

٢٢٦ - لم يطرأ على حالة المسيحيين شيء يُذكر من التغيير بعد الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧ [٢] . اجل انهم قد أُعطوا بعض الحرية كما سبق القول (عد ٢١٣) . ولكن بقيت حالتهم غير مرضية : حرمتهم قلما تُراعى وحقوقهم قلما تصان، ولأدنى سبب كان يشهر عليهم سيف الاضطهاد . ومن ثمَّ كثيراً ما شكا البطريرك يواكيم الاول (+ ١٥٦٧) السابق الذكر همَّهُ الى قيصر روسيا وعرض عليه احتياجات كنيسته . وكان القيصر ، والحق يقال، يلبّي مطالب البطريرك ولا يقصِّر في الحماية ولا في بذل الاحسان [٣] .

هذا ثم إنَّا نرى السلطان سليمان الاول القانوني يثبت سنة ١٥٢٨ ببراءة شاهانية الامتيازات الممنوحة للاوروبيين كالاسبان والفرنسيين وغيرهم من الشعوب الذين يعيشون تحت رعاية قنصلياتهم في الاسكندرية او سواها . ويصرّح انه يمكنهم ان يرمّموا كنائسهم المعروفة في الاسكندرية بحسب

(١) المخطوطات العربية ، ص ٢٢٠

(2) D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 361

(٣) خريسوستومس پاپاذوبولس (تاريخ كنيسة الاسكندرية) ص ٦٠٥

ما يُعتَرف به في الشرع . وما يعلنه الشرع يجب الاقرار به على قول السلطان المذكور .

بطاركة الاسكندرية [1] :

٢٢٧ — اليك اسماء بطاركة هذه الحقبة مع شيء من التعليق عليهم :

	سنة الترقي		سنة الترقي
سلفستروس الكريتي	١٥٦٩	يوانيكيوس	١٦٤٥
ملاتيوس بيغاس	١٥٩٠	بائيسيوس	١٦٥٧
كيرلس لوكاريس	١٦٠٢	برثانيوس	١٦٧٨
جراسيموس الاول	١٦٢١	جراسيموس الثاني	
مطروفانس كريتوبولس	١٦٣٦		١٦٨٨ — ١٧١٠
نيكيفورس	١٦٣٩		

دامت بطويركية يواكيم الاول السابق الذكر ٨٠ سنة (من سنة ١٤٨٧ الى سنة ١٥٦٧) وعلى عهده كان افتتاح العثمانيين للقطر المصري سنة ١٥١٧ وانعقاد المجمع التريدنتيني (١٥٤٥-١٥٦٣) المسكوني التاسع عشر . وبمناسبة هذا المجمع تلقَّى البطريرك سنة ١٥٦٢ من رئيس اساقفة كريت اللاتيني رسالة يدعى فيها الى حضور المجمع . فاعتذر البطريرك عن الحضور بقلّة مَن عنده من الاشخاص الذين يمكنه ان يرسلهم ، ثم لفت نظر مراسله الى ان (الدعوة) يجب ان تكون موجهة من رومة الى البطريرك المسكوني رأساً لان هذا وحده يمكنه ان يمثِّل الثلاث البطريركيات الشرقية

(1) D. T. C. (*Alexandrie*) c. 797 + D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 361 , 362 , 367 + Musset, *o. c.*, *II*, 49—55 , 151—153.

باباذوبولس (السابق الذكر) + النخبة (من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي) ص ١٣١ وما يليها + الاجتهاد، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ١١٤

الاخرى اذا اراد، ثم تمنى اخيراً ان يكون اتحاد الكنائس على اساس تقليد الرسولين بطرس وبولس والمجامع المسكونية السبعة .

واذ توفي هذا البطريرك فرغ الكرسي الاسكندري نحو ٢٠ شهراً . ثم انتُخب الراهب سلفسترس الكريتي بطريركاً في شهر نيسان من سنة ١٥٦٩ . واستمرَّت بطريركيته احدى وعشرين سنة (١٥٦٩ — ١٥٩٠). وقد رزقه الله مساعداً كبيراً في شخص ملاتيوس بيغاس الذي لعب دور خطيراً في العالم الارثوذكسي في ذلك الزمان، وامتزج تاريخه بتاريخ البطريرك .

إن بيغاس هذا وُلد في كريت سنة ١٥٤٩ ودرس هناك اللاتينية فضلاً عن لغته اليونانية . ثم ذهب الى مدينة البندقية (Venise) للدرس واخيراً الى جامعة بادوا (Padoue) وكلاهما من ايطاليا . ولما اتمّ علومه قدَّمت له هذه الجامعة كرسياً للتعليم فيها على شرط ان يقبل المجمع الفلورنتيني . فرفض بيغاس وعاد الى وطنه كريت حيث لبس الثوب الرهباني وتفرَّغ للوعظ، واخذ يندّد باللاتين زاعماً انهم يريدون ان يستعبدوا الكنيسة الشرقية، فطُرِد من الجزيرة (لانها كانت تحت حكم اللاتين) . فانطلق الى مصر ثم الى جبل سيناء . ثم رافق البطريرك الاسكندري سلفسترس سنة ١٥٧٩ في سفرة له الى فلسطين لتهنئة صفرونيوس بطريرك المدينة المقدسة الجديد . ومنذئذٍ فيما يظهر تعلق بيغاس بكنيسة الاسكندرية، فرسمه البطريرك كاهناً بروتوسنجلوس (ملازماً اول) واقامه مديراً لغرفته .

واذ ارسل البابا غريغوريوس الثالث عشر بعض الرهبان اليسوعيين الى الشرق سنة ١٥٨٣ وعرض على البطريرك القسطنطيني ارميا الثاني نشر الحساب الجديد رفض هذا البطريرك مع البطريرك سلفسترس الاسكندري قبول هذا الحساب ووكلا الى ملاتيوس بيغاس ان يورد اسباباً علمية لهذا الرفض .

فاوردها بيغاس في كتاب له وجّهه الى بطريركه الخاص ودعاه (Τόμος 'Αελξανδρῖνος) وهي مناقضة الحساب الجديد (على زعمه) ١) لرسوم الكنيسة القديمة فيما يتعلق بعيد الفصح ٢) للقانون ٧ من القوانين الرسولية ٣) لقرار المجمع المسكوني الاول ٤) للقانون ١ من قوانين مجمع انطاكية (٣٤١) الذي ينهى عن اقامة الفصح مع اليهود.

ولم يكتفِ بيغاس بذلك بل اراد ان يصرف الروس ايضاً عن قبول الحساب الجديد لا لاسباب علمية صحيحة بل لكره اللاتين الذين كان يريد ان يقاومهم ويمنع انتشار نفوذهم في الشرق . فازداد بذلك نفوذه عند الارثوذكس .

وبعد ذلك انطلق البطريرك سلفسترس لزيارة جبل آثوس، فتمكن من فك عدّة مشاكل هناك وخصوصاً من تجديد العيشة المشتركة في دير القديس اثناسيوس وغيره . ثم قام بزيارة رهبان بطمس وميتيليني وطرابزون.

وفي تلك الاثناء كان الكاهن بيغاس يتألم في مصر من غياب بطريركه ويواظب مع ذاك على تأليف مصنفات لاهوتية . فلما رجع البطريرك وجد رجلًا روسياً ينتظره فقدّم له هدية مالية وسأله ان يعطيه رجلًا يحسن اللاتينية ليترجم كتاباً بهذه اللغة يتعلق بالمجمع الفلورنتيني أُرسل من رومة الى موسكو . فرسم البطريرك الكاهن بيغاس ارشمندريتاً وارسله معه لذلك . ثم طالت غيبة هذا الارشمندريت كثيراً[1] . ومرض البطريرك سلفسترس فانطلق الى جزيرة رودس لمعالجة صحته . ومن هناك اخذ يراسل بيغاس ويلحّ عليه

(١) لانه عرّج في طريقه على القسطنطينية ثم جال في بلاد تراقيا وفي آسيا الصغرى مدافعاً عن اصحابه ومحارباً في سبيل الارثوذكسية ضد اليسوعيين وغيرهم .

ليرضى ان يكون خلفاً له في كرسي الاسكندرية . فلم يرضَ . وانما قبل ان يكون نائباً له . ثم استلم النيابة سنة ١٥٨٨ وبقي فيها سنتين مواظباً على تأليف مصنَّفات عقلية منها مقالة ضد لوتيروس وكاوينوس . واذ توفي سلفسترس سنة ١٥٩٠ اصبح النائب ملاتيوس بيغاس بطريركاً اسكندرياً (١٥٩٠-١٦٠٢) .

لم تستمرَّ بطريركية بيغاس هذا اكثر من ١٢ سنة ولكنها كانت مملوءة من الاعمال الكهنوتية . وقد كثرت المصاعب امامه، ولكنه عرف ان يذلِّلها كلها . وامتد عمله الكهنوتي الى العالم الارثوذكسي باسره تقريباً : فبطريركيته الاسكندرية التي احسن سياستها واعلى نفوذها

وكنيسة جبل سيناء التي حاربها (١) ،

وكنيسة جزيرة قبرس التي عُني بامورها ،

والبطريركية المسكونية التي كثيراً ما خدمها وحلَّ مشاكلها ،

وجزيرة كريت وطنه التي شرفها وحلَّ بعض المسائل الدقيقة المتعلقة بها ،

وكنيسة روسيا التي ساعد على انشاء بطريركية لها ،

وكنيسة بولونيا الارثوذكسية التي كثيراً ما دافع عنها ،

كل ذلك شهد اعمال غيرته . فكان بيغاس بصفاته الشخصية الممتازة وعلومه العالية وحكمته الجزيلة رجل الارثوذكسية الاوحد وفكَّاك المشاكل العام . واذ توفي فجأة البطريرك القسطنطيني ثاوفانس سنة ١٥٩٧ دُعي بيغاس الى ان يخلفه . فأبى . وانما رضي ان يكون فقط « رقيباً على الكرسي البطريركي » . وفي منصبه هذا قاوم السيمونية ورسم قوانين لرهبان جبل

(٢) لاجل تعدّيها على حقوقه الراعوية في القاهرة كما سنذكره .

آثوس ولرهبان دير القديس يوحنا الحبيب في جزيرة بطمس . ولازم الوعظ والارشاد . ثم عضد كيرلس لوكاريس في مقاومته لليسوعيين ببولونيا وعارض الدعاية اللاتينية في كل مكان ، وأنشأ علاقات قويّة مع ممثلي انكلترا لدى الباب العالي ، مما كان سبباً لاتهامه بالميل الى الانكليكان .

واذ عاد الى الاسكندرية تلقى سنة ١٥٩٩ رسالة من مجمع لوتيراني عُقد في ڤيلنا (ببولونيا) يدعو البطريرك الى الاتحاد مع اللوتيرانيين البروتسطان . فاجاب البطريرك بجواب لم يصل الى اصحابه ويُظَنّ بصواب انه كان ضد ذلك الاتحاد .

اما بيغاس فقد نهكت قواه كثرة الاشغال والاسفار والمتاعب . واذ شعر بدنو اجله استدعى اليه كيرلس لوكاريس ابن اخته وعيَّنه خلفاً له . فلم يمرّ يومان على وصول لوكاريس الى مصر حتى تُوفي البطريرك خاله في ١٣ ايلول سنة ١٦٠٢ مع انه لم يتجاوز الثانية والخمسين من عمره .

وقد كان كما رأيت رجل الارثوذكسية الاوحد في زمانه . ولو انه عرف ان يتساهل قليلاً ويخفّف من التعصب لارثوذكسيته (اي جنسيته اليونانية) الخاصّة لاصبح رسول الاتحاد الاكبر او على الاقل احد رسل الاتحاد اللامعين الخالدين !

اما كيرلس لوكاريس فقد تقلّد البطريركية حالاً بعد خاله ، وبقي فيها نحو عشرين سنة (١٦٠٢ — ١٦٢١) ثم انتقل الى الكرسي القسطنطيني . واذ كان قد تشرَّب التعاليم الكلوينية منذ الصغر حاول ان ينشرها في الكنيسة الارثوذكسية بمساعدة سفراء الدول البروتسطانية لدى الباب العالي . فكان عهده عهد اضطراب في جميع كنائس الشرق الارثوذكسية . وقد جلس على العرش القسطنطيني ست مرات (١٦١٢ و ١٦٢٠ — ٢٣ و ١٦٢٣ — ٣٠

و١٦٣٣ — ٣٤ و١٦٣٤ — ٣٥ و١٦٣٧ — ٣٨) مما لا مثيل له في التاريخ ، واخيراً أميت قتلاً كما ذكرنا ذلك سابقاً (عد ٢١٨) .

بعد انتقال لوكاريس الى الكرسي القسطنطيني أقيم على الكرسي الاسكندري جراسيموس الاول الذي دامت بطريركيته ١٥ سنة (١٦٢١— ١٦٣٦) واعترف بعقيدة الحبل بلا دنس متأثراً من تعليم اللاتين (على ما زعم المؤرخ اليوناني خريسوستومس پاپاذوپولس) .

وقام بعده مطروفانس كريتوپولس الذي استمرّت بطريركيته ثلاث سنوات فقط (١٦٣٦ — ١٦٣٩) . ومع انه كان مشرباً حب المذهب البروتسطاني قد وقّع سنة ١٦٣٨ اعمال المجمع القسطنطيني الذي نبذ وحرم اضاليل كيرلس لوكاريس البروتسطانية .

اما خلفه نيكيفورس (١٦٣٩ — ١٦٤٥) فقد اختلف هو ورهبان دير سيناء : لانهم اخذوا يقيمون القداس ويلبّون الصينية (في الوكالة التي لهم بالقاهرة) دون اذن البطريرك الاسكندري .

واتصل الخلاف المذكور الى يوانيكيوس الذي قام بعد نيكيفورس واستمرّت بطريركيته ١٢ سنة (١٦٤٥ — ١٦٥٧) . ولم يُفَضّ المشكل تماماً الّا بعد مدة طويلة جداً اي في عصرنا الحاضر : فان البطريرك الاسكندري ملاتيوس متاكساكيس هو الذي وضع حداً لتلك الحالة الشاذة سنة ١٩٣٢ بابرامه مع برفيريوس مطران جبل سيناء اتفاقية هذه اهم بنودها :

« ان كرسي المطرانية السينائية هو دير جبل سيناء . ولهذا الدير الحق ان يكون له في القاهرة وكالة يسكنها ثلاثة رهبان . للبطريرك الاسكندري الحق ان يطلب تغيير هؤلاء الرهبان حالاً ، وهم يكونون مدة اقامتهم في الوكالة المذكورة خاضعين لسلطة المحاكم البطريركية . ليس لمطران سيناء ان يقيم في الاراضي الخاضعة

للبطركية ولا ان يقيم فيها الليتورجيا الا باذن البطريرك ، وعليه حينئذٍ ان يذكر البطريرك في الذبتيخا . الوكالة السينائية التي بالقاهرة الحق ان يكون فيها كنيسة ، بشرط ان تكون هذه الكنيسة خاضعة لمراقبة البطريرك وغير حاملة على الحقوق الراعوية » .

وحسماً لكل خلاف قام البطريرك متاكساكيس في ١٣ ت٢ سنة ١٩٣٢ وكرّس كنيسة الوكالة السينائية ، وكان بمعيته برفيريوس مطران جبل سيناء .

وبعد البطريرك يوانيكيوس انتُخِب بائيسيوس (١٦٥٧ - ١٦٦٧) وهو الذي رأينا (في عدد ٢٢٣) انه رأس (مع البطريرك مكاريوس الانطاكي) مجمع موسكو الكبير الذي ضم ١٥٠ حبراً من الروس و ٢٨ من اليونان و ١١٨ من سواهم ، وعزل نيكون من بطريركية موسكو . ومما نعرفه عن بائيسيوس هذا ان الاب الزيار (Elzéar) الكبوشي سأله صورة ايمان الكنيسة الارثوذكسية ضد الواعظ كلوديوس البروتسطاني .

وقام بعد بائيسيوس برثانيوس الاول الذي استمرت بطريركيته عشر سنوات (١٦٧٨ - ١٦٨٨) وكانت وفاته بالزلزلة التي وقعت في ازمير في ٣٠ حزيران سنة ١٦٨٨

واما آخر هؤلاء البطاركة الاسكندريين اي جراسيموس الثاني الذي يقال له ايضاً جراسيموس بلّاذاس (Παλλάδας) ١٦٨٨ - ١٧١٠ ، فقد نُشر في اثينا سنة ١٨٨٩ التختيكون الذي كتبه سنة ١٧٠٠ وبه نعرف احوال ونظام الكنائس الارثوذكسية الشرقية في ذلك الزمان [1] .

---

(1) Charon, *o. c. III*, 237, 266.

اقامة بطاركة الاسكندرية في القسطنطينية :

٢٢٨ – منذ سنة ١٥١٧ زالت الكنيسة الملكية من الاسكندرية والبلاد المصرية او كادت تزول (D. T. C., ibid.)

ان بطاركتها كثيراً ما اضطُروا ان يقيموا على عهد المماليك بالقاهرة القديمة تحت نظر السلطان . اما اليوم وقد انتقل الحكم الى القسطنطينية فرأوا انفسهم في حاجة ماسَّة الى التردد الى هذه العاصمة الجديدة ، بل الى الاقامة بها غالباً (ان لم نقل دائماً) . ولما كانوا ضيوفاً على اكليرس الفَنار اليوناني الذي كانوا هم سابقاً من اعضائه في الغالب لم يجدوا صعوبة في العيش معه ولا في الخضوع لرئيسه بطريرك القسطنطينية

واليك ما كتب في هذا المعنى المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي مؤرخ الطائفة . قال رحمه الله [١] :

« بواسطة رجال الفنار عظم شأن بطاركة القسطنطينية لدى الباب العالي حتى .. صاروا ينتخبون ويرسمون بطاركة الاسكندرية وبطاركة اورشليم منهم وفيهم اضعف شأن الروم في بلاد مصر وفلسطين . وصار بطاركة الاسكندرية واورشليم يؤثرون الاقامة دائماً في القسطنطينية ليظلوا بحماية بطاركة القسطنطينية وبظل الفنار . وكانوا يحسبون انفسهم باقامتهم هناك اعزَّ مقاماً وانفذ امراً في ابرشياتهم الخاصة ولو كانوا بعيدين عنها ، ولم يكونوا يجدون بأساً مقابل ذلك من خفض جناحهم وتاجهم لبطاركة القسطنطينية ولرجال الفنار الذين كانوا يعتبرونهم حماة الارثوذكسية اليونانية الخاصة»

اخيراً نقول : لما كان بطاركة الاسكندرية – في الحقبة العثمانية – كلهم من العنصر اليوناني اصبحوا كلهم تقريباً من خصوم الاتحاد مع

(٢) تاريخ الطائفة ، ج١ ، ص ٤١٤ و٤١٥

الكنيسة الرومانية ، وتعصَّبوا لبطاركة القسطنطينية تعصباً لا صواب فيه ، وهكذا لسوء الحظ افسدوا الوحدة الجوهرية لكنيسة المسيح !

الفصل السابع

انقسام الملّة الملكية الى طائفتين كاثوليكية وارثوذكسية (١٧٠٠ - ١٧٢٤)

١ً — كنيسة اورشليم

بطاركتها اليونان اعداء الاتحاد - اصل النيابة الكاثوليكية في الكرسي الاورشليمي رجوع ابرشية عكا الى البطريركية الانطاكية عند الكاثوليك .

بطاركتها اليونان اعداء الاتحاد [1] :

٢٢٩ - لآخر مرة نذكر هؤلاء البطاركة في كتابنا هذا ونتكلم عن البطريركية الاورشليمية التي احتكرها العنصر اليوناني كما رأينا (عدد ٢١٧) وانحازت الى شقاق الروم بعد ان استولى عليها هذا العنصر سنة ١٥٣٤ . ولا يزال مسيطراً عليها حتى ايامنا هذه ، فانقطعت بذلك كل علاقة بين الملكيين ورومة .

وقد حلَّ بالكرسي الاورشليمي ما حلَّ بانطاكية ايام حكم البطاركة

(١) الكنائس الشرقية البيزنطية ص٢٧٧-٢٧٩+ D. T. C. (*Jérusalem*) c. 1008

اليونان : هُضِمت حقوق الوطنيين وأُقصوا عن الكراسي الاسقفية وعن ادارة الاوقاف والاماكن المقدسة واضحت البطريركية باجمعها في ايدي اليونان دون سواهم .

فصبر الوطنيون على الضيم ما بقيت البلاد خاضعة لحكم الارهاب والاستبداد على عهد السلاطين الاتراك، الى ان أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ . فنهضوا يطالبون بحقوقهم . واكرهوا البطريرك ذاميانوس والسينودس المقدس على تأليف مجلس مختلط من الوطنيين ورهبان القبر المقدس . فتألف ذلك المجلس سنة ١٩١١ وتوالت اجتماعاته مدة ثلاث سنوات ، الّا أن قراراته بقيت حبراً على ورق .

وقد عاد الوطنيون في ايلول سنة ١٩٣١ على اثر وفــاة البطريرك ذاميانوس يطالبون بالكرسي البطريركي والكراسي الاسقفية ، وبحق الاشتراك في انتخاب البطريرك وادارة الاوقاف ، والى الآن لم يستفيدوا شيئاً لانّ اليونان اشدّاء ، ولان الوطنيين غير متفقي الكلمة [١] .

اصل النيابة البطريركية الكاثوليكية في الكرسي الاورشليمي :

٢٣٠ — في سنة ١٧١٥ كان عدد الكراسي الاسقفية في بطريركية اورشليم اربعة عشر ، بحسب « التختيكون » اي لائحة التنظيم التي نشرها خريسانثوس بطريرك المدينة المقدسة (١٧٠٧ — ١٧٣١) وهو البطريرك الوحيد الذي قام ، في الحقبة التي وصلنا اليهــا ، بعد البطريرك دوسيثاس الثاني الذي ذُكر في الفصل السابق . واليك اسامي هذه الكراسي بحسب

(١) طالع كتاب شحــادة ونقولا خوري : خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ١٦٥ وما يليها .

الترتيب المجمعي الذي وضعه خريسانثوس المذكور في شهر نيسان سنة ١٧٠٩ بمدينة اورشليم :

قيصرية	غزّة
بيت شان (بيسان)	سيناء
بطرة	يافا
بطلمايس (اي عكا)	نابلس
بيت لحم	سبسطية
الناصرة	جبل ثابور
اللدّ	فيلدلفيا (اي عمّان)

غير انه يتعذر علينا ان نميّز بين ما كان فعلياً من تلك الكراسي وبين ما كان منها فخرياً فقط . ونظن ان نصفها او اقل من النصف كان فعلياً . وعلى كلٍّ كان مطارنة بطريركية اورشليم يقيمون بالقدس الشريف (او بالوكالات التي للقبر المقدس في القسطنطينية او في روسيا) لا في المدن التي يحملون اسمها ويُنسبون اليها ، لانها كانت خراباً او ليس فيها من النصارى الروم من يمكنهم ان يقوموا بشأن المطران على وجه يليق بمقامه [1] .

مع ذلك يسوغ ان نقول ان عدداً يسيراً من المؤمنين الفلسطينيين انفصل عن كنيسة اورشليم الارثوذكسية وانحاز الى الكثلكة . وازداد هذا العدد بمن هاجر فيما بعد الى فلسطين من ابناء البطريركية الانطاكية ، كما سنذكره في الكلام على اضطهاد سلفسترس القبرسي [2] . فلزم ان نهتم

(١) الاب قسطنطين الباشا المخلصي ، تاريخ الطائفة ، ج ١ ص ٧٩

(٢) سلفسترس القبرسي (١٧٢٤ - ١٧٦٦) هو اول بطريرك ارثوذكسي قام على الكرسي الانطاكي بعد انقسام الملة الى طائفتين كاثوليكية وارثوذكسية واضطهد الكاثوليكيين اضطهاداً شديداً .

بهم الكنيسة الكاثوليكية وتقيم لهم رعاة يسهرون على نفوسهم . وهذا ما فعلته . فجعلتهم اولًا تحت ادارة رهبان الارض المقدسة اي الفرنسيسكان الى ان فوّض امرهم اخيراً الى بطريرك انطاكية الملكي الكاثوليكي سنة ١٧٧٢ [1] ، وتألّفت منهم النيابة البطريركية الكاثوليكية في الكرسي الاورشليمي ، كما سنبينه ، ان اراد الرب ، في المجلد الثالث والاخير من كتابنا هذا .

رجوع ابرشية عكا الى الكرسي الانطاكي عند الكاثوليك :

٢٣١ — ان ابرشية عكا كانت دوماً تابعة للبطريركية الانطاكية . وكان اسقفها بحسب الرسم القديم خاضعاً لمتروبوليت صور ايضاً . غير انها بسبب الخراب الذي اصابها في القرن الثالث عشر من جرى الحروب الصليبية [2] قام فيما بعد البطريرك الانطاكي اغناطيوس عطية (١٦٢٠ — ١٦٣٤) ووهبها في الربع الاول من القرن السابع عشر لزميله ثاوفانس الثالث (١٦٠٨ — ١٦٤٥) بطريرك اورشليم . وبقيت في حوزة البطريركية الاورشليمية نحو مئة سنة (١٦٢١ ـ ١٧٢١؟) [3]

بيد انها لم تلبث ان رجعت الى حضن الكنيسة الكاثوليكية والى دائرة امها البطريركية الانطاكية في اوائل القرن ١٨ ، وذلك بعناية المرسلين الاولين من الرهبان المخلصيين وعناية مؤسسهم السعيد الذكر افتيميوس الصيفي متروبوليت صور وصيدا الذي صار في اواخر ايام حياته

(1) Charon, *o. c. III.* 268, 269

(2) D. H. G. E, (*Acre*) *c.* 369—375

(٣) الاب قسطنطين الباشا المخلصي ، تاريخ الطائفة ج ١ ، ص ٩٧ و٩٨ و٢٧٧ و٣٦٩ وما يليها + Charon, *o. c.* , *III* , 269

يضي هكذا : « مطران صور وصيدا وعكا » . وقد احتمل في سبيل ذلك هو وابناؤه ومعاونوه الكاثوليك ما احتملوا من الضيق والاهانة والظلم وخسارة الاموال[1] . . .

---

(١) واليك قطعة من رسالة له الى مجمع انتشار الايمان ، قال فيها (بلهجته العامية الطريفة) ما يلي : «ان بطرك القدس اتفق مع توماز قنصل الانكليز في عكا علينا . . وبعد خروجنا من عكا ارسل البطرك (اليها) مطراناً من عنده . . . فالذين طاعوا رأيه . . . عفى عنهم . . . والذين خالفوا رايه . . . صاروا تحت غيظه وغيظ قنصل الانكليز . . . ولحق الكاثوليك المذكورين ضيق وشدة وضرب وحبوس (وغرامات) وختموا بيوت الكهنة والعوام وسحبوا عليهم السلاح في وسط الكنيسة وضربوهم بالبوابيج ! وقوم منهم هربوا الى القرايا . وقوم آخرون اجوا لعندي . وواحد منهم حطوا في رقبته الحبل ودوروه في المدينة لكي يشنقوه . وما (عفا) عنه المطران والقنصل . . . حتى قدمت للحاكم اربعمئة قرش (نحو الفي ليرة لبنانية) . . .

واستقاموا (الكاثوليكيون) في ضيق عظيم . . . صابرين مثل الشهداء لاجل انتصار الايمان . وفي غضون هذه الاشياء الخواجا موسى بلان (Blanc) (وكيل قنصل) الفرنساوية في عكا غار غيرة عظيمة ونزل الى صيدا واشتكى الى الباشا ورفع عن المؤمنين الذل الذي كانوا فيه ودفع الى الباشا الف وستماية قرش (اي اكثر من سبعة آلاف ليرة لبنانية) حتى قدر رفع يد قنصل الانكليز عن الكاثوليك خادمين الاله العلي وتابعين الكنيسة المقدسة . . . » . واليك قطعة اخرى من رئيس الفرنسيسكان :

« واما الروم الكاثوليك فلم يبلغني عددهم بالدقة كما بلغني ان عدد كهنتهم ثمانية فقط . منهم اثنان اصلها من الجبل (من القرى) قد ارتدوا من زمن وجيز . واثنان من هؤلاء الخوري صالح (فينان) والخوري فراج (نصر) بذلا كل جهدهما ليجتذبا المؤمنين الى حضور قداسها عندما يكون كهنة الروم المنفصلين يحتفلون بالقداس الالهي : وهذا سبب لهما منذ ثلاثة عشر شهراً اضطهاداً شديداً حتى ان مطران الروم المنفصلين رشقهما بالحرم فالتزما ان يفرا الى صيدا . وبعد هذا الاضطهاد لم يقدر رهباننا يذهبون الى بيوت الروم ولو كانوا كاثوليكيين . . . . »

وقد تبع ابرشية عكا كرسي الناصرة وبلاد الجليل وبلاد صفد وابرشية قيصرية فلسطين التي كان مطرانها قديماً صاحب الكرسي الاول في البطريركية الاورشليمية ولم يكن باقياً منها لذلك العهد الا بعض آثارها

ولما اصبح في مدينة عكا وبعض القرى المجاورة لها قسم صالح من الروم الذين جاهروا باتباع الايمان الكاثوليكي كهنة وشعباً بفضل غيرة المطران افثيميوس الصيفي وتلاميذه المخلصيين ومعاونيهم من الرهبان الفرنسيسكان والخوارنة الوطنيين سعى هذا المطران في انتخاب اسقفٍ لهم ورشَّح لذلك ابن اخته الخوري سرافيم طاناس المخلصي . لكنه لم يتوفق في مسعاه : اذ ان البطريرك الاورشليمي خريسانثوس (الذي كانت ابرشية عكا خاضعة له يومئذٍ) ابى ان يرسمه لانه كاثوليكي ورسم بدلًا منه فوتيوس عبد النور من خصوم الاتحاد[1] .

ولم يقم مطران كاثوليكي على عكا الَّا سنة ١٧٥٩ ، كما سنرى ذلك فيما بعد . وهكذا انقسمت الابرشية العكاوية الى فرعين : فرع كاثوليكي تابع لبطريركية انطاكية ، وفرع ارثوذكسي تبع ولا يزال الى اليوم تابعاً للكرسي الاورشليمي الارثوذكسي .

---

(١) ولتحقيق ما ورد هنا عن ابرشية عكا راجع الجزء ١ من تاريخ الطائفة (للمرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي) ص ٣٦٩ - ٣٨٦ .

٢ً ـ كنيسة انطاكية

تنازع على البطريركية – نمو الكثلكة – رسل جُدُد للاتحاد (الرهبان المخلصيون والشويريون وتلاميذ رومة) – هل كان البطريركان كيرلس الحلبي واثناسيوس الدباس كاثوليكيَّيْن – افثيميوس الصيفي – انفصال الكاثوليك والارثوذكس سنة ١٧٢٤ – الكثبة الملكيون .

تنازع على البطريركية (١) :

٢٣٢ – وقع هذا التنازع بين كيرلس الخامس الزعيم (١٦٧٢–١٧٢٠)، وناوفيطوس الصاقزي (١٦٧٢ – ١٢٨٢) واثناسيوس الثالث الدباس (١٦٨٥ – ١٦٩٤ و ١٧٢٠ – ١٧٢٤) واليك بيان ذلك :

بعد وفاة البطريرك مكاريوس الحلبي التي وقفنا عندها في الفصل السابق (١٢ حزيران سنة ١٦٧٢ على الحساب الشرقي) قام الحزب المعارض لاسرته، واستدعى على وجه السرعة ناوفيطوس الصاقزي اسقف حماة وابن اخت البطريرك افثيميوس الصاقزي ، وذلك بحجة ان يدبر البطريركية الى ان يقام بطريرك جديد ، وكانوا يرجون ان يكون هو ذلك البطريرك الجديد الاصيل[٢] لانه افضل مطارنة ذلك الزمان علماً وخبرة بامور البطريركية .

غير ان الشماس حنانيا حفيد البطريرك المتوفى والابن الاكبر للشماس بولس الحلبي سعى ان يكون بطريركاً اخوه الاصغر الشماس قسطنطين الذي كان جدّه مكاريوس الحلبي الزعيم يرشحه لذلك . وبفضل ما كان لحنانيا من

(١) الاب قسطنطين الباشا (تاريخ الطائفة)، ج ١، ص ٧٢ – ٧٩ و ١٢٦ – ١٠٩
(2) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 643, 644

النفوذ ، وما بذل من مال البطريركية لوالي الشام والقاضي وذوي الشأن فيها ، وبفضل ما ترك جدّه مكاريوس من الاثر الحسن في البطريركية تكلّل سعيه بالنجاح ، فسيم الشماس قسطنطين بطريركاً في كنيسة بيروت بوضع يد غريغوريوس مطران حوران ومعاونة اسقفي صيدنايا ومعلولا [١] في ٢ تموز سنة ١٦٧٢ [٢] وكان يافعاً لم يبلغ عمره الحادية والعشرين ، ودُعِي اسمه كيرلس الخامس وساس الرعية حتى ت٢ من السنة نفسها .

وفي تلك الاثناء اجتمع حزب المعارضة (في ٢٨ آب سنة ١٦٧٢) [٢] ببيروت ورفعوا الامر الى بطريرك القسطنطينية ديونيسيوس الرابع . فعقد هذا البطريرك في ت٢ من السنة المذكورة مجمعاً من البطاركة والمطارنة المقيمين هناك وفيهم البطريرك دوسيتاوس الاورشليمي خصم كيرلس الزعيم ، وحكموا بحط كيرلس هذا من البطريركية لصغر سنّه ولرَشْوِهِ الحكام المدنيين . ثم رشَّحوا للبطريركية ثلاثة اشخاص منهم ناوفيطوس مطران حماة الذي نال اكثرية الاصوت ، فسلّموه صكاً بالبطريركية ونالوا له براءة سلطانية بها . وعاد الى دمشق واستولى على البطريركية بموجب الفرمان الذي بيده فيها . وكان كيرلس غائباً عن دمشق . فعاد اليها حالاً وعلق النزاع بينهما . واشتدّت الفتن الى اشنع ما يكون . وطالت المنازعات بينهما عشر سنوات (١٦٧٢ — ١٦٨٢) . وفي آخر الامر تغلّب كيرلس على خصمه اذ تراكمت الديون كثيراً على ناوفيطوس وشاخ وضعف جسمه وعزمه ، فاضطُرَّ ان يتنازل عن دعواه بالبطريركية ، على شرط ان يوفي

(١) هذا عن مؤلف الاب الباشا المذكور ، ص٧٢ . اما معجم التاريخ D. H. G. E. فيقول « بوضع يد اسقف صيدنايا ومعاونة اسقفي الزبداني ومعلولا » : (Ibid.)

(٢) على الحساب الشرقي .

كيرلس ما عليه من الديون ويعطيه ابرشية اللاذقية (التي كانت مترملة حينئذٍ بوفاة راعيها) وان يُحفَظ له لقب البطريرك شرفاً . ثم تُوفي ناوفيطوس بعد ذلك بنحو اربع سنوات [١] .

ولم يكد كيرلس يخلص من منازع حتى اتاه منازع آخر بعد اقلّ من اربع سنوات ، ألا وهو بروكوبيوس [٢] الدبّاس الدمشقي الاصل احد رهبان دير القديس سابا (في فلسطين) الذي ورد على دمشق في حاجة له [٣] . فدعاه كيرلس اليه وعرض عليه ان يقيمه اسقفاً على حَلَب (وكانت يومئذٍ مترملة بوفاة راعيها) فرضي الراهب . ثم شعر بالامر قوم من ذوي المآرب فراجعوا البطريرك وغيّروا عزمه [٤] .

وكان للراهب المذكور خال يقال له ميخائيل الخياط من ذوي الوجاهة . فلما بلغه ذلك طيَّب قلب بروكوبيوس . وكان ميخائيل على أهبة التوجه الى القسطنطينية مع احد الأغوات . فلما وصل الى هذه العاصمة

---

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور، ص ٧٨ (٢) وقيل بائيسيوس .

(٣) الحقائق الوضية (او تاريخ الخوري ميخائيل بريك) ص ٦٠

(٤) هذا ما قاله الخوري ميخائيل بريك (في الموضع المذكور قبيله هنا) . وعندنا رواية اخرى لمؤرخ مجهول ربما كانت اقرب الى الصواب . وهذه خلاصتها : وفد جماعة من وجهاء حلب لزيارة اورشليم ثم زاروا راهباً دمشقياً مليح الصفات يقال له ابن الدباس . فاحبوا ان يجعلوه مطراناً عليهم لان اسقفهم كان قد توفي من عهد قريب . وجاءوا به الى دمشق وكلموا البطريرك كيرلس في شأنه . فسألهم البطريرك ان يؤدوا له عن ذلك مبلغاً جسيماً من المال . فلما سمعوا ذلك نفروا نفرة شديدة وخرجوا لساعتهم من عنده وقد اضمروا له الكيد . ثم سعوا ونالوا البطريركية للراهب ابن الدباس المذكور وذلك على يد خاله ميخائيل الخياط (الذي سيذكر في المتن) . . . (طالع مؤلف الاب الباشا المذكور ، ص ١٣٥ و ١٣٦) .

اخوج لابن اخته براءة سلطانية ببطريركية انطاكية . واذ عاد الى دمشق سجّل البراءة المذكورة بامر الحاكم والقاضي . ثم استمال اليه ثلاثة اساقفة : لاونديوس مطران صيدنايا ويواصف مطران نابلس (في شمال حوران ؟) ثم متروبوليت بصرى وحوران . فسامَوا بروكوبيوس بطريركاً ونصبوه في ٢٥ حزيران سنة ١٦٨٥ (على الحساب الشرقي) باسم اثناسيوس الثالث الدباس D. H. G. E. فانتشبت الفتنة من جديد وثارت الخصومات والمنازعات . . . وانشقّت الرعية حزبين . . . ووقعت على الفريقين مظالم ومغارم لا تحصى . . .

وإذ خشي اثناسيوس ان لا يقوى على خصمه وذكر انه قد تربّى منذ صغره على المذهب الكاثوليكي في مدرسة الآباء اليسوعيين بدمشق ارسل الى رومة (في ٤ تموز سنة ١٦٨٦) صورة ايمانه زاعماً انه كان كاثوليكي المذهب سرّاً وعلانية ، وانه كان تابعاً لمذهب الكنيسة الرومانية وخاضعاً لرأسها الحبر الاعظم قبل ان صار بطريركاً على انطاكية . ثم لجأ الى الآباء الفرنسيسكان الذين كانوا اصدقاء له منذ كان في فلسطين (وهم الذين اشاروا على وجهاء حلب النصارى بانتخابه اولاً اسقفاً لهم) . فعضدوه « وساعدوه حيث كانوا وحيث كان يلزم له مساعدة مع قناصل الدول الكاثوليكية في دمشق وحلب وطرابلس والقسطنطينية » [١] . وساعدوه خصوصاً في رومة حتى نالوا له من مجمع انتشار الايمان التثبيت في البطريركية (في ١٦ حزيران سنة ١٦٨٧) والتفسيح من كل الموانع التي يمكنها ان تحول بينها وبينه ، مع انه لم يكن افضل من خصمه كيرلس بشيء من الاشياء [٢] .

---

(١) مؤلف الاب الباشا ج ١ ، ص ١٦١ + Docum. Rabbat, II, 106

(2) D. H. G. E., ibid + الاب الباشا ، ١ : ٦٠٠ و ٦٠١

واستمرَّ النزاع بين الاثنين نحو تسع سنوات (١٦٨٥ – ١٦٩٤) . واخيراً فاز كيرلس على خصمه واستولى على البطريركية . اما اثناسيوس فأُعطي كرسي حلب وحُفِظ له لقب البطريرك شرفاً . فلما بلغ الامر الى مجمع انتشار الايمان لم يكن مسروراً . ولكن اثناسيوس لم يستطع حينئذٍ ان يعمل غير ما عمل . وجعل مقرَّهُ في حلب، وتصرَّف في كنيستها التصرف المطلق مع وجود اسقفٍ لها . وسنرى ما وقع له فيما بعد .

نمو الكثلكة :

٢٣٣ – واعلم انه منذ سنة ١٦٨٧ السابقة الذكر ، وهي سنة تثبيت البطريرك اثناسيوس الثالث الدبأس في رومة ، صارت فرقة الروم التابعة جهراً لايمان الكنيسة الرومانية تدعى فرقة او طائفة الروم الكاثوليك . ومنذئذٍ تخصَّص بها هذا الاسم الشامل لكل المسيحيين المنتشرين في كل اقطار المسكونة الخاضعين لرأس واحد وهو الحبر الروماني [١] .

وفي ذلك الزمان كانت الكثلكة آخذة في النمو المتواصل في البطريركية الانطاكية وسواها [٢] . واستمرَّت حلب ودمشق مركزَين خطيرين للرسالة الكاثوليكية [٣] . واليك خلاصة ما كتبه في هذا المعنى المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي . قال [٤] :

الى سنة ١٧٢٤ كان الروم الكاثوليك (في ابرشيات بيروت، وطرابلس، وحمص ، واللاذقية) قسماً عظيماً من الروم مجاهراً باتباع الايمان الكاثوليكي

(١) الاب الباشا (تاريخ الطائفة) ، ج ١ ، ص ٧٩ و ١٤٣ ، ج ٢ ، ص ٥٥ وما يليها . (٢) مؤلف الاب الباشا المذكور ١ : ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ . (٣) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 645

(٤) مؤلف الاب الباشا المذكور، ج ٢ ، ص ٦٤

– اما في دمشق (كرسي البطريركية الانطاكية) وفي صيدنايا وجبل القلمون وحوران وبعلبك ، فكانوا اكثرية الروم الساحقة . – واما في ابرشيتيَ حلب ، وصور وصيدا ، فكانوا الكل في الكل الّا ما ندر .

واما بعد سنة ١٧٢٤ فقد تبدلت الحال اذ هز شيطان الاضطهاد والخوف كثيرين فسقطوا تحت الغربال . ولولا تباريح هذا الاضطهاد الشديد الطويل (١٧٢٤ – ١٨٤٨) لكان الروم الكاثوليك اضعاف ما هم عليه اليوم .

اما الاساقفة فنرى منهم :

			سنة
افثيميوس الصيفي متروبوليت صور وصيدا يبعث بصورة ايمانه الى رومة			١٦٨٣
غريغوريوس اسقف حلب	«	«	١٦٩٨
مكاريوس اسقف طرابلس	«	«	١٦٩٨
برثانيوس اسقف بعلبك	«	«	١٧٠١
سلفسترس الدهان (متروبوليت بيروت)	«	«	١٧٠١
جراسيموس اسقف صيدنايا	«	«	١٧١٦
اثناسيوس متروبوليت دياربكر [1]	«	«	١٧١٧

غير ان افثيميوس الصيفي (اول هؤلاء الاساقفة) فاقهم جميعاً بالغيرة . فطلب ونال من الكرسي الرسولي (في ٦ ك ١ سنة ١٧٠١) تفويضاً به أقيم مدبراً رسولياً لجميع الملكيين المنتشرين في البطريركية الانطاكية حيث لا يوجد اسقف كاثوليكي [1]. وهذا التفويض – ولو أنه بقي خفياً مستوراً –

(١) الاجتهاد في سبيل الاتحاد ص ١١٨ + مؤلف الاب الباشا المذكور ج ١ ، ص١٠٦

عمل به افثيميوس بغيرة لا تعرف الملل كما سنرى .

اما الخطة التي سار عليها المرسلون الافرنج عموماً واليسوعيون منهم خصوصاً فهي هذه : اجتهدوا اولاً ان يستميلوا الى الاتحاد اساقفة الابرشيات دون ان يطلبوا منهم الانفصال عن البطريركية ثم أجلوا اعلان الاتحاد الى فرصة موافقة . تلك كانت الخطة التي نجحت مع الروتان سنة ١٥٩٥ ، وهي التي ستنجح مع الروم الكاثوليك كما سنبينه في موضعه

رسل جدد للاتحاد (الرهبان المخلصيون والشويريون وتلاميذ رومة) :

٢٣٤ — ان نشر الاتحاد بين الملكيين [2] كان لا بد له من مرسلين ومرسلين ملكيين ، ولم يكن كافياً وجود كهنة من الاكليرس العلماني المتزوج (اذ كان ينقص هذا الاكليرس العلم والثقافة المطلوبة) ولا وجود المرسلين اللاتين في الشرق لان هؤلاء المرسلين كانوا يمارسون رسالتهم في هذه البلاد من باب التسامح والانعام فقط ، ولم يكن لهم حق في ذلك . ولذا كثيراً ما كان سفراء دول الغرب وقناصلها يردعونهم عن الغلوّ والتطرف في ممارسة واجبات الرسالة مخافة ان لا يعودوا يستطيعون حمايتهم ..

على كل كان اختلاف الطقس حاجزاً حصيناً بينهم وبين الشرقيين ، وكانت الحالة الرهبانية في الشرق على اسوإ ما يمكن من الانحطاط .

غير ان الله الذي في يده كل شيء قد مكن المطران افثيميوس الصيفي من تلافي هذا الامر . فان هذا الحبر السعيد الذكر جمع عنده في مدينة صيدا قبل سنة ١٦٨٥ (اي منذ اوائل حبريته) عدداً من الشبان والكهنة

---

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور ، ج ١ ، ص ١٧٥ وما يليها

(2) D. H. G. E , loc. cit.

جعلهم رهباناً مرسلين ، واخذ يثقفهم بذاته ويعيش معهم عيشة مشتركة . ولما ضاقت بهم دار المطران في صيدا اخذ يشيد لهم دير المخلص في جبل لبنان على مسافة ١٦ كيلو متراً الى الشمال الشرقي من صيدا . وقد فرغ من بنائه سنة ١٧١١ ومن بناء كنيسته الفخمة سنة ١٧٢٠ . وهذا الدير كان مهد الرهبانية المخلصية [١] ومنه خرج عدد كبير من الرسل الجدد الذين نشروا الاتحاد بين الروم .

ثم انه — مع انحطاط الحياة الرهبانية في الشرق — كان دير البلمند قرب مدينة طرابلس [٢] يحوي في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر عدداً لا يستهان به من رهبان الروم ، وكان رئيس اليسوعيين في طرابلس يزور مراراً كثيرة اولئك الرهبان ويعظهم ويرشدهم . فصار بعضهم يميل الى الاتحاد مع الكرسي الرسولي وبعضهم لا يميل . فلما رأى الرهبان الاتحاديون (وكانوا اقليَّة) انهم لا يستطيعون ان يعيشوا هناك مع الاكثرية التي تميل الى الانفصال غادروا الدير المذكور (وكان عددهم تسعة) واتوا الى الشوير والخنشارة في كسروان من اعمال لبنان وسكنوا دير القديس يوحنا الصابغ واصلحوه لانه كان قريباً من الخراب وكان ذلك سنة ١٧١٠.[٣] وهذا الدير اصبح مهد الرهبانية الشويرية بفرعَيها البلدي والحلبي .

وفي ذلك العهد ايضاً كان مجمع انتشار الايمان يجتهد في الاكثار من التلاميذ الذين كان يطلبهم الى رومة ليتشربوا في مدارسها حقائق الايمان

---

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور ١ : ٢١٠ — ٢٢٠ + ١ : ٦٩٠

(٢) « « ١ : ٣٦٣ وما بعدها

(٣) « « ١ : ٣٦٢ ، ٣٦٠

الكاثوليكي حتى يستطيعوا فيما بعد ان يثقفوا ابناء وطنهم وطائفتهم بطريق الكهنوت [١] . واشهر اولئك التلاميذ سرافيم طاناس ابن اخت المطران افثيميوس الصيفي الذي سيم كاهناً سنة ١٧١١ بعد ان ابرز النذور الرهبانية في دير المخلص ، كسائر الرهبان المخلصيين . وكان سرافيم هذا مرسلاً سيّاراً ساعد كثيراً على نشر الاتحاد في ابرشية عكا التي كانت يومئذ تتعلق ببطريركية اورشليم (كما هي اليوم عند الروم) . فقامت عليه وعلى الحزب الكاثوليكي هناك قيامة البطاركة الشرقيين ولا سيما البطريرك الاورشليمي خريسانثوس نوطاراس عدو الاتحاد ، كما اشرنا الى ذلك فيما سبق(ص١٩٢) .

هل كان البطريركان كيرلس الحلبي واثناسيوس الدباس كاثوليكيين ؟

٢٣٥ – ان استعدادات كيرلس الحلبي الزعيم نحو الكثلكة كانت غير حسنة ، ومنذ سنة ١٦٩٤ اذ اخذ يمارس وحده السلطة البطريركية خارجاً عن حلب (عد ٢٣٢) جعل يمنع عن ممارسة وخدمة الاسرار الكهنة الذين يعلم او يشعر بميلهم الى رومة [٢] .

ولكنه « بعد ان كثر عدد الكاثوليك بين الروم في دمشق وصيدا وصور وبيروت وطرابلس وحلب وغيرها رأى كيرلس من الحكمة ان يخفف العداء لهم خوفاً من ان يفوز عليه بهم البطريرك اثناسيوس » [٣] .

وليس ذلك فقط بل ان كيرلس في السنين الاخيرة من حياته انحاز الى الاتحاد بواسطة المطران افثيميوس الصيفي والقس سرافيم طاناس ورؤساء

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور ١ : ٢٤٢ و ٣٤٤ وما بعدها + D. H. G. E. (c. 646)

(٢) « « ١ : ٢٩٣ D. H. G. E. (*Antioche*) c. 645

(٣) « « ١ : ٢٩٥

الرهبان الفرنسيسكان الذين كثيراً ما كانوا يكلمونه في هذا الشأن، ولاسيما بواسطة صديقه قنصل فرنسا في صيدا السيد پولار (Poullard) الفاضل[١]. فارسل هذا البطريرك سنة ١٧١٦ صورة ايمانه الكاثوليكي الى رومة مع القس سرافيم طاناس المذكور ابن اخت المطران افثيميوس الصيفي. اما رومة فاستصعبت الاعتراف ببطريركيته لانها كانت قد ثبتت (سنة ١٦٨٧) بطريركية خصمه اثناسيوس الثالث الدباس. فالتزمت ان تستدرج اثناسيوس الى تقديم استقالته. ولما تنازل هذا عن حقوقه كتابة[٢] قرّر مجمع انتشار الايمان (في ٩ ايار سنة ١٧١٨) الاعتراف بكيرلس بطريركاً ولو لم يتحقق خلوص انضمامه الى الكثلكة. وفيما هم بين الاخذ والردّ قبل الفراغ تماماً من هذه المسألة توفي كيرلس بدمشق في ٥ ك ٢ سنة ١٧٢٠ (على الحساب الشرقي) وكان قد سيم بطريركاً منذ ٤٨ سنة. ويشك كثير من معاصريه في خلوص كثلكته[٣].

اما اثناسيوس الدبّاس فاقل ما يقال فيه انه كان متردداً حائراً ما بين الكثلكة والشقاق، وعاش طول عمره حائراً يعرج بين الجانبين[٤].

وعند وفاة كيرلس الخامس اذ عادت البطريركية بأسرها اليه استمرَّ يقيم بحلب. وقام ارميا الثالث بطريرك القسطنطينية فوجّه على الاثر براءة الى جميع ابناء البطريركية الانطاكية يحضهم فيها جميعاً على الخضوع لاثناسيوس مما يثبت انه كان منحازاً الى الشقاق القسطنطيني، وانه كان على اتفاق مع

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور ١ : ٢٩٦ وما يليها + ٣١٨ و٣١٩ و٣٢٦ وما يليها
(٢) « « ١ : ٣٠٥ و٣٣٥ و٣٣٧
(٣) « « ١ : ٢٩٣ - ٣٤١ و٣٩٣ - ٤١٢
(4) D. H. G. E. (loc. cit.) c. 646, 647

البطاركة الارثوذكسيين .

وفعلاً نراه (سنة ١٧٢١) ينشر في حلب تعريب كتاب « صخرة الشك » وهو كتاب هرطوقي سعى بطبعه في انكلترا ثم طبعه في روسيا [1] ؛ وفي سنة ١٧٢٢ يوقّع مع خريسانثوس بطريرك اورشليم الارثوذكسي منشوراً طويلاً عُرضت فيه على الشعب المسائل المضادة للمذهب الكاثوليكي . وكان سنة ١٧١٨ قد اشترك مع سائر البطاركة الارثوذكسيين في تحريم كتاب « الدلالة اللامعة » الذي نشره المطران افثيميوس الصيفي دفاعاً عن الكثلكة . ونال فرماناً من السلطان احمد الثالث يمنع فيه الروم عن اتباع البابا (طالع كتاب « الاجتهاد في سبيل الاتحاد » ص ١١٨ و ١١٩) . ومع ذلك كله كان يخاتل المرسلين الافرنج ويوهمهم انه كاثوليكي !

على انه حين حضرته الوفاة اعترف سراً بالايمان الكاثوليكي وتوفي في ٢٤ تموز سنة ١٧٢٤ (على الحساب الشرقي) . وكان قد رسم في حياته ثلاثة اساقفة كاثوليكيين [2] (طالع مؤلف الاب الباشا المذكور ١ : ١٢٦

---

(١) المخطوطات العربية ص ٢٦

(٢) واليك هنا قطعة مما كتبه عنه احد معاصريه ، وهو رئيس الكبوشيين في دمشق ، بتاريخ ٣٠ ك ١ سنة ١٧٢٤ ، قال :

« يقول البعض انه ما كان كاثوليكياً ولو بالظاهر ، بل كان مشاقاً علناً اذ عاش ومات ايضاً مشاقاً . ويقول فريق آخر انه كان في حياته كاثوليكياً مجاهراً . وبعد موته يعتبرونه قديساً وخادماً اميناً للكنيسة . اما انا فليس لي الحق ان ادين احداً . ولكن اقول مع ذلك : بعد السلام على الذين يقولون انه مات كاثوليكياً (اشارة الى رئيس الكبوشيين في حلب الذي قال ان اثناسيوس اعترف بالايمان الكاثوليكي بين يديه) باني لا ادري اي لاهوت اتبعوا : فمن يعتبر تائباً الذي يخطئ علناً ان عمل توبة غير ظاهرة علناً ؟ ألم يخطىء علناً لما حضر وامضى المجمع اللصوصي في القسطنطينية ؟

— ١٥٩ و ٤٢٦ — ٤٣٠ و ٢ : ٥ — ١٣ و ٤٠ — ٥٤ ، ٨٦ — ٩٠)

افثيميوس الصيفي (١٦٤٣ — ١٧٢٣) [1] :

٢٣٦ — ان افثيميوس الصيفي الملقب « بقفة العلم » متروبوليت صور وصيدا ومؤسس الرهبانية المخلصية هو زعيم الكاثوليك في ذلك الزمان وعميد المطارنة الانطاكيين والمدبر الرسولي الذي اقامته رومة على جميع

ألم يخطئ علناً :

اذ ارسل بامضائه واسمه الى رعيته هنا وكل مكان كتباً مسمومة ومهينة للكرسي الرسولي الروماني ؟

واذ الزم كهنته واكليرسه برسائل التهديد ان لا يقبلوا غير المجامع السبعة ؟

واذ عذب بالسجون والقيود اساقفة وكهنة وعلمانيين ؟

واذ انتخب خلفاً له رجلاً مجاهراً بالشقاق ؟

ومن كان سبب خسارة اموال كثيرة ؟

فدمشق تنتحب . وحلب تنتحب . وصيدا تنتحب . وعكا تنتحب . واخيراً كل سوريا تنتحب من جراء هذا البلاء . ويا ليت الذين كانوا سبب كل هذه الشرور لا ينتحبون في الهاوية . فاين ارجاع الاموال ؟ واين كره الذنوب ؟ واين اصلاح الشكوك والرجوع عن الضلال والطغيان ؟ . . . وهل توبة سرية جرت بين جدران الغرفة او اعلنت الى المعرف (اذا كان يصح ان نصدق ذلك) كافية للخلاص ؟ ولا سيما لانه قبل وفاته بايام قليلة حرم كتاباً لاحد الكاثوليك وحرم مؤلفه لانه فنّد المجمع القسطنطيني . لا اجهل انه قال لبعضهم انه لم يحرم تعليم الكتاب بل بعض كلمات من المؤلف مهينة بحقه . ولكن من يسمع ان كتاباً حُرم بدون شرط ولا قيد ولا يعتبر ان تعليم هذا الكتاب ردي ؟ أليس هذا حجة واهية . . . (على كل) فليسامحه الله ! . . . » (الاب الباشا ٢ : ٨٨ ، ٨٩) .

(١) طالع سيرته بقلم المرحوم الاب قسطنطين الباشا المخلصي وهي القسم الاول من تاريخ الطائفة وقد ورد ذكرها مراراً في كتابنا هذا +

D. H. G. E. (*Antioche*) c.615 — 47

الروم الملكيين ابناء البطريركية الانطاكية (حيث لا يوجد اسقف كاثوليكي) وهو من اعظم رسل الاتحاد في الشرق . ويمكن ان نسميه « بطل » الحقبة التي كلامنا فيها :

ولد هذا الحبر الجليل نحو سنة ١٦٤٣ بدمشق . وكان اسم ابيه موسى الصيفي واسم امه كاترينا الدباس . وكان يدعى اولاً ميخائيل . وتتلمذ في المدرسة البطريركية بدمشق لقسيس اسمه جرجس بربق كان قبل مجيئه الى الشام قد زار رومة واخذ من ثم خميرة الايمان وصحة الاعتقاد واظهر ميخائيل منذ حداثته من النجابة والرصانة ما حببه الى القسيس المذكور . فتشرب منه ميخائيل مع مبادئ القراءة والكتابة الايمان الكاثوليكي الحار صافياً لصفاء ذهنه وسريرته . ولما شب على التقوى وحب الدرس بفضل عناية والديه ومعلمه القسيس جرجس المذكور اخذ يتردد الى ديري الكبوشيين واليسوعيين في دمشق ويقتبس منهم علماً وادباً وتقى وغيرة على تعليم الجهال وخلاص النفوس . وبهذا المعنى دُعي تلميذهم . ثم صار يتقرب الى البطريرك العظيم مكاريوس الحلبي ويدعوه معلمه . وكذلك الى نائبه المطران ناوفيطوس الصاقزي الذي على يده اتقن اليونانية والبصلتيكا والطقوس واللاهوت حتى رسمه شماساً سنة ١٦٦٦ ثم كاهناً بعد ذلك . وقد برع في المعارف وفي الطب ايضاً حتى دعاه معاصروه بلغتهم « قفة العلم » (Une bibliothèque vivante) . وكان من اقرانه في القلاية البطريركية الشماس قسطنطين ابن الارشيدياكون بولس الحلبي الذي خلف جده مكاريوس باسم كيرلس الحلبي او كيرلس الخامس الزعيم وهو الذي مر ذكره كثيراً فيما سبق

وفي اواخر سنه ١٦٨٢ على الارجح سامه البطريرك كيرلس المذكور مطراناً على صور وصيدا باسم « افثيميوس » . فارسل هذا صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي الى رومة في ٢٠ ك١ سنة ١٦٨٣ مع احد الآباء الكبوشيين الذي كان معلم اعترافه وكان يدعى الاب اكورسيو (Accursio)

ومنذ سنة ١٦٨٣ اخذ المطران افثيميوس يجمع (اولاً في مطرانية صيدا التي كان يقيم بها ثم في مزرعة مشموشة بلبنان ، مكان دير المخلص

الحالي) اكليريساً خصوصياً اراد ان يؤلف منه وبه رهبانية نظير رهبانيات الافرنج لخدمة الرسالة الكاثوليكية في البطريركية الانطاكية . وشددت عزمه العناية الالهية بصنعها اعجوبة سنة ١٦٨٥ في بلدة جون القريبة من صيدا اي بانقاذها من الموت بالرصاص احد تلاميذ المطران المدعو الاب ابرهيم الطوطو[١] ثم بتسهيلها في تلك الايام العصيبة بناء دير المخلص (١٧١١) وبناء كنيسته الفخمة (١٧٢٠) قرب البلدة المذكورة .

واذ اقام الكرسي الرسولي افثيميوس الصيفي (بتاريخ ٦ ك١ سنة ١٧٠١) مدبراً رسولياً لعامة الروم الملكيين حيث لا يوجد اسقف كاثوليكي كما سبق القول[٢] امتدت غيرة هذا الحبر الجليل ومساعيه الخيرية الى الشرق

---

(١) هذه الاعجوبة يذكرها شيوخ الرهبان وشيوخ قرية جون القريبة من دير المخلص وهي مشهورة . ولا تختلف رواياتهم فيها الا ببعض ظروف ثانوية . واليك ملخصها : فيما كان المطران افثيميوس جائلاً يفتقد ابرشيته فعند وصوله الى بلدة جون حضر اليه اناس من باقي القرى مدججين بالاسلحة لقلة الامن يومئذ . وكان في صحبة المطران شماس انجيلي من غريفة اسمه اثناسيوس نصر اخذ بندقية بآلة قداحة من احد الحاضرين وجعل يقلبها (وكانت قبلاً البندقية بفتيل) فمسّت يده القداحة عن غير علم منه، فثار البارود والرصاص واصاب الخوري ابرهيم الطوطو (احد كهنة المطران) في صدره فسقط هذا مطروحاً على الارض . فصرخ المطران بكل لهفة على عادته : « يا مخلص العالم » . فاجابه الكاهن : « لا تخف يا معلمي انا طيب » . وللحال قام ناهضاً . فبادر اليه الحاضرون وحلوا منطقته . فوجدوا الرصاص مجتمعاً فوق صرّته على لحمه بدون انثلام . فعزم المطران حالاً ونذر ان يبني ديراً على اسم المخلص ذكراً للاعجوبة ولاجل مأوى رهبانه (الاب الباشا ١ : ٢٢٠ — ٢٢٥) وهكذا كان . وقد حدث هذا الامر سنة ١٦٨٥ على اشهر الروايات واوثقها (الاب الباشا : لمحة تاريخية ص ١١) .

(٢) كان سبب تعيين افثيميوس (مدبراً رسولياً) ما وقع من الصلح سنة ١٦٩٤

باسره تقريباً (من الكوكاز الى الحجاز) كما يظهر ذلك من بيان رفعه الى رومة (١٧١٣) [1] : فاهتم بابرشيتي عكا والناصرة والجليل وبلاد صفد، وابرشية قيصرية فلسطين التي كان مطرانها قديماً صاحب الكرسي الاول في البطريركية الاورشليمية، ثم بابرشية بيروت، وابرشية طرابلس وكورتها، وابرشية بعلبك، وابرشية صيدنايا قرب دمشق وبابرشية دمشق وطنه الخاص، وابرشية بصرى وحوران . وكان له اطلاع واسع على احوال ابرشيات واساقفة معلولا، وحمص، وحماة، واللاذقية، وحلب، وادنه، ودياربكر، وارزروم، والكرج (La Géorgie) عند ذيل جبال الكوكاز . وايضاً على احوال بلاد الكرك التي في طريق الحجاز، وبلاد بني كنانة (وكلاهما من بطريركية القدس) . ثم على احوال طائفة السريان [2]،

بين كيرلس الحلبي واثناسيوس الدباس المتنازعين على البطريركية، ذلك الصلح المزعوم الذي كان لخدمة مصالح كيرلس واثناسيوس لا غير، مع تضحية المبادي والكثلكة وخلاص النفوس . فقام بعض المطارنة الصالحين الغُير وانتخبوا افثيميوس الصيفي بطريركاً (لانه كما يقولون ابن الكنيسة المقدسة الرسولية الكاثوليكية ومربّى في حليبها المقدس) ثم كتبوا له رسالة في ذلك . فرفض افثيميوس البطريركية، ولكنه بعث بالرسالة المذكورة الى رومة والتمس بموجبها حق تصريف تلاميذه والكهنة الكاثوليك في ابرشيات البطريركية الانطاكية لئلا يقع ضرر على النفوس، فاقامه الحبر الاعظم مدبراً رسولياً كما في المتن (انظر تتمة الكلام في الصفحة السابقة)

(١) طالع مؤلف الاب الباشا المذكور ١ : ٢٧٢ – ٢٧٦

(٢) كان افثيميوس يروم ان يقيم على السريان (الذين في حلب وفيما بين النهرين) اسقفاً كاثوليكياً منهم على شرط ان يكون قادراً ان يضبط طائفته وكان يستسهل ان يخرج له فرماناً سلطانياً وان يحميه دائماً اذا اعطاه الله العمر (مؤلف الاب الباشا المذكور ١ : ٢٧٥) .

ثم ان افثيميوس الصيفي المذكور اجرى بعض اصلاحات في الطقس والليتورجيا وكتب في ذلك الى رومة . فاقرّت بعض تلك الاصلاحات ونبذت بعضها . ولكن خصوم المطران (واولهم اثناسيوس الدباس البطريرك الخاتل) اتخذوا هذه الاصلاحات حجة (ولو كانت فارغة) ليحاربوا المطران بها ويسوّدوا وجهه امام السلطة العليا . وقد نجحوا في ذلك لانهم خدعوا المرسلين واما لوهم اليهم . فاشتدّ البلاء على المطران جداً. ولكنه لم يفتّ في عضده . فكتب رسالة الى رئيس مجمع انتشار الايمان يشكو له فيها اهمال رومة لاجابة مطالبه واعراضها عن الجواب على رسائله من زمان طويل . ثم يخبره بما يقاسيه من اضطهاد البطاركة الارثوذكسيين الشديد لاجل انحيازه الى الكثلكة وبموافقة المرسلين لخصومه بدون قصد منهم او بجهل يعذرهم عليه. ويختم رسالته تلك بقوله : « اني شاكر لله الذي لاجل هذه النية انا مضطهد من الشرقيين ومحتقر من الغربيين [1] » .

هذا وقد اهتم المطران افثيميوس شديد الاهتمام باقامة رعاة صالحين من اساقفة وخوارنة [2] وغيرهم : لان الرعية تكون عادة على شاكلة رعاتها . وكان يروم ويسعى انه كلما توفي اسقف يقيم مكانه واحداً من ابنائه الرهبان او من اصدقائه الذين يثق بايمانهم الكاثوليكي المستقيم وغيرتهم الصحيحة . ومما شغل فكره جداً اقامة اسقف يخلفه هو على كرسي صور وصيدا [3] ويكون رأساً للروم الكاثوليك بعد وفاته . ولهذا السبب كتب الى رئيس مجمع انتشار الايمان يخبره بعزمه على رسامة مطران من تلاميذه في حياته ،

---

(١) المؤلف المذكور ، ج ١ ، ص ٢٧٠
(٢) 〃 ج ١ ، ص ٢٨٥
(٣) 〃 ج ١ ، ص ٢٧١ وما يليها

ويطلب منه الاذن ان يكون المعاونون له في الرسامة خوارنة اذا لم يتيسر له وجود اساقفة من طائفته يعاونونه ، وذلك لان الاساقفة يخافون بطش بطاركة الارثوذكس واضطهادهم اذا فعلوا . وهذا مما يدلنا على بعد نظر المطران وعلى عظم غيرته في سبيل نشر الايمان الكاثوليكي وحفظه في طائفته الى ما شاء الله تعالى . وسنرى فيما بعد صوابية نظر هذا الحبر الجليل .

اخيراً اراد الصيفي قبل مماته ان يثبت الكاثوليكيين جميعاً في ايمانهم . فعمل افتقاداً عاماً لدير المخلص وللابرشيات الكاثوليكية [1] ، على ما في ذلك الافتقاد من المشقة العظمى (في ذلك العهد) ولاسيما على رجل شيخ تجاوز الثمانين من عمره . فلما وصل الى دمشق استولى عليه العياء فانتقل الى رحمة ربه بعرف القداسة يوم الاربعاء في ٢٧ ت٢ سنة ١٧٢٣ على الحساب الشرقي . وكان قد تزود بالاسرار الاخيرة كلها ، وتلا صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي المنسوبة الى البابا اوربانوس الثامن امام جميع المرسلين الذين حضروا وفاته متخشعين (بعد ان كان الخلاف قد اشتدَّ جداً بينه وبينهم في حياته لاغترارهم بكلام اعدائه) . واذ كان عثمان باشا ابو طوق صديق افثيميوس قد انتقل الى ولاية دمشق امر ان يكون مأتمه ودفنه بكرامة فائقة نظير البطاركة . ثم مشى في جنازته شعب غفير والاكليرس الشرقي (وجميع المرسلين الافرنج والشموع بايديهم اجلالًا له) ودُفِن في مقبرة البطاركة نفسها . وهكذا كرَّم الله رسول الاتحاد بين الملكيين !

---

(١) المؤلف المذكور ١ : ٤٨٢ و ٤٩٠ و ٤٩٥ وما يليها ، ٢ : ٨٨ و ٨٩ .

انفصال الكاثوليك والارثوذكس سنة ١٧٢٤[١] :

بعد وفاة المطران افثيميوس الصيفي اصبح الشعب الكاثوليكي بلا رأس ، واصبحت ابرشية صور وصيدا بلا راع .

فقام معظم الاكليرس الصيداوي واعيان الطائفة من اهل صيدا وصور وقرى لبنان واجتمعوا في دير المخلص (لاول مرة) وذلك لتوسط هذا الدير في قلب الابرشية ولعصمته في لبنان من تدخل رجال الدولة العثمانية . وكان اجتماعهم لانتخاب مطران كاثوليكي يكون خلفاً صالحاً للمطران افثيميوس . واذ اجمع رأيهم على اختيار الاب جبرائيل فينان المخلصي[٢] مطراناً على بانياس[٣] وزعيماً لدير المخلص وللروم الكاثوليك ارادوا ان تكون رسامته قانونية ومن يد مطران كاثوليكي . وبما ان البطريرك الانطاكي اثناسيوس الدباس كان قد استسلم للبطاركة الاروام وكان يرفض ان يرسم اسقفاً كاثوليكياً استعان المجتمعون بالامير حيدر شهاب (١٧٠٧–١٧٣٢) الحاكم العام في لبنان ووسَّطوه لتنفيذ هذا الامر ، كما اعتاد بطاركة الاروام في القسطنطينية ان يوسّطوا السلطان العثماني ورجال دولته لتنصيب من ارادوا من البطاركة او المطارنة . فكلّف الأمير ثلاثة مطارنة من طقوس مختلفة[٤] احدهم ملكي وهو مطران بيروت ناوفيطوس الحلبي ، والثاني ماروني

---

(١) D. H. G. E. (*Antioche*) c. 647 + الاب الباشا ، ٣ : ١٤–٣٠

(٢) وقع الانتخاب اولاً على الاب سرافيم طاناس المخلصي . ولكن هذا لم يقبل ان يكون اسقفاً على بانياس

(٣) بانياس كانت قديماً من الكراسي الخاضعة لصور . ولكنها كانت خراباً سنة ١٧٢٤

(٤) لأن اساقفة الطائفة ابوا ان يرسموا مطراناً بغير رضى البطريرك اثناسيوس الدباس خوفاً من بطشه وبطش بطاركة اليونان المسيطرين عليه .

وهو الياس محاسب مطران عرقا ، والثالث ارمني (وهو مطران حلب ابرهيم الذي صار فيما بعد بطريركاً للارمن الكاثوليك) . فرسم هؤلاء الثلاثة الاب جبرائيل فينان في دير المخلص بحضور جماعة الامير اسقفاً على بانياس ولبنان اي على افراد الطائفة المنتشرين في لبنان وجبل عامل ووادي التيم بحماية الامير المذكور . ودُعي اسم المرتسم باسيليوس واقام في دير المخلص . واتفق مع الاب سرافيم طاناس وسائر الرهبان المخلصيين وتعاهدوا عهداً انهم كلما قدسوا في هذا الدير « يذكرون في قداسهم اسم البابا الروماني الى الابد »[1]. وكان ذلك في ٢ شباط سنة ١٧٢٤ على الحساب الشرقي ، واخبروا به رومة على وجه السرعة لئلا يسبق فيشتكي عليهم البطريرك اثناسيوس الدباس المخاتل .

إن هذا الفعل الجريء (الذي يدل على استقلال الامير بحكم لبنان وعلى شجاعة القطيع الكاثوليكي الصغير وتحمسه لايمانه) ابهج كل من سمع به ونال رضى كل الروم الكاثوليك : لانه صار عندهم اسقف ورأس كاثوليكي مجاهر يقيم في لبنان .

على ان هذا الفعل لم يغضب اهل صيدا لانه جعل لهم سعة ان يبقوا

---

(١) واليك قطعة من رسالة كتبها المطران باسيليوس فينان الى احد الكرادلة في ٢ آذار سنة ١٧٢٤ قال (بلغته العامية الطريفة) : « قعدنا في دير المخلص وريسونا عليه واتفقنا كلنا الخوري سرافيم والكهنة والرهبان والشعب ايضاً ان نكمل نية افثيميوس الذي عمر الدير واوقفه الى تلاميذه بان نقيمه بمفرده (اي مستقلاً) من تحت حكم البطاركة مثل دير طور سينا وبعض مواضع ويكون هذا الدير بيت لجميع الكاثوليكيين من طائفتنا الملكية وملجأ لهم كأنه عمود الايمان الكاثوليكي في الشرق (كذا) . وعوض ما نذكر اسماء البطاركة في قداسنا نذكر اسم رأس كنيسة المسيح سيدنا البابا الروماني ابداً . وهكذا تم الامر . . . » الاب الباشا ، ٢ : ٢٢

على عزمهم السابق بانتخاب الاب سرافيم طاناس مطراناً عليهم، وهو الذي كان المطران افثيميوس الصيفي يرشحه لهم منذ ٢٠ سنة ونيف (اذ هو ابن اخته ومن انجب رهبان دير المخلص وخرّيج مدرسة مجمع انتشار الايمان في رومة). فبعد رسامة المطران باسيليوس في دير المخلص اتفق اهل صيدا مع الاب طاناس المذكور[1] على ان يرسلوه الى حلب ومعه رسائل التوصية الى البطريرك اثناسيوس من قنصل فرنسا ومن رؤساء المرسلين الافرنج الذين في صيدا ومن اعيان الطائفة مع لائحة انتخابهم له بالاجماع، سائلين البطريرك ان يرسمه ويرجعه اليهم في اقرب وقت. وكان ذلك في اواخر الصيام الكبير سنة ١٧٢٤، وكانوا يرجون ان يلبي مطلبهم نظراً لاجماعهم التام على انتخابه ونظراً الى قيمة رسائل التوصية في حقه ولا سيما بعد رسامة المطران باسيليوس فينان على كرسي بانياس وعدم قبولهم ان يرتسم على صور وصيدا.

اما البطريرك فلم يرفض فقط ان يرسمه لهم بل اراد ان ينفيه ايضاً ويهلكه. فلما شعر سرافيم بذلك فرَّ هارباً وعاد الى صيدا في اوائل نيسان سنة ١٧٢٤. وحاول اثناسيوس كثيراً (اتماماً لرغائب بطاركة الاروام) ان يجعل لصيدا اسقفاً من غير تلاميذ المطران افثيميوس الصيفي فلم ينجح. فاضطُرَّ اخيراً ان يرسم واحداً منهم، وهو الاب اغناطيوس البيروتي[2] الذي استدعاه الى حلب. وعند وصوله اليها وجد البطريرك في مرض ثقيل ووجد

(١) طالع مؤلف الاب الباشا المذكور، ٢: ٣٠ – ٤٠ (٢) اغناطيوس يرجع بنسبه الى اسرة بيت العم المعروفة في بيروت من طائفة الارثوذكس. وقد هاجر منها فريق الى صيدا في اوائل القرن الثامن عشر من اهل اغناطيوس المذكور، واقاموا معه فيها. وبعد موته سنة ١٧٥٨ هاجروا الى صور. وسلالتهم اليوم في صور من اكرم سراة الروم الكاثوليك فيها ويقال لهم بيت البيروتي (عن المؤلف المذكور، ٢: ٣٦)

هناك مطران بيروت (ناوفيطوس الحلبي) ومطران صيدنايا (ناوفيطوس نصري الحلبي) . واذ تعذر وجود مطران ثالث في حلب يومئذ لرسامته كتب لهما البطريرك منشوراً امرهما فيه بالرسامة وجعل ذلك المنشور بمثابة اسقف ثالث . فرُسِم افناطيوس مطراناً في اواسط تموز سنة ١٧٢٤ . ولم يطل الامر بالبطريرك حتى تُوفي الى رحمة ربه في ٢٤ تموز الشرقي من السنة المذكورة [١]

وما ان درى كاثوليكيو دمشق بوفاة هذا البطريرك (وكان قد كثر عددهم واشتدَّ ساعدهم) حتى اخذوا يستعدون لانتخاب بطريرك كاثوليكي صريح لا يخضع لسيطرة بطاركة القسطنطينية ولا يتقلّب مع كل ريح [٢] . فاتجهت ابصارهم الى ابن وطنهم الخوري سرافيم طاناس المخلصي ليكون خلفاً للبطريرك المتوفّى وهم يعلمون انهم اصحاب الحق بانتخابه بطريركاً لانه اسقفهم الخاص وراعي نفوسهم ولان كرسيه في كنيستهم ، ويعلمون ايضاً ان ليس له نظير في الابرشية الانطاكية بين الكهنة والمطارنة بعلمه ومعرفته للغات وخبرته وغيرته على الايمان الكاثوليكي وصفاته الاخرى .

وقد كان من انصار الدمشقيين وعلى رأيهم بهذا الانتخاب كل اهل ابرشية صيدنايا وجبل القلمون وحوران وكل ابناء ابرشية صور وصيدا ، ومعظم اهل ابرشيات بعلبك وبيروت وحمص واللاذقية مع جميع المرسلين الافرنج . ولم يخالفهم الا اهل حلب الذين – وان كانوا كلهم من الروم

---

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور ، ٢ : ٤٨

(٢) الموجز ، ص٥٢ وما يليها + مؤلف الاب الباشا المذكور ، ٢ : ٧٢-١٠٠ + الاجتهاد ، ص١٢٠ + D. H. G. E. (*Antioche*) c. 647

الكاثوليك – اصرُّوا على ترشيح الشماس بل الكاهن [١] سلفسترس القبرسي اطاعة للبطريرك اثناسيوس الدبَّاس الذي اوصاهم به قبل وفاته وتحدّياً لاهل دمشق لما بين الحلبيين والدمشقيين من المنازعة والمنافسة في كل شيء. كما هو معروف ·

واذ خشي الدمشقيون الكاثوليك ان تستبقهم الحوادث وان تتدخل البطريركية القسطنطينية وتعين من عندها بطريركاً انفصالياً ، ولم يكن عندهم متَّسع من الوقت لاستدعاء كل الاساقفة الكاثوليك للاشتراك في انتخاب البطريرك ، وكان المطران الوحيد الذي يخصه استدعاؤهم (اعني اغناطيوس البيروتي متروبوليت صور وصيدا المرتسم جديداً) غير مستعد لذلك او غير قادر عليه بادر كهنة دمشق واعيانها وانتخبوا سرافيم طاناس بطريركاً انطاكياً باجماع الكلمة . ثم اسرعوا في مفاوضة بعض المطارنة لرسامة الاب المنتخب بطريركاً . فاعتذروا عن ذلك بحجج شتى ترجع الى خوفهم من بطش بطاركة اليونان ، الا مطران صيدنايا ناوفيطوس الحلبي فانه بادر من حلب الى دمشق ، وباسيليوس فينان فانه حضر من دير المخلص بلا خوف ولا وَجل . واذ تعذر حضور غيرهما من الاساقفة الحَّ عليهما اهل دمشق في رسامة منتخَبهم بدون انتظار مستظهرين لجواز ذلك بمنشور البطريرك اثناسيوس الدباس في شأن رسامة المطران اغناطيوس البيروتي السابق ذكره. وبعد الاخذ والردّ طويلاً تقرَّر ان يرسم الاسقفان اولاً الاب افثيميوس فاضل من رهبان دير المخلص اسقفاً على كرسي الفرزل ثم ان يشاركهما هذا في رسامة البطريرك المنتخَب . وهكذا تمَّ . فرسما الاب

(١) سيم سلفسترس القبرسي كاهناً بروتوسنجلوس (اي ملازماً اول للغرفة البطريركية) سنة ١٧٢١ (الاب الباشا ، ٢ : ٦٤ و ٩١١) .

المذكور أسقفاً في ١٤ ايلول الشرقي يوم عيد الصليب الكريم . وفي الاحد الواقع في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ رسم المطارنة الثلاثة في كنيسة دمشق المريمية (التي كانت حينئذٍ الكاتدرائية الوحيدة لذوي الطقس البيزنطي) الاب سرافيم طاناس بطريركاً انطاكياً ودُعِي اسمه كيرلس السادس. واستلم من يدهم صولجان البطريركية واستوى على عرشها وازدانت هامته بتاجها في احتفال عظيم حضره كل اكليرس الروم وكل نصارى دمشق على اختلافُ طقوسهم وطوائفهم مع المرسلين الافرنج ومع فريق من رجال الحكومة من قبل عثمان باشا ابي طوق والي الشام الذي كان يعزّ كثيراً المطران افثيميوس الصيفي ويعزُّ كل اقاربه لاجله وقد ضمن للاب طاناس قبل انتخابه جلب البراءة السلطانية بالبطريركية . لكنه عُزِل قبل انجاز وعده[1] .

اما البطريركية القسطنطينية فبلغها خبر وفاة البطريرك اثناسيوس الثالث الدباس في حينها ، كما بلغها شكوى من ابناء الطائفة الحلبيين الذين — مع كونهم كاثوليكيين — لم يرضوا بما اجراه اهل دمشق من دون مشورتهم . فبادرت الى استدعاء سلفسترس القبرسي (شماس البطريرك المتوفى بل كاهنه البروتوسنجلوس) من جبل اثوس حيث كان يومئذ . وقامت برسامته بطريركاً في العاصمة العثمانية في ٢٧ ايلول الشرقي سنة ١٧٢٤ (اي بعد رسامة كيرلس طاناس باسبوع واحد) ثم اخرجت له براءة سلطانية بالبطريركية وفرماناً بالقبض على كيرلس طاناس وعلى المطارنة الذين رسموه وعلى كهنة واعيان دمشق الذين عملوا على انتخابه[2] .

---

(١) الكنائس الشرقية البيزنطية ، ص ٢٤٥

(٢) انظر ايها القارئ الكريم كيف تم انتخاب بل تعيين سلفسترس القبرسي بالقوة ثم كيف جرت رسامته في الغربة ، بسرعة ولهوجة وبعد رسامة طاناس باسبوع ،

الكاثوليك — اصرّوا على ترشيح الشماس بل الكاهن [1] سلفسترس القبرسي اطاعة للبطريرك اثناسيوس الدبّاس الذي اوصاهم به قبل وفاته وتحدّياً لاهل دمشق لما بين الحلبيين والدمشقيين من المنازعة والمنافسة في كل شيء. كما هو معروف .

واذ خشي الدمشقيون الكاثوليك ان تستبقهم الحوادث وان تتدخل البطريركية القسطنطينية وتعين من عندها بطريركاً انفصالياً ، ولم يكن عندهم متّسع من الوقت لاستدعاء كل الاساقفة الكاثوليك للاشتراك في انتخاب البطريرك ، وكان المطران الوحيد الذي يخصه استدعاؤهم (اعني اغناطيوس البيروتي متروبوليت صور وصيدا المرتسم جديداً) غير مستعد لذلك او غير قادر عليه بادر كهنة دمشق واعيانها وانتخبوا سرافيم طاناس بطريركاً انطاكياً باجماع الكلمة . ثم اسرعوا في مفاوضة بعض المطارنة لرسامة الاب المنتخب بطريركاً . فاعتذروا عن ذلك بحجج شتى ترجع الى خوفهم من بطش بطاركة اليونان ، الا مطران صيدنايا ناوفيطوس الحلبي فانه بادر من حلب الى دمشق ، وباسيليوس فينان فانه حضر من دير المخلص بلا خوف ولا وَجل . واذ تعذر حضور غيرهما من الاساقفة الحّ عليهما اهل دمشق في رسامة منتخَبهم بدون انتظار مستظهرين لجواز ذلك بمنشور البطريرك اثناسيوس الدباس في شأن رسامة المطران اغناطيوس البيروتي السابق ذكره. وبعد الاخذ والردّ طويلاً تقرّر ان يرسم الاسقفان اولاً الاب افثيميوس فاضل من رهبان دير المخلص اسقفاً على كرسي الفرزل ثم ان يشاركهما هذا في رسامة البطريرك المنتخب . وهكذا تمّ . فرسما الاب

(١) سيم سلفسترس القبرسي كاهناً بروتوسنجلوس (اي ملازماً اول للغرفة البطريركية) سنة ١٧٢١ (الاب الباشا ، ٢ : ٤٤ و ٩١١) .

المذكور أسقفاً في ١٤ ايلول الشرقي يوم عيد الصليب الكريم . وفي الاحد الواقع في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ رسم المطارنة الثلاثة في كنيسة دمشق المريمية (التي كانت حينئذٍ الكاتدرائية الوحيدة لذوي الطقس البيزنطي) الاب سرافيم طاناس بطريركاً انطاكياً ودُعِي اسمه كيرلس السادس. واستلم من يدهم صولجان البطريركية واستوى على عرشها وازدانت هامته بتاجها في احتفال عظيم حضره كل اكليرس الروم وكل نصارى دمشق على اختلاف طقوسهم وطوائفهم مع المرسلين الافرنج ومع فريق من رجال الحكومة من قبل عثمان باشا ابي طوق والي الشام الذي كان يعزّ كثيراً المطران افثيميوس الصيفي ويعزُّ كل اقاربه لاجله وقد ضمن للاب طاناس قبل انتخابه جلب البراءة السلطانية بالبطريركية . لكنه عُزِل قبل انجاز وعده[1] .

اما البطريركية القسطنطينية فبلغها خبر وفاة البطريرك اثناسيوس الثالث الدباس في حينها ، كما بلغها شكوى من ابناء الطائفة الحلبيين الذين — مع كونهم كاثوليكيين — لم يرضوا بما اجراه اهل دمشق من دون مشورتهم . فبادرت الى استدعاء سلفسترس القبرسي (شماس البطريرك المتوفى بل كاهنه البروتوسنجلوس) من جبل اثوس حيث كان يومئذ . وقامت برسامته بطريركاً في العاصمة العثمانية في ٢٧ ايلول الشرقي سنة ١٧٢٤ (اي بعد رسامة كيرلس طاناس باسبوع واحد) ثم اخرجت له براءة سلطانية بالبطريركية وفرماناً بالقبض على كيرلس طاناس وعلى المطارنة الذين رسموه وعلى كهنة واعيان دمشق الذين عملوا على انتخابه[2] .

---

(١) الكنائس الشرقية البيزنطية ، ص ٢٤٥

(٢) انظر ايها القارئ الكريم كيف تم انتخاب بل تعيين سلفسترس القبرسي بالقوة ثم كيف جرت رسامته في الغربة ، بسرعة ولهوجة وبعد رسامة طاناس باسبوع ،

واذ كانت تلك البراءة وهذا الفرمان يقتضيان نفقات باهظة من سلفسترس فلاجل تدبيرها لزمه ان يبقى في القسطنطينية الى آخر سنة ١٧٢٥ واكتفى في اول الامر بان ارسل مع قبجي باشي (اي مأمور خاص فوق العادة) اوامر سلطانية سريعة بالقبض على البطريرك كيرلس وكل مطارنة الروم الكاثوليك قبل خروجه هو (اي سلفسترس) من الاستانة بل قبل ان يعلموا بخروجه منها . لكن شاءت العناية الالهية ان يمرض المأمور في طريقه الى دمشق وان يصل اليها خبر قدومه قبل وصوله اليها . فلما عرف بذلك البطريرك كيرلس والمطارنة الذين كانوا لم يزالوا في دمشق هربوا الى لبنان سرًّا ولاذوا بدير المخلص بعد ان زاروا الامير حيدر شهاب الحاكم العام والشيخ علي جنبلاط صاحب الشوف وكبير مشايخ الدروز الذي كان دير المخلص في عهدته وتحت حمايته[١] .

اما سلفسترس فجاء الى سوريا بعد ذلك واظهر كل قساوة[٢] ، وقبض على جراسيموس مطران حلب وارسله الى المنفى ، ثم سار الى حماة ، فحمص ، فدمشق وجعل يضطهد الكاثوليك اشد الاضطهاد حتى شرّدهم في مشارق الارض ومغاربها واستولى على الكنائس والاوقاف والمعاهد بسيف الدولة العثمانية[٣] .

ومن ذلك الحين اصبحت طائفة الروم الانطاكية فرعين : فرع الكاثوليك

وبدون حضور احد من مطارنة الابرشية الانطاكية ثم كيف يقصد الاستيلاء على البطريركية بالسيف ، واحكم بعد ذلك اي من البطريركين سلفسترس ام كيرلس هو اولى بالدخول الى حظيرة القطيع وبرعاية خراف المسيح الناطقة التي يجب عليه كالراعي الصالح لا ان يشردها او يذبحها بل ان يبذل نفسه دونها !

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور ، ٢ : ١٣٦ وما يليها .

(٢) الموجز ، ص ٥٣ (٣) الاب الباشا ، ٢ : ١٣٢ وما بعدها

الذين انضموا الى الكرسي الرسولي الروماني وتبعوا كيرلس طاناس وحافظوا على لقب « الملكيين »، وفرع الروم الارثوذكس الذين انفصلوا عن رومة وتبعوا سلفسترس القبرسي ورفضوا لقب « الملكيين » المذكور . ولما توفي البطريركان كيرلس وسلفسترس اقام اتباعهما خلفاً لكل واحد منهما على مذهبه[١] . وهكذا دام الانقسام الى يومنا هذا . غير انه فيما كان كل خلفاء كيرلس طاناس من الملكيين الوطنيين كان خلفاء سلفسترس القبرسي اليوناني كلهم من اليونان من سنة ١٧٢٤ الى سنة ١٨٩٨ التي فيها تمكن حزب الروم الوطني من طرد اليونان بمساعدة روسيا[٢] .

اما البطاركة الانطاكيون الارثوذكس الذين من العنصر الوطني فهم :

١) ملاتيوس الثاني الدوماني (٢٧ نيسان ١٨٩٩ — ٢١ شباط سنة ١٩٠٦) — ٢) غريغوريوس الثاني الحداد (٢١ تموز سنة ١٩٠٦ — ١٢ ت٢ سنة ١٩٢٨) وقد سموه غلطاً غريغوريوس الرابع استناداً الى لوائح مغلوط فيها .

وعلى اثر وفاة هذا البطريرك ظلّ الكرسي البطريركي الارثوذكسي فارغاً حتى ٧ شباط سنة ١٩٣١ ، فانتخب مجلس اللاذقية المطران ارسانيوس الحداد بطريركاً في دير مار جريس الحميراء ، من بلاد العلويين . وانتخب مجلس دمشق المطران الكسندرس الطحان في ٩ شباط وجرى الاحتفال بترقية البطريركين معاً في يوم واحد اعني في ١١ شباط سنة ١٩٣١ : ذاك في كنيسة اللاذقية ، وهذا في كنيسة دمشق . وفي ٧ ك٢ سنة ١٩٣٣

(١) الاجتهاد ، (في الموضع المذكور)

(٢) الموجز ، ص ٥٨ وما بعدها

توفي البطريرك ارسانيوس، فاتفق الجميع مع البطريرك الكسندرس. ثم قرَّروا حصر انتخاب البطريرك في المستقبل بالمطارنة دون سواهم [١].

الكتبة الملكيون :

٢٣٨ — اثنان منهم فقط يلفتان النظر في هذه الحقبة، ولكنهما من أعلام الكتَّاب، وهما المطران افثيميوس الصيفي والبطريرك اثناسيوس الثالث الدباس اللذان مرَّ ذكرهما :

١) اما افثيميوس الصيفي (+ ١٧٢٣) الملقَّب « بقفة العلم » فلم يكن فقط حبراً جليلًا بل كان ايضاً رسولاً عظيماً بالوعظ والكلام [٢] والقلم والكتابة. واليك قطعة مما جاء عنه بقلم المرحوم الاب قسطنطين الباشا ب م البحَّاثة الجليل قال [٣] :

« كان (افثيميوس) عظيماً بعقله وعلمه. ودليلنا على ذلك ما استودعه من ثمار عقله وعلمه وخبرته في كتبه التي طُبعت والتي لم تُطبع بعد وفي رسائله الكثيرة التي اسعدنا الحظ بالوقوف على البعض منها مما نشرناه في سيرته . . . على ان ما نشرناه من هذه الرسائل التي نقلناها عن سجلات رومية نظن انه دون العشر من مجموع رسائله التي كتبها في مواضيع مهمة الى تلاميذه واصحابه واخصامه من البطاركة والمطارنة والكهنة والاعيان من الروم واليونان والسريان والموارنة والافرنج الذين كانوا على اتصال معه في هذه البلاد الشرقية . فلو كانت حُفِظت رسائله كلها في سجلاتها كما حُفِظت في رومية لكانت تُعَدّ لا محالة بالمئات . ومن هذه الرسائل ما هو مطول في عدة صفحات . وعندنا منها (في دير المخلص) ما هو بخط يده في عشرات من الصفحات لا يسعنا نشرها في هذا التاريخ »

---

(١) الكنائس الشرقية البيزنطية، ٢٦٢ — ٢٦٨

(٢) قد رد افثيميوس الى الكثلكة في ابرشيته نحو ١٠ الف نفس ومثل هذا العدد في الابرشيات الاخرى كما سيجيء بيانه .

(٣) الاب الباشا، ١ : ٥٠٠

اما أهم آثار قلمه الباقية الى اليوم فهو كتاب « الدلالة اللامعة بين قطبي الكنيسة الجامعة » (المذكور ص٢٠٨) الذي طُبع اولاً في مطبعة انتشار الايمان في رومة سنة ١٧١٠ ثم في مطبعة الآباء الفرنسيسكان في اورشليم سنة ١٨٦٢ [1] .

٢) واما اثناسيوس الدبّاس [2] (+ ١٧٢٤) فهو ذلك البطريرك الانطاكي الحائر المتردد بين الكثلكة والانفصال الذي سبق ذكره في هذا الفصل مراراً والذي لما اضطُرَّ ان يتخلّى عن البطركية لخصمه كيرلس الخامس الحلبي سنة ١٦٩٤ سافر بعد ذاك الى الاستانة ومنها الى بوخارست عاصمة بلاد الفلاخ والبغدان (اي رومانيا) بعهد اميرها المسيحي الكريم يوحنا قسطنطين بسأربا برانكوفان ونزل ضيفاً عليه . ولبث هناك بضع سنوات ألّف له فيها « تاريخ بطاركة انطاكية » باليونانية الحديثة ، ونال منه الامر بطبع « القنداق » اي كتاب « القداسات الثلاثة » على نفقته باليوناني والعربي وهو اول كتاب طُبع بهاتين اللغتين سنة ١٧٠١ ، وفي السنة التالية (سنة ١٧٠٢) طُبع كتاب « السواعي » على نفقة الامير ايضاً . وبعد ذلك عاد اثناسيوس الى حلب ومعه مطبعة كاملة العدَّة مجهَّزة بالحروف العربية . وفي سنة ١٧٠٦ انجزت هذه المطبعة (التي هي اول مطبعة عربية في الشرق) كتاب « الانجيل » ثم كتاب « المزامير » . وفي سنة ١٧٠٧ طبعت كتاب « الدرّ المنتخب » من مقالات القديس يوحنا فم الذهب .

وما عدا هذه المطبوعات قد خلّف لنا اثناسيوس الدباس عدة مخطوطات :

---

(١) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ٣٥

(٢) الاب الباشا ، ١ : ١٥٩ - ١٦٤ + D. H. G E. (*Antioche*) c. 644, 645 + Charon, *o. c. III*, 55, 103, 109

منها: ١) مجموع مواعظ لآحاد واعياد السنة، ٢) كتاب شرح القداس دعاه « منهاج اللاهوت في خدام الكهنوت »، ٣) كتاب التعليم المسيحي، ٤) مؤلّف من « خمسة كتب في صناعة الفصاحة » اخرجها من اليونانية الى العربية، ٥) تاريخ المجامع عرَّبه عن اليونانية واللاتينية، ٦) تعريب تأليف مار باسيليوس كتاب « صلاح الحكيم وفساد الذميم »، ٧) كتاب « اعمال المجامع المسكونية الاربعة الاولى » عرَّبه عن اليونانية في نحو الفي صفحة، ٨) كتاب « توضيح كيفية التوبة والاعتراف فيما يلزم المعترف والمعرف». وهذا الكتاب طُبع في حلب سنة ١٧١١، ٩) كتاب «منهاج الصلاح لبغية النجاح »، ١٠) تعريب كتاب « التريودي » الذي نقَّحه المطران جرمانوس فرحات الشهير.

ومن كتب اثناسيوس الموطوقية: ١) تعريبه رسالة ضد الايمان الروماني في القضايا المختلف فيها. وقد ردَّ عليه الشماس عبدالله زاخر، ٢) تعريب كتاب « صخرة الشك » الذي مرَّ ذكره (عد ٢٣٥)[1]

(١) طالع كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، ص ٢٥ و٢٦ . طالع ايضاً D. H. G. E. في (Athanase III Dabbas)

٣ ـ كنيسة الاسكندرية

من اي العناصر كانت تتألف سنة ١٧٢٠ – البطريرك صموئيل كباسيلا وخلفاؤه – اصل النيابة البطريركية الكاثوليكية في الكرسي الاسكندري .

من اي العناصر كانت تتألف سنة ١٧٢٠ [١] :

٢٣٩ – سيكون كلامنا موجزاً في هذا الفصل الاخير عما يتعلق بالبطريركية الاسكندرية التي احتكرها الاكليرس اليوناني وفصلها من الكرسي الرسولي الروماني فانحازت كلها تقريباً الى شقاق القسطنطينية . اما في الربع الاول من القرن الثامن عشر الذي وصلنا اليه فكانت العناصر التي تتألف منها ثلاثة :

١) جماعة قليلة من بقايا الروم الملكيين الذين كانوا يقيمون بالقطر المصري من عهد سحيق ، ٢) جماعة اخرى ذهبت الى مصر من سوريا وفلسطين من عهد غير بعيد للتجارة ونحوها من اسباب الرزق . وكانت لغة هذين الفريقَين العربية لغة اهل مصر ، ٣) بعض الاسر اليونانية التي قدمت الى مصر من بلاد اليونان وجزائرها ، ومن القسطنطينية وبر الاناضول . وكانت لغة هذا الفريق اليونانية . ولكن افراده لم يكونوا يجهلون التركية والعربية الّا نادراً .

ان جميع هذه العناصر كانت تؤلف طائفة واحدة يقال لها طائفة الروم لكون بطاركتها من الاروام ولتتميَّز عن طائفة الاقباط المسيحية المصرية .

---

(١) الاب الباشا بم : محاضرة « في تاريخ طائفة الروم الكاثوليك في مصر » في ٢٧ شباط سنة ١٩٣٠ : ص ٤ و ٥ .

البطريرك صموئيل كباسيلا وخلفاؤه :

٢٤٠ — في بدء الحقبة التي وصلنا اليها كان البطريرك جراسيموس الثاني (١٦٨٩ — ١٧١٠) الذي ذكرناه في الفصل السابق متسلماً ادارة الكرسي الاسكندري . وبعده جلس على هذا الكرسي البطريرك صموئيل كباسيلا (١٧١٠ — ١٧٢٤) على رغم انف خصمه ومزاحمه قزما الثاني . وبما ان البطريرك القسطنطيني اثناسيوس الخامس قد عضد قزما المذكور فاغتاظ كباسيلا ومال الى الكثلكة وارسل صورة ايمانه الى رومة سنة ١٧١٢ فاتاه من ثمَّ درع التثبيت (وكانت الكنيسة الرومانية قد بذلت جهوداً عظيمة لتعود بالكنيسة الاسكندرية الى الاتحاد[1] .) ثم لجأ كباسيلا في مضايقه واحتياجاته الى قنصل فرنسا ، وكان على اتصال بمراسلاته مع الاحبار الرومانيين . وقد نشرت مجلة المعهد الشرقي في رومة (Orientalia Christiana) سنة ١٩٢٩ ترجمة حياته مع صورة اعترافه بالايمان وبعض رسائله التي كتبها الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر (١٧٠٠-١٧٢١) والبابا اينوشنسيوس الثالث عشر (١٧٢١-١٧٢٤) وسواهما[2] .

على ان كثيراً من الناس (منهم كيرلس طاناس المعاصر له[3]) يشكّون في خلوص نيته وكثلكته ويقولون عنه انه انما اتحد مع الكرسي الروماني « ظاهرياً فقط ولغرض في النفس » اي لاستيائه من البطريرك القسطنطيني اولاً ثم لحاجته الى المال والمساعدة . ويثبتون شكّهم هذا باشتراك كباسيلا مع بطاركة اليونان ومع البروتسطان ايضاً خصوم الاتحاد في امور كثيرة

(1) D. H. G. E. (*Alexandrie*) c. 362

(٢) الاب الباشا ، المحاضرة المذكورة ، ص ٢١ و ٢٢ .

(3) Musset, *o. c. II*, 153 sq.

وبعلاقاته غير المنقطعة معهم ، هذا فضلاً عن انه من العنصر اليوناني الذي هو انفصالي طبعاً . على كل لم يفد الكنيسة شيئاً اتحاده مع الكرسي الرسولي لانه كان اتحاداً فردياً شخصياً بدون نتيجة المستقبل .

اما خلفاؤه فكانوا كلهم انفصاليين ومن العنصر اليوناني ، هم واكليرسهم واساقفتهم . واذا وجدت بينهم كاهناً من العنصر الوطني فيكون اصله من سوريا او من فلسطين ويكون خادماً للارثوذكسيين الشوام اي السوريين . غير انه بعد الجهد الجهيد توصل الوطنيون الارثوذكس الى الحصول على اسقف واحد عربي من اصل اساقفة البطريركية الاسكندرية الحاليين السبعة وذلك في العقد الثالث من القرن العشرين[1] . فتأمل !

اصل النيابة البطريركية الكاثوليكية في الكرسي الاسكندري :

٢٤١ – ان كنيسة الاسكندرية قد انحازت الى شقاق الروم وانفصلت عن الكرسي الرسولي الروماني من يوم احتكرها الاكليرس اليوناني الاغريقي بعد الفتح العثماني كما رأينا .

غير ان افراداً كثيرين قد قبلوا الاتحاد مع رومة وانحازوا الى ايمانها بنعمة الله تعالى وهمة المطران افثيميوس الصيفي خصوصاً : تشهد بذلك القطعة التالية المأخوذة عن رسالة لهذا الحبر الجليل كتبها سنة ١٧١٧ الى مجمع انتشار الايمان في رومة وقال فيها بلغة زمانه العامية الطريفة[2] :

« منذ مدة ٤٠ سنة لما كنت في دمشق ما كان يوجد فيها من يعرف المجمع المقدس والحبر الاعظم الا بعض اناس . . . والآن بنعمة الله ايمان الكنيسة الرومانية قد انتشر ليس

(١) الكنائس الشرقية البيزنطية ص ٢٠٧

(٢) مؤلف ق . الباشا المذكور (اي تاريخ الطائفة) ١ : ٣٣٢

فقط في الابرشية الانطاكية بل في كل ابرشية مصر والقدس . وجملة اناس ليسوا بقليلين هم الآن قائمين بالايمان الروماني المقدس ، ومراسلاتهم لا تنقطع عني لمعرفة الايمان حتى من (اهل) الكرسي القسطنطينية ايضاً ، لان الذي يحضر منهم الى اساكل ابرشيتنا صور وصيدا صاروا يذعنوا للحق لان من النظر والسمع شبكة مار بطرس اقتنصتهم . . . » .

وقد تضاعف عدد المنضمين الى الكرسي الرسولي بمن انضوى اليهم فيما بعد من المهاجرين السوريين الفارّين من اضطهاد سلفسترس القبرسي . فتألف من مجموعهم فرقة كانت نواة الطائفة الملكية الكاثوليكية في القطر المصري . واهتمت كنيسة الله بهم ، فجعلتهم اولاً تحت ادارة الرهبان الفرنسيسكان[1] ، ثم فوّضت امرهم اخيراً سنة ١٧٧٢ الى بطريرك انطاكية الملكي الكاثوليكي ، وكان يومئذ البطريرك ثاودوسيوس الخامس الدهان . فاخذوا يطلبون من غبطته كهنة لخدمة نفوسهم ، وجعل يرسل اليهم من رهبان دير المخلص او دير الشوير حسبما يتيسّر له ، الى ان أقيمت لهم اخيراً النيابة البطريركية الكاثوليكية في الكرسي الاسكندري ، كما سنذكره مفصلاً في المجلد الثالث والاخير من كتابنا هذا .

---

(١) الموجز ص ٦٠ — ٦٣

الخاتمة

٢٤٢ — هنا نختم هذا الجزء الثاني الذي هو تاريخ العصور الوسطى ، تلك العصور التي انطوت على نحو احد عشر قرناً (٦٣٤—١٧٢٤) وكانت كلها تقريباً هبوطاً وانحطاطاً .

قد القينا في هذا الجزء نظرة سريعة على اهم ما تعاقب في الشرق من الاحوال السياسية .

وذكرنا اهم الحوادث الدينية والطائفية التي انتهى الينا خبرها . وقد فاتنا ولا بد امور جمة ، لان تلك العصور كانت عصور جهل وخمول ، وظلام حالك السواد!

ثم اوردنا في كل فصل سلسلة البطاركة الذين يتكلم عنهم ، واتينا بما نعرفه عن كل واحد منهم .

ولم يفتنا ان نذكر ما انبتت البطريركيات الملكية الثلاث من مشاهير القديسين والعلماء من اساقفة وكهنة وكتبة وحكماء ، على قدر ما وصلنا من آثارهم وآثار اقلامهم وقدر ما وصل اليه علمنا .

وعرفنا ان بطريركية الاسكندرية (التي كان فيها قديماً بطريرك يقال له الفرعون المصري وستة متروبوليتيين ونحو ١٨٥ اسقفاً) بلغت غاية الضعف في اوائل القرن الثامن عشر حتى ان خريسانثوس بطريرك اورشليم الذي كان عائشاً يومئذٍ امكنه ان يقول[1] : إن الكرسي الاسكندري لم يبقَ له سوى ابرشية واحدة فعلية هي ابرشية ليبيا ، وثلاث ابرشيات اخرى ضمها

(1) Charon, *o. c.*, *III*, pp. 219—221

البطريرك الاسكندري مع طرابلس الغرب وتونس والجزائر واستأثر بها لكي يعيش منها .

ونظن ان مجموع ابناء هذه الابرشيات لا يبلغ عشرة آلاف نفس!

اما بطريركية اورشليم التي كانت في القرن الخامس وما بعده تعدّ نحو ستين كرسيًا اسقفيًا[1] فاصبحت في اوائل القرن الثامن عشر لا تعد اكثر من سبع ابرشيات فعلية[2] لا يتجاوز مجموع ابنائها فيما نظن الثلاثين الفًا من المؤمنين!

وقد راينا ان هاتين البطريركيتين (الاسكندرية والاورشليمية) انحازتا اخيرًا الى شقاق الروم اذ استولى اكليرس الروم اليوناني عدو الاتحاد على جميع كراسيها البطريركية والاسقفية، ولا يزال مستوليًا عليها ومحتكرًا لها الى يومنا هذا، ما خلا بعض جماعات او أُسر تألّفت منها فيما بعد النيابتان البطريركيتان الكاثوليكيتان في الكرسيَّين الاسكندري والاورشليمي وأُلحقتا ببطريرك انطاكية الملكي الكاثوليكي كما سيأتي بيانه في المجلد الثالث ان شاء الله تعالى .

امّا بطريركية انطاكية عمدة البطريركيات الملكية التي كان يخضع لها في إبّان عزّها نحو ١٥ مليونًا من المسيحيين، وكان فيها نحو ١٥٣ كرسيًا اسقفيًا، فقد توالت عليها هي ايضًا الازمات والنكبات، وذلك منذ اوائل القرن الخامس الى اوائل القرن ١٨ . فتكسرت اغصانها وتقطعت اوصالها، وانفصلت عنها كل الفروع التالية[3] وهي :

---

(1) Charon, *o. c.*, *III*, pp. 261—268

(٢) راجع ما قلناه (صفحة ١٨٩)

(٣) الموجز ص ٩٨ + D. H. G. E. (*Antioche*) c. 583, 584

	سنة
١) كنيسة جزيرة قبرس	٤١٦
٢) جَثلَقة الفُرس او الكنيسة الكلدانية	٤٢٤
— والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية	في القرن ١٧ او ١٨
٣) بطريركية اورشليم اليونانية	٤٥١
— وبطريركية اورشليم اللاتينية	١٠٩٩ و١٨٤٧
— ومطرانية جبل سيناء	١٥٧٥
٤) جثلقة بلاد الكَرَج او الكنيسة الكرجية	٤٧٠
٥) الكنيسة اليعقوبية او السريانية	٥٤٣
— والكنيسة السريانية الكاثوليكية	في القرن ١٧
٦) الكنيسة المارونية	في القرن ٨
٧) اقليم ايصوريا (الذي كان فيه ٢٥ اسقفية)	٧٣٢
٨) الذين انتحلوا الاسلام في انطاكية وسائر المشرق:	على مر العصور
٩) واخيراً كنيسة الروم الارثوذكس الانطاكية	١٧٢٤

هذا وقد رأينا في الاعداد السابقة (اي ١٨٣ و١٩٢ و١٩٨ و٢١٥) فذلكات صغيرة كانت تكشف لنا الستار من حقبة الى حقبة عن احوال هذه البطريركية . اما اذا احببنا الاطلاع على احوالها في الربع الاول من القرن ١٨ قُبَيل تميّز الطائفتين الكاثوليكية والارثوذكسية فما علينا سوى مراجعة البيان المسهب الذي رفعه الى رومة سنة ١٧١٣ المطران افتيميوس الصيفي المدبّر الرسولي (وذلك من طلب مجمع انتشار الايمان المقدس)

(١) طالع مؤلف الاب الباشا المذكور ، ١ : ٢٧٢-٢٩٣ و٤٥٦

ومراجعة رسائل اخرى لهذا الحبر السعيد الذكر، فنستدل منها :

١) على انه كان في البطريركية الانطاكية يومئذٍ عشرون حبراً منهم البطريركان كيرلس الخامس الحلبي الزعيم واثناسيوس الثالث الدباس اللذان سبق الكلام عنهما .

٢) على ان ستة من اساقفة البطريركية كانوا من اليونان، خمسة منهم من جزيرة قبرس وواحد من جزيرة صاقز (او شيّو) ؛ والباقون كانوا وطنيين .

٣) على ان سبعة اساقفة ارسلوا صورة ايمانهم الى الكرسي الرسولي الروماني وهم الذين ذكرناهم (عد ٢٣٣) .

٤) على ان المطران افثيميوس المذكور قد ردَّ الى الاتحاد ١٥ الفاً في ابرشيته، ومثل هذا العدد في الابرشيات الاخرى بواسطة تلاميذه وكتاباته .

٥) على ان الروم الكاثوليك الذين كانوا في دمشق وحلب لم يكن مجموعهم يقلّ عن الـ١٥ الف نفس ايضاً[1]

فبوجه الاجمال اذن يمكن القول : ان الذين جاهروا رسمياً بالاتحاد مع رومة سنة ١٧٢٤ قد بلغ عددهم خمسة واربعين الف نفس، وهم نواة الطائفة الملكية الكاثوليكية التي رئيسها اليوم (سنة ١٩٤٩) هو غبطة البطريرك مكسيموس الرابع الصائغ السامي الاحترام، فيما ان الذين لم يميلوا الى الاتحاد ناهز عددهم يومئذٍ على ما نظن ثلاثة اضعاف هذا العدد.

بقي ان نقول كلمة عن الاكليرس والرهبان والشعب في ذلك العهد :

١) الاكليرس. كان للاكليرس العلماني فرعان . فرع اعزب وفرع مقترن بالزواج .

(١) الاجتهاد ص ١١٨-١٢١ + D. H. G. E. (*Antioche*) c. 646

اما الفرع الاعزب[1] الحافظ العفاف كالرهبان فكان اقلّ عدداً من الاكليرس المتزوج . ولا وجود له الا في قلّاية البطريرك او قلاية المطران. ولم يكن عدده يتجاوز الاثنين او الثلاثة في كل ابرشية ، كما لا يزال جارياً الى اليوم عند اخواننا الروم الارثوذكس .

وكانت العادة في ترشيح هذا الاكليرس وغيره ان المطران او البطريرك اذا لاحظ بذاته او بواسطة احد ثقاته ان شاباً من الشبّان النجباء المهذبين ذوي الرصانة والتقوى يواظب على حضور الصلوات الطقسية في الكنيسة ويشترك فيها بالقراءة او الترنيم قرّبه اليه ورغبه في الكهنوت . ومتى وثق من رغبته يُعنى بتعليمه وتثقيفه بذاته او بواسطة من يعتمد عليه . ثم يرسمه اناغنوسطاً (اي شماساً قارئاً) ويلبسه الثوب الاسود الاكليريكي والقلنسوة الصغيرة تشريفاً له وبياناً لمحبته له لكي يزيده رغبة في الكهنوت . ولا يزال الشاب والحالة هذه حرًّا ان يترك الثوب الاسود ويعود الى ثوبه العلماني الى ان يرسم شماساً انجيلياً . وربما انتخبه ذووه بعد مدة كاهناً لهم فيرسمه البطريرك او المطران لخدمة نفوسهم بعد ان يكون قد اقترن بالزواج المقدس .

وكان الناس في ذلك العهد يرغبون في درجة « الشماس » خصوصاً : لخفة واجباتها الدينية مع ما فيها من شرف الكهنوت . وكان لقب « الشماس » يُمنح كرتبة شريفة وكذلك « الشدياق » عند الموارنة . وهذه اللفظة مأخوذة عن لفظة ارشيدياكون اليونانية اي رئيس الشمامسة .

ولضيق حال النصارى في ذلك العهد لم يكن في الشرق كله للروم ولا لسواهم مدرسة اكليريكية عالية . فكانت قلاية المطران ولاسيما قلّاية البطريرك افضل مدرسة لرجال الكهنوت . والشماس الذي يحظى بها ويُقبَل عند البطريرك كان له امل ان يترقّى لا الى درجة الكهنوت فقط بل الى الدرجة الاسقفية اذا اسعده الحظ وثبت في دعوته وازداد حظوة وقبولاً عند البطريرك مولاه .

اما الاكليرس المتزوج[2] فكان على الغالب يقيم بالقرى ، وكان قليل

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور ، ١ : ٣٠ – ٣٣

(٢) مؤلف الاب الباشا المذكور ، ١ : ٣٢ – ٣٥

العلم طبعاً . ومنه كان معظم خدام الرعية وخوارنة الطائفة .

ولم يكن البطريرك او المطران يرسم واحداً منهم الّا اذا كان معه من قومه صك بانتخابه يشهدون له فيه بصلاح السيرة والتقوى واستقامة الايمان وحسن المسالك مع الناس والعلم الكافي بامور الدين ومعرفة طقوس الكنيسة واسرارها . ويتعهدون له بالطاعة والاحترام والمعاش اللائق به ، ويذكرون اسم الكنيسة التي تخصهم ليكون المنتخَب خادماً لهم فيها .

وكان الخوري في الغالب يُنتَخب من اهم اسر الطائفة ومن خيرة رجال اسرته . وقد جرت العادة ان يُختار ابن الخوري خلفاً له : لانه يكون عادة افضل واصلح من سواه بفضل عناية والده به وتهذيبه له وتعليمه ما يجب ان يعرفه من امور خدمة الكنيسة وتدبير الرعية . بل كثيراً ما كان الكاهن الوالد يسعى برسامة ولده في حياته ليفرح به .

وبعد ان يرسمه المطران او البطريرك يدفع اليه صكاً يدعى « اسطاتيكون » يوضح فيه كيف تمَّ انتخابه ورسامته ، ويذكر فيه اسم المرتسم واسم الكنيسة التي رسمه فيها والكنيسة التي رُسِم لخدمتها ، ويوجب له الطاعة والاحترام وتقديم المعاش . وهذا « الاسطاتيكون » يحفظه الخوري عنده بعد تلاوته في الكنيسة بمقام تعهد من قبل المطران واعيان الطائفة يحق له بموجبه ان يطالبهم بكل ما فيه . والخوري الذي يكون انتُخِب انتخاباً قانونياً على الصورة المذكورة كان غير قابل العزل الّا لذنب باهظ وبعد محا كمته عليه بموجب ناموس الله وقوانين الكنيسة المقدسة .

٢) الرهبان : كان الاكليرس الرهباني لذلك العهد اقلَّ عدداً من الاكليرس العلماني . وكان رهبان الاديار اقلَّ عدداً واحطَّ شأناً من الجميع .

اما الاديار الرهبانية فقد زارها البطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي سنة ١٦٤٨ ، فيما زاره من قرى ومدن البطريركية الانطاكية . ولم يجد منها يومئذٍ الّا ١٧ ديراً ، خمسة منها في سوريا واثناعشر في لبنان . ولم

(٣) مؤلف الاب الباشا المذكور ، ١ : ٣٢ و٥١ و٥٢ و٥٥ ، وما يليها .

يكن غالباً في الدير سوى راهب واحد مع الرئيس ، وقد يكون الرئيس وحده ، وقد لا يكون فيه احد من الرهبان . وسبب ذلك ضيق المعاش وسوء حال تلك الاديار في ذلك العهد . يشذُّ عن ذلك ديران : اولها دير صيدنايا (في سوريا) قرب دمشق ، والآخر دير البَلَمند (في كورة طرابلس) من لبنان .

اما دير صيدنايا فانه كان في سعة باملاكه وبما يأتيه من النذور والتقادم من كل صوب ولاسيما من اهل دمشق الذين كانوا يعدونه ديرهم ودير البطريركية . وكان البطاركة يتولَّون امره ويفرّون اليه اذا ضاق بهم الامر في دمشق . وكان الرهبان والراهبات يسكنون فيه ، ويقيم كل فريق منهم في قسم منه .

واما دير البَلَمَند فكان قد تجدد من عهد غير بعيد اي سنة ١٦٠٢ — ١٦٠٣ ، وتجددت فيه العيشة الرهبانية (بفضل يواكيم مطران طرابلس وبسعي الشيخ سليمان البتروني كاتب يوسف باشا ابن سيفا حاكم طرابلس وباجازة هذا الباشا المهام) فاخذ يقصده الشبان الاتقياء من الجهات القريبة والبعيدة ليترهبوا فيه ، وارتفع بهم منار السيرة الرهبانية في لبنان .

على انه ما لبث ان اختل النظام في ذلك الدير ولاسيما في مبادىء القرن ١٨ . خرج منه الرهبان الاولون الذين اسسوا الرهبانية الشويرية في دير مار يوحنا الصابغ كما رأينا [1] وكان قصدهم ان ينشئوا رهبانية كاثوليكية مرتبة على مثال رهبانيات الافرنج التي رأوها في الشرق . لان البعض (من هؤلاء المؤسسين) عرفوا في حلب كثيرين من رهبان الافرنج من طغمة

---

(١) راجع صفحة ٢٠٠ (من كتابنا هذا) .

اليسوعية والكبوشية والكرمل والفرنسيسكان، واتصلوا بهم عن قرب وتحققوا بالعيان حرصهم على حفظ قانونهم في الاديار وخارجها وانكبابهم على الدرس والمطالعة حتى ان اكثرهم يعرف باتقان عدة لغات شرقية فضلًا عن لغاتهم الافرنجية [١].

اما المطران افثيميوس الصيفي فاراد تأسيس جمعية مرسلة، فانه اذ اراد ان يبني دير المخلص « لم يقصد به الا مجد الله وخدمة كنيسته وخلاص نفوس ابناء ملّته الى ما شاء الله باعادتهم الى سابق مجدهم وسابق منزلتهم في حضن الكنيسة الكاثوليكية بواسطة رهبان صالحين منهم وفيهم ليأنسوا بهم طبعاً اكثر من (المرسلين) الغرباء [٢] ». واراد (الصيفي المذكور) ان يؤسس في البطريركية الانطاكية جمعية تكون « باعمالها الرسولية افضل من اخوية رهبان القبر المقدس المعروفة في البطريركية الاورشليمية، ومن رهبان طور سينا في البطريركية الاسكندرية، ورهبان جبل آثوس في البطريركية القسطنطينية، بما تستمده من قوة اتحادها بالكنيسة الكاثوليكية و (من) الاقتداء بمحاسن جمعياتها الرهبانية التي كان يرى في صيدا افرادها من كبوشيين وفرنسيسكان ويسوعيين قدوة صالحة بعلمهم وآدابهم وغيرتهم الدينية [٣] »، وبكلمة مختصرة اراد ان يؤسس جمعية متعلمة عاملة رسولية على غرار الرهبانيات الغربية المرسلة. واليك قطعة من خطابه الاخير الذي ودع فيه ابناءه رهبان دير المخلص قُبَيل وفاته. قال قدّس الله روحه :

---

(١) الاب الباشا ١ : ٣٤٦ وما بعدها.

(٢) مؤلف الاب الباشا المذكور، ١ : ٢١٥

(٣) « « ، ١ : ٢١٦ و٢١٧

« يا اولادي افرحوا ولا تغتموا (لاضطهاد اليونان لي) فهذه مشيئة الرب . فانا استنكم وصيرتكم قربانة رهبانية مقدسة وجئت بكم من اماكن مختلفة وبلاد بعيدة متفرقة وكمَّلتكم بالوسم الكهنوتي المقدس ووضعت البعض منكم في خدمة الرعية الكاثوليكية ليس لكي امكث هنا بطالاً مستريحاً بل لكي اجدّ بواسطتكم في فلاحة كرم المسيح في رعيتي وفي كل مكان[1] . »

٣) واخيراً الشعب : ان البساطة كانت متغلبة[2] على عامة الشعب في ذلك العهد . ولم يكن رؤساؤه يهتمون كثيراً بنشر العلم بين الرعية مع ما كانوا فيه من القلّة والذل والتبدُّد . ولذلك « غلب على جميعهم الجهل والخمول والفوضى في الامر حتى كادت هذه الملة الشريفة بقديسيها وعلمائها القدماء العظام تخلو حينئذٍ من العلماء والمؤرخين والكتّاب الذين تليق بهم هذه الاسماء او يستحقون ان يذكرهم التاريخ الصادق بامر مهمّ الّا القليل منهم الذين يُعَدّون على اصابع اليد » .

على كلٍ لم يكن هذا الخمول مختصاً بالملكيين وحدهم فان « جميع الامم والطوائف المجاورة الملكيين في هذه البلاد لم تكن افضل (منهم) بشيء . . . في تلك الايام سوى السادة المسلمين اصحاب البلاد والسلطان . ولم يكن لواحدة منها على التحقيق تاريخ مجيد تفتخر به على تاريخ الملكيين . فسبحان من يقدّر الكل امّة وكل انسان قدراً وشأناً » .

انتهى المجلد الثاني

بعون الله

تعالى

---

(١) مؤلف الاب الباشا المذكور ، ١ : ٤٨٨ وما بعدها

(٢) الاب الباشا المذكور ، ١ : ٦٢ - ٦٤



ان هذه الخارطة تمثّل لنا المملكة العربية الكبرى في اوج عزّها ، اي في عهد الخلفاء الأُمَويّين ، اذ كانت تمتدّ من جبال البيرينه وفرنسا وايطاليا وما بقي من مملكة الروم شمالاً ، ومن الاوقيانس الاطلنتيكي غرباً ، ومن الصحراء والسودان والاوقيانس الهندي جنوباً ، الى حدود الهند والصين شرقاً . وكانت مساحتها ضِعفَي مساحة مملكة اوغسطس قيصر الرومانية ، وستة اضعاف مملكة شرلمان ، وعشرة اضعاف مملكة نابوليون . وكانت عاصمتها مدينة دمشق وادارة ماليتها بيد اسرة منصور المسيحية الملكية التقية التي كان آخر فروعها الجميلة القديس يوحنا الدمشقي (+ ٧٤٩) خاتمة الآباء القديسين الشرقيين .

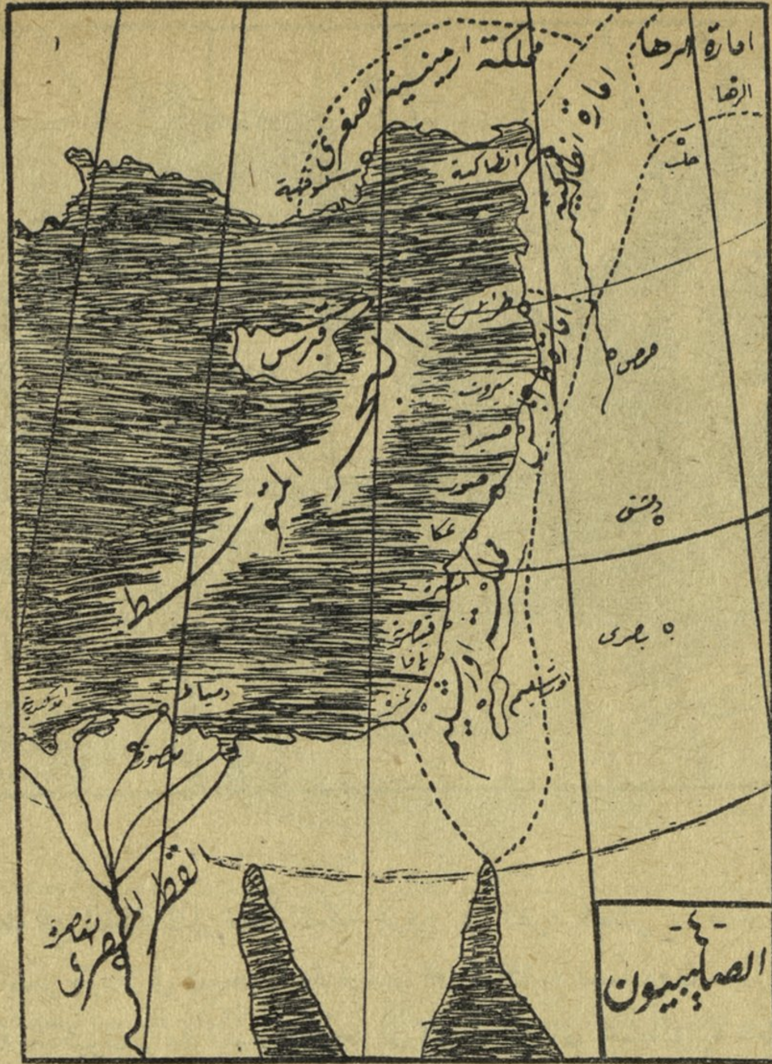


ان هذه الخارطة الثانية تصوّر لنا مملكة شرلمان ومملكة الروم المسيحيتين وخلافة بغداد العبّاسية وخلافة الاندلس الاموية الاسلاميتين . واشهر ملوك هذة الحقبة كرلوس الكبير (او شرلمان) في الغرب ، وهرون الرشيد الخليفة العباسي في الشرق ، وقد كانا صديقَيْن ومتحابَّيْن . وعلى عهدهما قام جاورجيوس بطريرك اورشليم الملكي (٧٩٧ ؟ — ٨٠٧ ؟) فبعث (على سبيل التبريك) بمفاتيح كنيسة القبر المقدس ومحل الجلجلة وراية من اورشليم الى ملك الافرنج شرلمان ، وكان هذا الملك قد ارسل الى البطريرك كاهناً اسمه زكريا ومعه صدقات كثيرة لتوزّع على المسيحيين . وتلك اول مرة نرى فيها ملوك الافرنج يتصلون بنصارى الشرق ليساعدوهم ويحاموا عنهم .



الخريطة التي امامك تمثل نهضة مملكة الروم في القرن العاشر . ذلك ان مملكة شرلمان لم تعمّر طويلاً بل اصبحت منذ اواسط القرن التاسع اسماً دون مسمّى . ولذا فالبطاركة الملكيون لم تعد ابصارهم تتّجه الى الغرب بل الى القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين في طلب النجدة والمساعدة . وفعلاً قامت جيوش نقفور فوقا ملك الروم فاستردّت انطاكية وسوريا سنة ٩٦٩ (واحتفظت بها نحو ١٢٠ سنة) ثم استردّت القسم الشمالي من فلسطين ، ولم تتمكن من استرجاع فلسطين الجنوبية ولا من اخذ المدينة المقدسة ، بل بقيت هذه في ايدي الفاطميين سلاطين مصر الذين اتوها من بلاد تونس وكان اشهرهم الحاكم بأمر الله (٩٩٥ - ١٠٢٠)

وكان من نتائج احتلال دولة الروم لسوريا ان عاد اليها النفوذ اليوناني وخضعت الكنائس الملكية من جديد لنفوذ كنيسة القسطنطينية .



ان هذه الخريطة الرابعة ترسم لنا مملكة وامارات الافرنج الصليبية التي تأسست في البطريركيتين الانطاكية والاورشليمية بعد الحملة الصليبية الاولى سنة ١٠٩٨ . واليك تعداد تلك الدول : من الشمال الغربي مملكة ارمينيا الصغرى (اي كيليكيا) ويقربها ١) امارة الرها (او اورفا) على شاطئ الفرات ٢) امارة انطاكية على سوريا الشمالية ٣) امارة طرابلس في الوسط ٤) مملكة اورشليم (سنة ١٠٩٩) من نهر الكلب الى حدود شبه جزيرة جبل سيناء . ولم يحتلّ الصليبيون سوى القسم الغربي او الساحلي من البلاد السورية واللبنانية والفلسطينية .

اما مصر فحاولوا عبثاً افتتاحها ولم يستطيعوا مع كل اجتهادهم ان يتجاوزوا دمياط والمنصورة .



ان سلطنة المماليك المصوَّرة في هذه الخارطة قد اشتملت تدريجاً على مصر وسوريا وفلسطين وارمينيا الصغرى . وخرّبت انطاكية سنة ١٢٦٨ م ، وهدمت كل مدن الساحل من عكا الى اللاذقية ، لئلا يعود الصليبيون فيتحصَّنوا فيها . واستمرت تلك السلطنة نحو ٢٥٠ سنة (١٢٦٨ – ١٥١٧) . وعلى عهدها نُقِل المقرُّ البطريركي الانطاكي الى دمشق (لان انطاكية لم تعد تصلح له) وكان ذلك على الارجح في الربع الاخير من القرن الرابع عشر اي نحو سنة ١٣٧٨ . ومنذ ذلك الحين عدمت مطرانية دمشق سلسلة اساقفتها الاصليين واصبحت ابرشية البطريرك الخاصة وصارت تخضع له رأساً كما كانت تخضع له ابرشية انطاكية فيما سبق .



خريطة المملكة العثمانية تذكرنا بخريطة مملكة الخلفاء العظمى : لان سليماً الاول العثماني (+ ١٥٢٠) اذ افتتح سوريا وفلسطين ومصر وغيرها اراد تحقيق وحدة الاسلام السياسية تحت رئاسته . وقد خضع للعثمانيين إبأن عزّهم بلاد رومانيا والبلغار والصرب والجبل الاسود والبانيا واليونان ومعظم جزائر البحر المتوسط وكل اسيا الصغرى وارمينيا والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز واليمن ومصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر .

وكان من نتائج فتح العثمانيين انهم جعلوا بطريرك القسطنطينية زعيماً لكل المسيحيين التابعين للطقس البيزنطي. فأضحت الكنائس الملكية وغيرها تابعة (في نظر العثمانيين) للبطريركية القسطنطينية . وتوصل العنصر اليوناني الى وضع يده على معظم واهم الكراسي الاسقفية والبطريركية بل الى احتكارها والاستبداد بها الا ما ندر : فهكذا احتكروا البطريركيتين الاورشليمية والاسكندرية وفصلوهما عن رومة نهائياً . وحاولوا ان يحتكروا البطريركية الانطاكية فأخفقوا ، وافلتت من يدهم الطائفة الملكية الكاثوليكية سنة ١٧٢٤ .



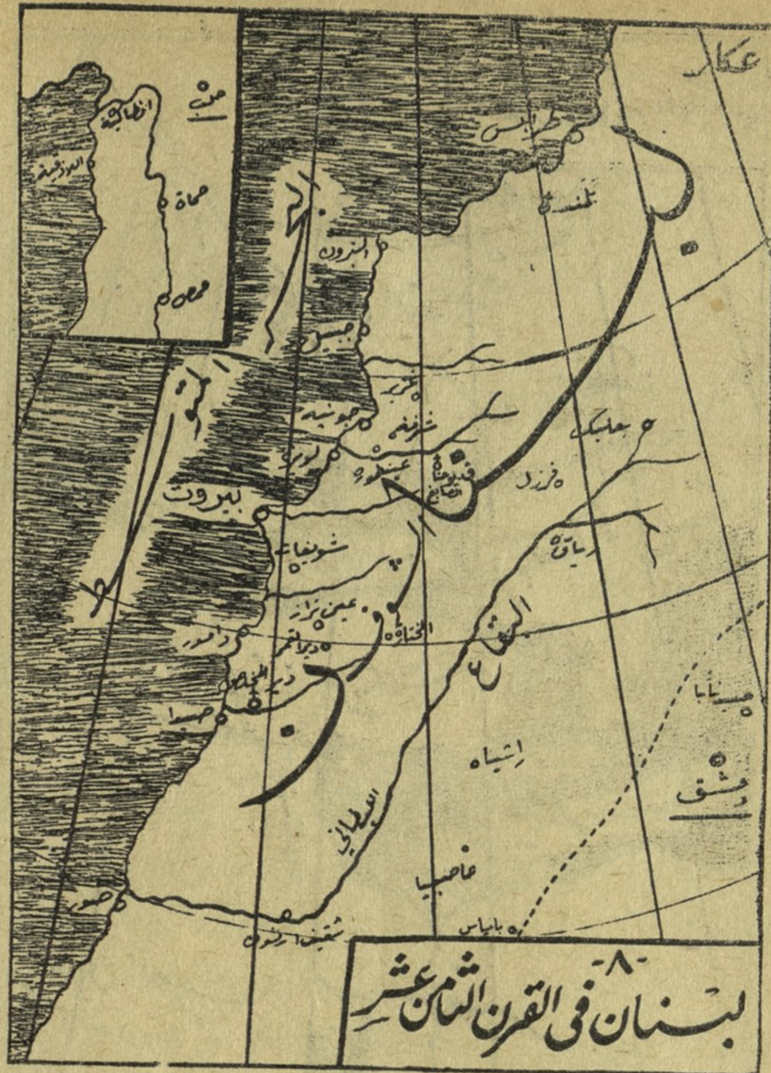
ان الخارطة السابعة هذه ترينا الطرق التي سلكها ، على عهد العثمانيين ، الى البلقان وروسيا او منها ، بعض البطاركة الملكيين امثال :

يواكيم الخامس ابن ضو (١٥٨٥ — ١٥٩٠)

وثاوفانس الثالث الاورشليمي (١٦١٩ ، ١٦٢٠)

ومكاريوس الثالث الحلبي ، في سفرته الاولى الى موسكو ورجوعه منها عن طريق القسطنطينية والبلقان (١٦٥٣ — ١٦٥٩) ، او في سفرته الثانية عن طريق تفليس والكوكاز ذهاباً واياباً (١٦٦٦ — ١٦٦٩) .

واثناسيوس الثالث الدبّاس (١٧٠٠ — ١٧٠٥) في ذهابه الى بوخارست (عاصمة رومانيا) ورجوعه منها ، وذلك على عهد اميرها المسيحي الكريم يوحنا بَسَّارابا برنكوفان السعيد الذكر الذي اعطاه مطبعة كاملة العدّة جاء بها البطريرك الى حلب فكانت اول مطبعة عربية في الشرق .



هذه الخريطة الثامنة تصور لنا لبنان في القرن ١٨ وترينا المراكز الخطيرة التي كانت للروم الكاثوليك في البطريركية الانطاكية سنة ١٧٢٣ :

ان لبنان قد استمرَّ على استقلاله الداخلي في عهد العثمانيين كما كان على عهد المماليك برئاسة امرائه الوطنيين المعنيين ثم الشهابيين . وكان ذلك من حسن تدبير العناية الالهية لانتشار الكثلكة : لان التدابير الشديدة التي اتُخِذت ضد الكاثوليك في الاستانة لم يكن لها ادنى مفعول في جبل لبنان اذ كانت سلطة الباشاوات الاتراك تنتهي عند حدود الجبل .

اما الروم الكاثوليك فكان لهم سنة ١٧٢٣ (قُبَيل انفصال الطائفتين الكاثوليكية والارثوذكسية) ثلاثة مراكز خطيرة وهي : دمشق كرسي البطريرك ومقامه الرسمي ، وحلب التي كانت السابقة في الانضمام الى الكثلكة ، وابرشية صور وصيدا خصوصاً التي كانت كلها كاثوليكية وفيها دير المخلص الحصن الحصين للكثلكة في لبنان .

PRECIS D'HISTOIRE

DE

L'EGLISE MELKITE

De la Conquête Arabe

au

dédoublement de la hiérarchie au XVIIIe siècle

(634 — 1724)

PAR

Le P. JOSEPH CHAMMAS
Basilien Salvatorien



Impr. de St.-Sauv. Près Saïda (Liban)
1949